اللِّسَانِيَاتُ العَرَبِيَةُ وأَبْعَادُهَا المَعْرِفِيَةُ
فِي كِتَابَاتِ
«عبد الرحمن الحاج صالح»
اللِّسَانِيّةِ

الأستاذ الدكتور: بشير إبرير

منشورات المجمع الجزائري للغة العربية

** ***تنبيه:***

تخضع أي أسماء تجارية وأسماء منتجات مذكورة في هذا الكتاب إلى علامات تجارية أو ملكية فكرية أو حماية براءة اختراع، وهي علامات تجارية أو ملكية فكرية مسجلة لأصحابها المعنيين أو وصف المنتج وما إلى ذلك...، حتى في حالة عدم وضع علامة معينة في هذا العمل، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقصد بذلك أن هذه الأسماء قد تعتبر غير مقيدة فيما يتعلق بتشريعات حماية الملكية الفكرية والعلامات التجارية، وبالتالي يمكن لأي شخص استخدامها.

**تصميم غلاف الكتاب: س. خدير/ ITICO- الجزائر- 2021.

**الإيداع القانوني: السداسي الثاني/ 2021.
ISBN: 978-9931-9644-3-8

**حقوق الطبع محفوظة
© بشير إبرير
©منشورات المجمع الجزائري للغة العربية 2021.**
06 شارع العقيد محمد بوقرة - الأبيار- الجزائر .

*** الوصف الببليوغرافي

ابرير، بشير

**اللّسَانِيَاتُ العَرَبِيَة وأبْعَادُهَا المَعْرِفِيَة فِي كِتَابَاتِ «عبد الرحمن الحاج صالح»
اللّسَانِيّة/ ابرير بشير. الجزائر، المجمع الجزائري للغة العربية،2020.**
247**ص**؛16x 24 **سم**.8-978-9931-9644-3: ISBN

**اللغة العربية.اللسانيات. علوم اللسان
عبد الرحمن الحاج صالح : اللسانيات.العربية .علوم اللسان
ديوي**، 415.1

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى أستاذي الفاضل

رحمه الله وطيّب ثراه:

«عبد الرحمن الحاج صالح»

بشير

اللِّسَانِيَاتُ العَرَبِيَةُ وأَبْعَادُهَا المَعْرِفِيَةُ

فِي كِتَابَاتِ

«عبد الرحمن الحاج صالح»

اللِّسَانِيّةِ

الأستاذ الدكتور: بشير إبرير

-2021-

مقـــدمـــــة

مقدّمـــــــــــــــــــة:

يتناول هذا الكتاب: «**اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات "عبد الرحمن الحاج صالح" اللسانية**»،كما هو واضح من عنوانه موضوعا مهما هو: اللسانيات العربية وأبعادها المختلفة كما رآها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وتصورها.

وكما تظهر في كتاباته اللسانية التي ركزت كلها على النظرية الخليلية الحديثة بخلفياتها الإبستمولوجية ومبادئها العلمية والنظرية وجهازها المصطلحي ومنظومتها المفهومية ومجالاتها التطبيقية.

وهي نظرية لسانية عربية مؤسسة على «**علم العربية**» بما يحمل هذا المصطلح من مفهوم متجذر في التراث اللغوي العربي عند الخليل ابن أحمد وتلميذه سيبويه وغيرهما من العلماء السابقين عليهما واللاحقين لهما الى نهاية القرن الرابع الهجري. فعلم العربية مفهوم جامع لعلوم العربية عليه تنتظم بقية المصطلحات ومفاهيمها في نسقها المعرفي والمنهجي.

وقد شكل المنطلق الأول في تأسيس الكتابة اللسانية لدى عبد الرحمن الحاج صالح، ولبناء نظريته اللسانية العربية الأصيلة الأصالية من حيث مفهومها وموضوعها وأبعادها الإبستمولوجية والعلمية المعرفية والمنهجية في دراسة اللغة وتحليلها.

شرعتُ في إنجاز هذا الكتاب بداية من شهر نوفمبر 2020 وأنهيته في شهر مارس سنة 2021، بعمل يومي متواصل قرأت فيه معظم أعمال عبد الرحمن الحاج صالح إلا قليلا نادرا لم يتوفر لي. ونعد هذا عاملا مميزا لهذا الكتاب؛ إذ يمكنه أن يكون رؤيا موسعة عن النظر اللساني وإدراك خصوصياته لدى الحاج صالح، تحاول أن تكون

موضوعية ما أمكنها. وإذا كان التخلص مما هو ذاتي احتفائي يبدو أمرا صعبا وبخاصة مع أستاذ لك خصّك بكثير من الرعاية العلمية، فإنه لا يمكن –مع ذلك–وصفه بما ليس فيه. وإنما عملنا على الاشتغال على أعماله من الناحية العلمية وتقديمها للقارئ الباحث دون الخوض فيما من شأنه أن يبعدنا عن ذلك.

وقد حرصت على الانطلاق من النصوص التي كتبها في معالجته للقضايا اللغوية المختلفة–على طولها أحيانا–ووصفها وتحليلها وإبداء الرأي فيها، بغية تمكين القارئ من أن يكون على بينة فيما يبديه من رأي مخالف، ويفهمها بطريقة أخرى غير ما فهمتها بها.

وقد اتخذت من هذا الكتاب وسيلة لتحقيق جملة من الأهداف منها:

- التعريف بالحاج صالح من الناحية العلمية، فهو شخصية علمية وازنة في البحث اللساني العربي، غير ملتفت إليها بكفاية.
- التأكيد على أنه هو المؤسس الحقيقي للسانيات العربية مفهوما وموضوعا ومنهجا.وإذا كان بعض اللسانيين العرب قد تحدثوا عن البحث العربي اللساني ولسانيات التراث، تجنبا لاستعمال اللسانيات العربية. وبعضهم استعمل المصطلح وعنى به ما أنتجه العرب المحدثون دون ربطه بالتراث اللغوي العربي القديم... فإن عبد الرحمن الحاج صالح قد استعمل اللسانيات العربية ليؤسسها على الانطلاق من التراث اللغوي العربي الأصيل وربطه بالجهود التي يبذلها بعض اللسانيين العرب المحدثين وربط كل ذلك باللسانيات الغربية وما توفره من معطيات مفيدة في دراسة اللغة وتحليلها. وقد اتخذ كل ذلك

عنده، شكل نظرية علمية لسانية لها هويتها النظرية والاصطلاحية والمفهومية ولها ميادين تطبيق تخصها.

- إثراء المكتبة العربية بهذا النوع من الموضوعات وتوفير مرجع أجرى قراءة في مجموع أعمال عبد الرحمن الحاج صالح لعله يقدم بها فائدة للباحث في مجال اللسانيات وما تعلق بجهود الشخصيات العلمية وأنظارهم اللغوية.

وقد انبنى هذا الكتاب على الفصول الآتية:

الفصل الأول موسوم بعنوان: **واقع البحث اللساني العربي وبعض إشكالاته:**

فقد عرف واقع الخطاب اللساني العربي إشكالات عديدة شكلت له صعوبات وعقبات في المعرفة والمنهج والرؤيا والاستبصار، شأن الخطاب العربي بصفة عامة سياسة وإعلاما وثقافة واقتصادا وتربية وتعليما ...

كان لها تأثيرها على مستويات عديدة نفسية واجتماعية وعلاقات مختلفة في ميادين متنوعة منها:

الانبهار بالآخر وجلد الذات والتصور القاصر لبعض الباحثين العرب للسانيات ومفهومها وجدواها وحاجتها إلى الخطاب التعليمي الذي يقدمها وييسر فهمها إذ تعاني اللسانيات في الجامعة من فجوة عميقة بين ما هو معرفة لسانية نظرية، وما هو معرفة لسانية تطبيقية تتعلق بميادين محددة.

ونضيف إلى ذلك عدم إيجاد طريقة مناسبة توافق بين المعيار والاستعمال، فاللغة معيار واستعمال وكلاهما ضروري لها. كما أن

البحث اللساني يحتاج إلى المعرفة الكافية باللغات الأجنبية، فالباحث اللساني صار مطالبا بألا يقرأ في ميدان اختصاصه فحسب؛ وإنما عليه أن ينفتح على تضافر التخصصات ومما له علاقة بثقافة اختصاصه. واللسانيات كما نعلم علم متضافر التخصصات متكامل المعارف، تذهب فيه المفاهيم وتجيء بين هذا التخصص وذاك.

ونسجل ملحوظة أخرى نراها مهمة وهي غياب المتابعة النقدية للكتابة اللسانية العربية، وما كتب في ذلك لا يمكن أن نسميه نقدا لسانيا علميا بقدر ما هو قدح يحط من شأن هذا أو مدح يعلي من شأن ذاك بلا أدلة ومبررات معرفية ومنهجية.

وسيجد القارئ لهذا الكتاب أن كل ما يميز الواقع الخاص بالبحث اللساني العربي يعود إلى جانب فكري مؤثر يتمثل في العلاقة بين التراث والحداثة. فتوجد اتجاهات فكرية متضادة ومتنافرة وبينها قطائع لم تؤسس عمومًا لثقافة خاصة بالاختلاف. فمن يقول بعدم وجود لسانيات عربية لأنه حداثي فوق العادة. ومن يقول بوجودها وحدها دون غيرها لأنه متقوقع على نفسه في بعض هوامش التراث. ومن يحاول أن ينتقي من هذا وهذا بعض ما يوهم به أنه مفيد جامع بينهما. ولكن هو في الحقيقة له أغراضه الإيديولوجية المبيّتة.

وأما الفصل الثاني فعنوانه: عبد الرحمن الحاج صالح: من هو؟ وماذا كتب؟ وماذا كُتِبَ عنه؟

وكما هو واضح من عنوانه فهو يعرف بالسيرة العلمية للرجل، فهي سيرة علمية ثرية بالكتابة والاجتهاد وتولي المسؤوليات العلمية والإدارية، وهو واحد نادر من القلائل الذي كان عضوا في أربعة مجامع لغوية عربية وهيئات علمية وإدارية أخرى.

وقد كتب كتبا علمية وأبحاثا ومقالات عديدة. وسيجد القارئ في هذا الكتاب إحصاء لها وتبويبًا ووصفًا وقراءة فيها.

وأما الذين كتبوا عن عبد الرحمن الحاج صالح، فقد تناولوا منجزه اللساني بتنوع القضايا العلمية التي عالجها، وهي أعمال اجتهد أصحابها ولكنها متفاوتة من حيث القيمة العلمية، ومن حيث مدى معرفة أصحابها بما كتب الحاج صالح والانطلاق منه. وسيجد القارئ للكتاب إشارات كثيرة إلى هذه الكتابات.

وجاء **الفصل الثالث** بعنوان: **اللسانيات العربية: المفهوم والموضوع والمنهج.** ليبحث في هذه المباحث الثلاثة المترابطة المنسجمة في سياقها اللغوي ونسقها المفهومي، فلكي يكون العلم علما لا بد أن تتوفر له جملة من الشروط التي تمكنه من ذلك ومنها:

المفهوم، وللسانيات العربية مفهوم واضح وهو الدراسة العلمية للسان العربي.

وأن يكون له **موضوع:** وللسانيات العربية موضوع هو: الوضع والاستعمال. وأن يكون له **منهج،** وللسانيات العربية منهج في التحليل له آلياته الخاصة يدرس اللغة بطريقة وصفية موضوعية دون تفضيل هذه اللغة على تلك، وله **أهداف** في الدراسة وهي معرفة الأنظمة اللغوية من حيث أصواتها وصرفها ونحوها ومعجمها ودلالتها ووصفها ودراستها ومقارنتها بغيرها. دون أن ننسى في كل هذا أن اللسانيات العربية خصّت اللغة المنطوقة بالدراسة شأنها شأن الكتابة وقضاياها المختلفة.

وإذا كانت لسانيات دوسوسير قد ركزت على دراسة "اللسان" فإنّ اللسانيات العربية أشمل وأوسع؛ إذ ركزت على دراسة ما هو وضع

لغوي يقابل اللسان عند دوسوسير. وتجاوزته إلى دراسة: الاستعمال الذي كان مغيبًا في الدراسات اللسانية البِنَوية الوصفية.

وجاء الفصل الرابع ليبحث في **البعد الإبستمولوجي في اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح.** وهو فصل مهم في تنوير الباحث المبتدئ خاصة بكثير من المسائل اللغوية، والقضايا الفكرية، فمعظم ما كتبه الحاج صالح من كتبٍ وأبحاثٍ ومقالاتٍ لا يخلو من هذا البعد الذي يشكل سمة بارزة فيها، تجلى ذلك في خطابه المتميز بالعلم والنقد والنظر والدراسة لمنطق العلوم الذي يعني المعرفة بها، ونقدها من حيث المبادئ والفرضيات والنتائج.

وتعد كتبه كلها وبخاصة: "**منطق العرب في علوم اللسان**"علامة دالة على النسق الإبستمولوجي الذي ميز الكتاب كله في أبوابه وفصوله ومباحثه، وفي مفاهيمه ومصطلحاته. وليُعدّ هذا الكتاب معرفة إبستمولوجية عميقة وشاملة ارتكز عليها في تأسيس نظريته الخليلية الحديثة. فمنطق العرب في علوم اللسان: يختلف تماما عن منطق ارسطو كما ادّعى أدالبير مركس والمتأثرين به من اللغويين العرب. ويتضافر هذا الفصل مع **الفصل الخامس** وعنوانه: **البعد العلمي المعرفي في اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح.** يبحث فيما يتعلق بالعلوم المعرفية les sciences cognitives وهو حقل معرفي جديد يجمع بين تخصصات علمية ومعرفية عديدة في دراسة الظاهرة اللغوية من النواحي الذهنية والتصورية. ويتخذ من التفكير المفهومي، ومن تضافر التخصصات أرضية خصبة في الدراسة اللغوية وكيفية انشغال العقل الإنساني بها وتصوره لها وفهمه واستيعابه لها.

وتعد اللسانيات من هذه الناحية مثالا معبّرا فعلا عن التضافر في التخصصات والمفاهيم المتداولة بينها.

ويلاحظ القارئ لكتابات عبد الرحمن الحاج صالح حضور البعد العلمي المعرفي بوضوح فيها على مستوى علاقة اللسانيات بفروع المعرفة الأخرى في المعجم والمصطلح والدراسات الحاسوبية وهندسة اللغة وتكنولوجيتها بكثافة. وعلى مستوى المشاريع التي قدمها مثل مشروع الذخيرة اللغوية الذي نظر من خلاله إلى اللغة على أنها منظومة علمية واجتماعية وتربوية وسياسية واقتصادية شاملة. تجمع بين المعرفة اللغوية والأدبية والعلمية وهي في النهاية تمثل مصدرا معلوماتيا يحتاج إلى المحتوى العلمي المعرفي المحوسب وإعداده إعدادا رقميا.

ويأتي الفصل السادس: **البعد المنهجي في اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح.**

مكملا للفصلين السابقين ومتضافرا معهما في نسق علمي جامع ليبحث –هو بدوره–في ممارسات التحليل وإجراءاته المنهجية على مستوى الوضع وعلى مستوى الاستعمال، أو على مستوى البنية ومستوى الخطاب مستثمرًا مفاهيم النظرية الخليلية المتعلقة بمستويات التحليل اللساني، مثل: مفهوم الباب والمثال والاستقامة والأصل والفرع والوضع والاستعمال... وغير ذلك من المفاهيم.

ومتدرجًا في التحليل بدءا من المستوى (0) الذي يتعلق بالصفات المميزة، والمستوى (1) المتعلق بالحروف ومخارجها وصفاتها.

إلى المستوى الثاني المتعلق بالدوال ثم إلى المستوى الثالث المتعلق بالكَلِم أو الكلمات ومنه إلى المستوى الرابع المتعلق باللفظات

(جمع لفظة) ثم إلى المستوى الخامس الذي يخص الكلام أو البنى التركيبية. وتخص هذه المستويات كلها الوضع اللغوي. وأما المستوى السادس والأخير فيتعلق بالخطاب ويخص الاستعمال.

وبهذا تكتمل مستويات التحليل في النظرية الخليلية الحديثة العربية الأصيلة. ويكتمل هذا الكتاب بفصله السابع الذي يخص: **البعد الوظيفي الاستثماري في اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح.**

ويبحث في الميادين التطبيقية التي يمكن للنظرية الخليلية بوصفها نظرية لسانية عربية أن توظف فيها وتحقق نتائجها مثل:

التعليمية والصناعة المعجمية وعلم المصطلح واللسانيات الحاسوبية، وقد تم توظيفها فعلا في هذه الميادين وكانت نتائجها جد مفيدة كما ورد في الكتاب.

وسيجد القارئ في هذا الكتاب كثيرا من الأمثلة الموضّحة الواصفة الشارحة للمسائل اللغوية المطروحة المعضدة بالنصوص والشواهد الدالة.

إنّ هذا الذي تركه الحاج صالح من كتبٍ وأبحاث ومقالات... لفي أشد الحاجة إلى القراءة الكاشفة الواعية على ما فيها من أفكار نيّرة خادمة للغة العربية مستبصرة لمستقبلها. ومن ذلك أن الرجل صاحب نظرية لسانية عربية حقيقة لا زورًا ولا بهتانا، فعلينا جميعًا أن نتعاون ونتآزر في التعريف بها ونشرها بين القراء والباحثين والطلبة في مدارج الجامعات الجزائرية والعربية وغيرها.ونعمل على توظيفها فيما ننجزه من أبحاثٍ مختلفة في مجالات تخصصنا اللسانية والتعليمية وما تعلق بعلوم الحاسوب؛ فهي قابله لذلك مستوعبه له.

حسبنا أننا اجتهدنا وحاولنا تقديم قراءة لهذا المنجز اللساني المتميز بغية إفادة البحث العلمي بصفه عامة والبحث اللساني بصفة خاصة. ويبقى الباب مفتوحًا للنقد والتدقيق والتصويب والمراجعة فبذلك تكتمل الفائدة وتتحقق المنفعة.

بشير إبرير/يوم الأربعاء 2021/03/17

الفصل الأوّل:

واقع البحث اللساني العربي

يلاحظ القارئ الباحث المتتبع للخطاب اللساني العربي الحديث مسائل عديدة، يمكن أن نعدها سماتٍ دالةً على ما يواجهه من صعوبات وإشكالات في المعرفة والمنهج والرؤيا والاستبصار. نحاول الإشارة إليها –باختصار– في شكل:

أولا/ قضايا عامة:

1–الانبهار بالآخر وجلد الذات: ويطال الخطاب العربي الحديث والمعاصر سياسة وإعلاما وثقافة واقتصادا وتربية وتعليما...على مستويات عديدة نفسية واجتماعية وعسكرية وعلاقات مختلفة في ميادين متنوعة.

فالقدوة تتمثل دائما في الآخر؛ فهو السّوي وهو المتقدم، وهو المثقف، وهو الحر...وهو المتفوّق وهو النموذج الجيد الذي له صيحاته المختلفة في وطننا العربي التي نختلف من أجلها ونتقاتل. وغالبا ما ترد إلينا هذه الصيحات الجديدة في أشكال من الموضة تدعي الحداثة. وفي صيغ من المفاهيم المتنوعة المؤسسة على خلفياتٍ فكرية محددة لها أهداف تصبو إلى تحقيقها، بكيفية أو بأخرى، ونحن لا ندرك ذلك إلا قليلا.

فقد أدخلوا إلينا **النهضة** ولم ننهض، وظللنا نختلف إلى اليوم كيف ننهض. وأدخلوا إلينا **الحداثة** ومازلنا متخلّفين، و**الديمقراطية** ومازلنا تحت أنظمة مستبدة أرسوها لخدمتهم. وقد خُيل إلينا أننا نلنا الاستقلال، ولكن مازلنا تحت الاستعمار، يأكل خيراتنا ويستغل ثرواتنا ويستنزف قدراتنا؛ ولا يثمن جهودنا بقدر ما يمنع عنا التنفس ويخنقنا.

وقس على ذلك مفاهيم أخرى مثل: الإرهاب الذي أُلْصِقَ بديننا وبنا عنوة، وصار كل من يدافع عن عرضه وشرف وطنه إرهابيا، وهم الذين صنّعوا الإرهاب عبر التاريخ، ومازالوا يسهرون عل تصنيعه، ويجتهدون في توظيفه.

ومثل **العولمة** التي تعني القولبة، وإعادة تشكيل الوعي في المكان والزمان، وفي الجغرافيا والتاريخ، وفي الإمكان والإنسان بما يخدم مصلحة القوي الذي بيده الحل والربط.

ومثل **الربيع العربي والشرق الأوسط الكبير** وغير ذلك.

إن كل هذه المفاهيم متشابكة ومتآزرة ومتفاعلة، تهدف إلى تحقيق هدف واحد تشتغل عليه في إطار منظومي شامل، ومنه:

اللغة: ونحن غافلون، بل نجد أنفسنا منخرطين في مساعدتهم على تحقيقه بحجة أو بأخرى مثل: التسامح والسلام والحرية والعدالة...إننا- كما قال نبيل علي-نواجه عصراً جديدا تماما بعقل قديم غاية في القدم[1]مازال وفيا لزمنه القبلي.

إن القراءة سمة من سمات العقل النقدي، وممارسة التفكير الخلاق، وتعد علوم اللغة ميداناً ثريا خصبا في هذا الشأن. فخطابها يتنزل-في نظري-ضمن هذه الرؤيا. ولعلها مدخل أساسي من مداخلها فـ«ثقافة كل أمةٍ كامنةٌ في معجمها ونحوها ونصوصها. واللغة بلا منازع أبرز السمات الثقافية».[2]

---

[1]- ينظر: نبيل علي: العقل العربي ومجتمع المعرفة: مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول،عالم المعرفة، الكويت، رقم369، نوفمبر 2009، ج1، ص7.

[2]- نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، الكويت، رقم 865، 2000، ص 258.

إن من أهم الصعاب التي تواجه البحث اللساني العربي الحديث، محاولة بعض اللسانيين تلقُّفَ بعض ما يظهر في الغرب من مفاهيم ومصطلحات ونظرياتٍ دون فهم عميق لها؛ لأنها نشأت في بيئة غير عربية، وانطلقت من مرجعيات معرفية، وخلفيات فكرية لم تشهد البيئة العربية مخاض ولادتها، ولحظة نشوئها وارتقائها واستوائها على سوقها.

ومع ذلك يحاولون الدعوة إليها وادعاء فهمها ومسايرتها والوعي بمخاطرها ونتائجها على مستوى المنهج والموضوع والمفهوم والمصطلح. ثم يقومون مقابل ذلك، بوصف اللغة العربية بأنها غير قادرة على مسايرة ما يحدث في العالم من جديد على مستوى البحث اللساني. وعدم قدرة الثقافة العربية السائدة –برأي مصطفى غلفان–على استيعاب الأسس النظرية والمنهجية للنماذج اللسانية المتطورة.[1]

وإذا كان هذا صحيحا إلى حد كبير فإن المفروض هو عدم قدرة اللسانيين والمثقفين العرب المعاصرين السائرين دائمًا في فلك الآخر، المروجين لخطابه. وقصور عتادهم المعرفي في النظر إلى اللغة على أنها ساحة للتداخل الفلسفي والعلمي والتربوي والإعلامي، بل والتكنولوجي.[2]

نشير هنا إلى أن الباحثين الغربيين ينطلقون دائمًا من لغتهم، أما نحن فننطلق دائمًا من جلد الذات، ورؤية اللغة العربية غير قادرة على استيعاب القضايا الكبرى في اللسانيات وغيرها من العلوم الأخرى.

---

[1]– ينظر كتابه: "اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء، سلسلة أطروحات جامعية، رقم 56/4، 1991، ص 39.

[2]– ينظر: نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات...، ص 230.

وكثيرا ما نقرأ هذا النوع من الخطابات التي تحط من القيمة بوعي أو بغير وعي والمشكلة تكمن فينا.

2- تصور بعض اللسانيين والباحثين العرب للسانيات: تعد هذه المسألة بالغة الأهمية؛ لأنها تتعلق بالتصور الذهني للعلم؛ فما لم يتم تصوره بطريقة صحيحة فإنّ ذلك ينتج عنه قصور في الفهم والاستيعاب والإدراك والتحليل والتمثيل المعرفي الصحيح؛ فقد تصور بعض الدارسين أنّ اللسانيات هي الوسيلة التي يحققون بواسطتها جميع أهدافهم كيفما كانت. ويعالجون بها كل القضايا المطروحة في عالمنا العربي اللغوية وغير اللغوية؛ فعزلوها بذلك عن التقاطع مع بقية العلوم والمعارف. ربما ليستفردوا بها وحدهم دون غيرهم!! مما أبعدها عن العلمية. ومن ذلك أن كثيرا من رجال البحث ورواد الفكر-برأي المسدي-قد ظل تصورهم للسانيات محصورًا كليا أو جزئيا بحقل الصوتيات.[1]

وإذا كانت الصوتيات مهمة في الدرس اللساني، وتمثل مستوى أساسيا فيها، فإنّ الاعتناء به، بحثًا وتدريسا كان -غالبا-لا يتعدى صفات الأصوات ومخارجها وإحصائها بعيدا عن وظيفتها في أداء الخطابات المختلفة التي تقتضيها الاستعمالات اللغوية بالنظر إلى مقامتها.

وقد تبين-كما يقول المسدي ثانية-أنه يقْصُرُ عن أن يكون المفتاح الرئيسي لإدراك نواميس الحدث اللغوي وبلوغ محركات الظاهرة الكلامية في نسيجها المتفاعل عضويا مع مقولة: الإنسان متكلما باللغة ومفكرًا فيها.[2]

---

[1]- ينظر: عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986، ص 13.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 13.

يمكن الإشارة في هذا المقام إلى أن العلماء العرب القدامى، قد قدموا دراسات صوتية تتميز بالضبط العلمي الصارم من ناحية وتراعي وظائف الصوت في الأداء الكلامي من ناحية أخرى.

والخليل بن أحمد(ت170ه) وسيبويه(ت180ه) وابنجني(ت392ه) وابن سينا(ت427ه) في كتابه أسباب حدوث الحروف ... وغيرهم، خير مثالٍ على ذلك.

فلقد درس العلماء العرب لغتهم من الناحية الصوتية من نواحي عديدة مثل: صفات الحروف ومخارجها وأسباب حدوثها. ومثل: القلب والإبدال والإعلال والتخفيف، والإمالة، والإشمام، والرَّوْم، والاختلاس، والإخفاء. وكلها لطائف صوتية-صرفية لها تأثيراتها في إحداث الخطابات وادائها حسب المقام[1] الأمر الذي يعطي للصوتيات العربية أصالتها وخصوصياتها وحدودها الفاصلة عن الصوتيات في لغاتٍ مثل: الإنجليزية والفرنسية وغيرهما.

ونلاحظ أن كثيرا من الكتابات اللسانية العربية الحديثة لا تراعي اللغة العربية وخصائصها المميزة لها، الراسمة لحدود نظامها عن الأنظمة اللغوية الأخرى، فيتعسّف أصحابها في تقديم كثير من الأمثلة باللغة الأجنبية، يسقطونها قسرًا على اللغة العربية نسجًا على منوال المراجع الأجنبية التي عادوا إليها في أصلها الأجنبي أو مترجمة إلى العربية في الدراسات الصوتية والتركيبية وغيرهما.

3-اهتمام البحث اللساني العربي الحديث في بداياته واستمرار ذلك مدة طويلة وإلى الآن بـــ: **محاولة تحديد مفهوم المصطلح اللساني**. وكتبت

---

[1]- ينظر: بشير إبرير: بحوث ودراسات في علوم اللغة العربية، عالم الكتب الحديث، ط1، 2000، ص1.

كثير من الكتب والأبحاث والمقالات، ونظمت مؤتمرات كثيرة وطنية ودولية لمعالجة القضية إلى درجة التخمة.

فقد اشتغل كثير من الباحثين والمهتمين بما يقابل المصطلح الأجنبي من الألفاظ العربية مثلا:linguistique، اقترحوا عدة مقابلات منها: اللسانيات والألسنية واللّسْنية واللّسْنيات، وعلوم اللغة، وعلوم اللسان، واللسانية،...وغيرها من المصطلحات، وقد صار هذا سمة مميزة لواقع البحث اللساني العربي الحديث الذي يتصف بخطابين كما رأى خالد اليعبودي:

- **خطاب مصطلحي كلاسيكي:** يهتم بالتأكيد على الدور الريادي للغة العربية وتراثها الاصطلاحي.
- **خطاب مصطلحي معاصر:** يهتم بالمبادئ النظرية والمنهجية التي أوجدتها المصطلحية الغربية[1].

وإذا كان البحث في المصطلح مهّمًا وضروريا في أي علم من العلوم ومنه: **اللسانيات** فإنّ ما يجب التشديد عليه –في نظري–هو تجديد موضوعات البحث في المصطلحات والمفاهيم التي يعبر عنها ويصفها وينقلها ويتم تداولها بين الباحثين، وتجاوز ما هو جاهز. ثم إن التعدد في المصطلح مسألة تطال كل اللغات بكيفيات مختلفة، ولكن في العربية بأكثر حدّة لأسباب عديدة منها: تعدد مصادر الترجمة إلى العربية.

ولذلك **لا مشاحة في الاصطلاح**–كما قال العلماء العرب القدامى–إذا كان المفهوم واحدا وقد فتحوا باب الاجتهاد الاصطلاحي، وخصّوا به

[1]– ينظر: خالد اليعبودي: تدريس المصطلحية بين الجامعات والمعاهد العلمية العربية والغربية، ضمن أبحاث المنتدى المصطلحي، سوسة، تونس، 2008، ص 347–348.

العلماء المتخصصين في الحقل العلمي الواحد، وما يقتضيه من استعمالاتٍ لغوية تستوجبها مضايق المعرفة.[1]

4-افتقار اللسانيات إلى الخطاب التعليمي الذي يقدمها بوضوح وبساطة ويُيَسِرُ فهمها للمتعلم الطالب في الجامعة والباحث المبتدئ غير المتمرس؛ فكثير من القضايا اللسانية تحتاج الى هذا النوع من الخطاب الذي يعرف بها ويقدمها بدراية معرفية وكفاية بيداغوجية.

فلماذا نَدْرسُ اللسانيات؟ ولماذا نبحث فيها؟ وكيف يمكن استثمار معطياتها في التطبيقات التي تخصها وتقتضيها ميادين البحث المتنوعة مثل: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وللناطقين بها كبارا كانوا أم صغارا، والوسائل والتقنيات المنهجية وأساليب التقويم، واختيار المحتويات المعرفية المحققة للأهداف التعليمية غاياتٍ ومرامي وأهدافا خاصة وعامة وإجرائية. وبناء المناهج التربوية وصناعة الطرائق التعليمية الناجحة، وكل ما يندرج ضمن اللسانيات التطبيقية Linguistique appliquée.

فما يلاحظ على تعليم اللسانيات في الجامعة هو هذه **الفجوة العميقة بين ما هو معرفة لسانية نظرية، وبين ما هو معرفة لسانية تطبيقية.** مضافًا إلى ذلك عدم إدراك المفاهيم اللسانية المتعلقة بهما إدراكًا صحيحا في الكثير من الأحيان، فانجر عن ذلك عدم وضوح الموضوع الذي تعالجه اللسانيات العامة والموضوع الذي تعالجه اللسانيات التطبيقية بفروعها المتنوعة: التخطيط اللغوي واللسانيات الاجتماعية

---

[1]- للمزيد من الإفادة ينظر: محمد إقبال عروي: من بنود الاصطلاح في التراث الإسلامي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، فصلية ثقافية تراثية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، العدد23/22، 1998، المقال كله مهم.

واللسانيات النفسية والترجمة الآلية وعلوم الحاسوب والصناعة المعجمية والذكاء الاصطناعي وعلم المصطلح وعلم أمراض الكلام...فأدى كل ذلك إلى ضبابية الرؤيا، وانغلاق الآفاق أحيانا.

إن كل الجامعات في العالم لها عناية مركزة بالخطاب التعليمي الذي يصف المعرفة ويشرحها ويفسرها وينقلها للمتعلم بصفة عامة، ومنها ما يتعلق باللسانيات بصفة خاصة وهي في أشد الحاجة إلى ذلك في جامعاتنا العربية على الخصوص.

إن من يدرّس اللسانيات هو الذي **يتمثل** المعرفة اللسانية النظرية،والتطبيقية ويستطيع **تمثيلها** بعد ذلك في خطاب تعليمي وبأسلوب مدرسي قويم مفيد واضح؛ أي يحول **المعرفة العالمة إلى معرفة مدرسية واضحة.**

وهذا هو الذي جعل الأمم الأخرى تجيد التعامل مع العلم بمختلف فروعه، وتحقق الفهم فيه وتدرك إجراءاته التطبيقية، وتنفذها فتحقق النتائج وتستثمرها.

لقد كان دوسوسير معلما في كتابه: محاضرات في اللسانيات العامة. وقد كوّن تلاميذ أضافوا إلى المعرفة اللسانية وطوّروها.والأمر نفسه بالنسبة للكثير من اللسانيين والباحثين في أمريكا وأوروبا.وظللنا نحن غير مهتمين بهذا النوع من الخطاب على أهميته في التأسيس لفهم اللسانيات وتطوير البحث فيها.

«وقد كان يهون أن نبقى مقصرين في ميدان وضع النظريات اللسانية، وابتكار المناهج الاختبارية فيها، لو أننا على الأقل قد نشطنا إلى توفير الثقافة اللسانية في جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية».[1]

ونرى ذلك يبدأ من الفعل التربوي الناجح الذي يعمل على تعميق وعينا بأهمية علوم اللسان وأهدافها العلمية من الناحية النظرية والتطبيقية في صناعة وعي كافٍ باللغة العربية بوصفها موضوعاً أساسيا للسانيات بحثاً وتدريسا.

يرى مصطفى غلفان أن الكتابة اللسانية العربية ذات الطابع التعليمي تتميز بعدم القدرة على متابعة ورصد التطورات النظرية التي تعرفها مختلف الاتجاهات اللسانية...فلا نجد مثلا:المقدمات والمداخل التي تقدم صورة متكاملة عن النظريات اللسانية و التحولات التي شهدتها اللسانيات منذ النصف الثاني من القرن العشرين[2]. وذلك بالرغم من الجهود التي بذلت من لدن بعض الباحثين الأساتذة مثل:

- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي.[3]
- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية.[4]
- مباحث تأسيسية في اللسانيات.[5]

---

[1]– عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية...، ص 11.

[2]– ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، ص 40.

[3]– دار الفكر العربي، الإسكندرية، 1962.

[4]– الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

[5]– بدون بيانات وهو و"اللسانيات وأسسها المعرفية"، كأنهما كتاب واحد لما بينهما من قضايا مشتركة عدا بعض الاختلاف البسيط، وسيلاحظ القارئ ذلك.

- اللسانيات من خلال النصوص.[1]
- مراجع اللسانيات.[2]
- قضية البنيوية دراسة ونماذج.[3]
- مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسان الحديث.[4]
- عبد الرحمن الحاج صالح: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، بحث مطول.[5]
- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات.[6]
- أحمد مومن: اللسانيات: النشأة والتطور.[7]
- الراجي التهامي_ توطئة في علم اللغة.[8]
- الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية.[9]
- ونضيف إلى هذه العينة[10]كتابات ميشال زكريا اللسانية.[11]

---

[1]– الدار التونسية للنشر، 1986.

[2]– دار الكتب العلمية، 2009.

[3]– دار أمية، ط1، 1991.

[4]– دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1987.

[5]– مجلة اللسانيات، عدد4، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1974/1973.

[6]– دار القصبة، الجزائر، 2000.

[7]– ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001.

[8]– دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1977.

[9]– دار توبقال، الدار البيضاء، 1985.

[10]– هذه أمثلة فقط وتوجد كتابات أخرى موجهة لهذا الغرض.

[11]– كل كتابات ميشال زكريا نعدها موجهة لهذا لغرض التعليمي الذي يعرف باللسانيات، وقد أنجزت الباحثة "هبة خياري" في الماجستير بحثا مطبوعا عنوانه: "خصائص الخطاب اللساني عند ميشال زكريا" بإشرافي.

والملاحظ أن هذه الأمثلة وغيرها مما يشاركها الصفات والخصوصيات تندرج ضمن ما أسماه مصطفى غلفان[1]:**الخطاب اللساني التمهيدي أو اللسانيات التمهيدية**.تركز كلها على تحقيق الوظيفة التعليمية الناجعة. وهي وظيفة مهمة جدا، لها قيمتها التربوية في البناء والتأسيس، هدفها تعريف القارئ العربي بأسس النظرية اللسانية بفروعها المختلفة، وتوجيهه في ضوئها إلى ممارستها بكيفية حديثة. وقد اتسمت هذه المحاولات بتعاملها مع اللغة العربية من حيث هي أداة وهدف بالنظر إلى مستوياتها: الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي.

5- عدم التوافق بين المعيار و الاستعمال: نرى هذا العامل بالغ الأهمية في واقع البحث اللساني العربي؛ من حيث تأثيره في عملية التحليل والنظر المنهجي في أوساط اللسانيين. و يعد هذا العامل من القضايا الأساسية؛ وكأنه يوجد صراع بين المعيار والاستعمال، وكأن المعيار قيد وسلطة، والاستعمال حرية وانطلاق.

والحقيقة أن الذي يجب أن يكون هو: **التوافق بينهما** بما يقتضيه الوضع اللغوي من معايير وقواعد ضابطة لبنية اللغة. وما يقتضيه الاستعمال من توظيف للتراكيب والبنى اللغوية وعناصرها في السياقات اللغوية المتعلقة بتداول الخطابات اللغوية بالنظر إلى مقاماتها.

إن اللغة وضع واستعمال كما قرر العلماء العرب القدامى.وهي موضوع اللسانيات بوصفها علما.

---

[1]- ينظر كتابه: اللسانيات العربية الحديثة...

لما ظهرت اللسانيات في وطننا العربي، انبرى كثير من النحاة يؤلفون الكتب والمقالات المتعلقة بمسألة تيسير النحو، وهي المسألة التي شغلت الناس، وأسالت كثيرا من الحبر،وألفت فيها العديد من المؤلفات، مثل:تجديد النحو، والنحو الواضح، والنحو المصفى، وتيسير النحو، والخلاصة في النحو...وغيرها.

نفهم منها وكأنها رأت اللسانيات بديلا للنحو، فراحت تكتب دفاعاً عن ذلك، مبوئة النحو المكانة الأولى.

إن النحو يمثل مستوى مهمّا من مستويات التحليل اللساني، وهو العمود الفقري فيه، وقلبه النابض بالحياة والحركة إلى جانب المستويات الأخرى: الصوتي والصرفي والمعجمي. وإنّ الجملة تعد وحدة أساسية في التحليل النحوي، وتعد الوحدة اللسانية الكبرى التي يبدأ منها التحليل اللساني البِنَوي الوصفي، وبناء على ذلك فإنّ بين النحو واللسانيات علاقات وثقى تساعد الدارس على الوصف والتحليل والمنهج المتبع في ذلك.

إنّ النحو و اللسانيات –كما قال المسدي– ليسا ضدين بالمعنى المبدئي للتضاد، كيف و النحو نفسه منذ القدم مفهوم مزدوج؛ إذ هو يعني في الوقت نفسه، جملة النواميس الخفية المحركة للظاهرة اللغوية، كما يعني تفسير الإنسان لنظام اللغة بمعطيات المنطق من العلل والأسباب و القرائن. ويتجلى هذا الفرق المفهومي في الصياغة المزدوجة.نحو العربية أو نحو الفرنسية فأنت تعني نظامها. أو لقولك: النحو العربي أو الفرنسي؛ فالمقصود عندئذ عملية استخراج النظام الداخلي في تلك اللغة.

وكذا الشأن للساني فلا يستطيع كسر أنماط اللغة، ولا التحريض على كسر قواعدها؛ لأن ذلك يخرجه من الوصفية ويدخله المعيارية.[1]

إن للمعيار مقتضياته وإن للاستعمال مقتضياته ومن الضروري الوعي بهما. فلا يمكن **للساني** أن يمارس التحليل إذا كان لا يملك المعرفة النحوية اللازمة. ولا يمكن **للنحوي** أن يستثمر اللسانيات في ما يحتاجه الدرس النحوي إذا كان لا يملك المعرفة اللسانية اللازمة لذلك.

كانت ظاهرة اللحن في العربية هي المحرك الأساسي للمعيار، حفاظًا على اللغة العربية من الأخطاء الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، وذلك من أجل أن تبقى اللغة العربية صافية نقية مجاراة لقدسية القرآن لكريم الذي يمثل مستوى إعجازيا؛ وهذا يعني أن التفكير اللغوي العربي قد نشأ لخدمة الدين الإسلامي، وأنّ الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها هي ضبط اللغة العربية والعصمة من الخطأ. ولذلك فإن الاستعمال يتم ويتحقق تحت سلطة المعيار.

ومما أعاق البحث اللساني العربي، وشكل أمامه عقبة كؤودا. الاهتمام بدراسة **اللهجات** بوصفها ظاهرة لغوية اجتماعية تدرس ما يسمى باللسانيات الاجتماعية؛ شأنها شأن ظاهرة اللحن؛ فأدى ذلك إلى النفور من اللسانيات في الأوساط العلمية والأدبية والثقافية وحتى الرسمية؛ وتم توظيف ذلك توظيفا إيديولوجيا في مجالات عديدة.[2]

6-المعرفة باللغات الأجنبية: وتعد مشكلة جوهرية وفي غاية الخطورة، نظرا إلى أن العديد من الباحثين في اللسانيات-وفي غيرها من التخصصات- لا يعرفون إلا لغة واحدة؛ فمن يعرف العربية لا يعرف

---

[1]- ينظر: عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية...، ص 15-16.

[2]- ينظر: المرجع السابق، ص 16.

الإنجليزية والفرنسية أو هما معًا، والعكس من يعرف لغة أجنبية لا يعرف العربية إلا قليلا نادرا، وقد تأخذه العزة بالنفس فيتخذ ذلك معيارا للتعالي العقيم.

ويترتب على هذا قطيعة في التواصل وتوتّرٌ فيه بدرجات مختلفة بين الباحثين، ويصير التواصل العلمي والمعرفي بين اللسانيين العرب مشكلة. وقد حدث هذا في مؤتمرات و ندوات علمية عديدة لم تستعن بالترجمة الفورية، بالإضافة إلى عدم متابعة ما يكتب من لدن اللسانيين العرب.

إن معرفة اللغات الأجنبية ضرورية ومفيدة للبحث العلمي برمته وفي. جميع فروعه وتخصصاته بما يخدم العربية في جميع خطابتها ومنها الخطاب اللساني وتفعيل البحث فيه بما يطوره ويثريه. و لكنّ الهدف الذي نضعه في أذهاننا، ونعمل على تحقيقه –في نظري– هو أن تكون لنا هوية لغوية عربية لها خصوصياتها المميزة في الثقافة والفكر والفلسفة واللسانيات...

إنّ هذا الهدف السامي الداعي لأن تكون العربية لغة للعلم، لا يجب أن يكون بمعزل عن اللغة الإنجليزية مثلا بوصفها لغة العلم في زماننا؛ فبواسطتها يمكن أن نصدّر فكرنا ولغتنا إلى الآخر الذي لا يعرفنا في الكثر من المجالات ومنها اللغة بصفة عامة واللسانيات بصفة خاصة.

7– ويمكن أن نضيف إشكالية أخرى تتمثل في أن الباحث اليوم مطالب بألا يقرأ في ميدان اختصاصه فحسب؛ وإنما عليه أن يقرأ في ميدان الفكر والثقافة وبخاصة مما له علاقة بالمحيط المكوّن لثقافة اختصاصه. وكما نعلم فإن للسانيات علاقة مع كثير من العلوم والتخصصات

الأخرى، تأخذ منها وتعطيها وتبادلها المفاهيم في معالجة القضايا اللغوية المتعددة، فلها علاقة بعلوم النفس وعلوم الاجتماع وعلوم الحاسوب وهندسة اللغة، وعلوم الأعصاب والبيولوجيا. ولها علاقة بما يسمى الآن العلوم المعرفية Les sciences cognitives. إضافة إلى علوم اللغة العربية من نحو وصرف وأدب ونقد. وكذا الشأن للفلسفة والمنطق والسيميائيات وتحليل الخطاب.

إن الوعي بأن اللسانيات علم معرفي بيني متضافر التخصصات يجعل الباحث اللساني العربي يتعدى «الأطراف الهامشية»[1] في معالجته لقضايا اللغة، ويغوص في أعماق ما يحتاجه البحث اللساني من حيث معالجة القضايا الكبرى، وتشخيصها بدقة وموضوعية، والعمل على اقتراح الحلول التي تخصها وتحقق أهدافها النظرية والعملية.

فيجب أن تخدم الكتابة اللسانية اللغة العربية، قبل خدمة النماذج المطبقة عليها، وتقديم تحاليل حقيقية للظواهر اللغوية المختلفة المتعلقة بها، بألا تكون سردا نظريا لنماذج تجريدية محملة بالأدوات والمفاهيم والاستدلالات الصورية.[2]

ومحصول الحديث من كل هذا أنه لم يعد ممكنا معالجة اللغة من الناحية العلمية بعيدا عن اللسانيات وتطبيقاتها؛ وإنما يتم ذلك في حضور الشروط العلمية والمبادئ العامة التي تقترحها النظريات اللسانية وتصوراتها المتعددة والمختلفة[3]. ويتم ذلك بالنظر إلى علاقة اللسانيات

---

[1]– نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، تصور لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، ص 230.

[2]– ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة...، ص 47.

[3]– ينظر: المرجع السابق، ص 50.

بتضافر التخصصات في معالجة اللغة ودراستها بما يحقق فاعلية الجدل العلمي بين الباحثين من تخصصات علمية مختلفة، وما يكسبهم القدرة على عبورها، ومنهم الباحث في اللسانيات بفروعها المتعددة.

8- غياب المتابعة النقدية للكتابة اللسانية العربية: وتتمثل في الخطاب الناقد المتابع الواصف للمنجز اللساني العربي الحديث؛ من حيث مصطلحاته ومفاهيمه وقضاياه المختلفة، ومن حيث علاقاته بخطابات الآخر، ونقله إليها ومقارنته بها. ومن حيث تبيين أصالته المتمثلة في جملة خصوصياته المميزة في اشتغاله على الظاهرة اللغوية، بما يرسم خريطته الخاصة ضمن المعرفة اللسانية.

فما يلاحظ هو غياب هذا النوع من الكتابة النقدية اللسانية من الساحة العلمية وعدم حضورها إلا قليلا نادرا. وهو لا يتعدى في الكثير الأغلب **الدراسة الاحتفائية** التي تُعلي من شأن هذا أو **الدراسة القدحية** التي تحط من شأن ذاك بدون تَرَوٍّ معرفي وضبط منهجي ووعي واضح بأصول النقد العلمية والأخلاقية.

وما عدّته بعض الدراسات «بأنه تحليل نقدي، هو –في الواقع– إما سيل من المجاملات، وإما كلام يحمل في باطنه وظاهره سائر أنواع القدح وأساليب متنوعة من الاستهزاء المباشر أو المبيّت».[1]

نقرأ في هذا المقام ما كتبه عبد القادر الفاسي الفهري لصديقه الباحث اللساني والمترجم السعودي حمزة بن قبلان المزيني:

«الأخ العزيز حمزة.

لا، لم يصلني منك شيء. أنا أكتب أتساءل عن صمتك.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 93.

لا أدري، أيها الأخ العزيز. كيف ما تزال صامدا أمام ترهات العرب، وخاصة التراثانيون[1] منهم.

ألم يضيع العرب كل شيء. أضاعوا أوطانهم وشعوبهم وشخصيتهم وقيمهم، وصاروا مفترين متسلطين، لا يقدرون على شيء سوى اتهام الغرب، وادعاء السبق والركب قد فاتهم، وأصبحت صورتهم مشوهة!! لا يقدّمون إلا فتيان الكراهية، يدوس واحد منهم بشاحنة مئات الأبرياء، تلك بطولتهم. ولا يفعلون شيئا لاستدراك أخطائهم أو إيقاف منتوجهم البشع! فلا بد أن يثوروا فورا على أنفسهم، ويعوا ما أصابهم من الوهن والنقص، ويشرعوا في التعلم من المعلمين عند غيرهم اليوم، كما فعلوا بالأمس حين أرادوا النهوض.

تشومسكي نابغة ومعلمة يشهد له الجميع بذلك، من خصومه قبل أصدقائه، وهو مدافع عن العرب، وقضاياهم بجرأة لا تتوفر للعرب، وقد منعه الإسرائيليون من دخول إسرائيل سنة 2008.وفتحوها أمامي ورفضت. وتكالب من أجل دخولها عرب آخرون. وطبلوا وفرحوا. ولا يجد العلماء العرب سبيلا إلى رد جميله سوى اتهامه بالسرقة العلمية !!

إن نظرية تشومسكي اليوم أبعد ما تكون عن نظرية الربط العاملي التي اقترحها سنة 1979، كم من النظريات والتحاليل التي اقترحها، بل وتجاوزها وهم لا يزالون يتشبثون بالفتات البائد منها !!

---

[1]–الصحيح من الناحية النحوية: "التراثيين" منصوبة لا مرفوعة. تبدو لغة الفاسي الفهري ركيكة وبها أخطاء كثيرة مما يؤثر على قيمة المحتوى الذي يقدمه. والملاحظ أيضا أن هذا المصطلح: التراثانيون، محمّل بكثير الإدانة والاحتقار.

لقد توفي مازن الوعر مع خرافاته وضعف أفكاره القومية المتسرعة غير الموفقة. وضعف سنده وكلامه.

وخرّب الحاج صالح أجيالاً كاملة بأساطيره، ووقف حاجزا مانعا يمنع جيوشا من الشباب الجزائري المتطلع إلى المعرفة وإلى الجديد بأساطيره حول تشومسكي الذي قابله مرة واحدة، وكذب عليه، وكذب على الخليل ابن أحمد رحمه الله!.

وفي السعودية قبل سنتيْن، طلع صوتٌ، بعد محاضرة التونسي الأستاذ عبد القادر المهيري عن ابن جني يقول: إنّ ابن جني أجاب عن كل شيء في تراثنا، فلماذا نذهب إلى الغرب للتعلم. ونحن أصحاب السبق؟!

إن جامعيينا ينشرون الجهل، ويفسدون عقول طلابنا وأبنائنا، ويحرمونهم من كسب المعرفة العلمية التي يكسبها مختلف أبناء العالم.

إن هذا التضليل هو تلويث معرفي جدير بالتجريم !

إن مسؤولية تكوين أجيالٍ متشبعة بالمعرفة العلمية الموضوعية وبالانفتاح على سائر الثقافات والتجارب الكونية مهمة الدولة قبل كل شيء كما تعلم. ولكن هي أيضا مهمة الجميع، وخاصة النخب والمجتمع المدني.

أتمنى أن تكون بخير، وأن تواصل تصحيح المفاهيم بموضوعية واعتدال مع أطيب التمنيات.

د. عبد القادر

«2016/07/20»[1]

[1]– رسالة عبد القادر الفاسي الفهري، بحث في تويتر**pdf**:https://twitter.com والرسالة محفوظة هنا أيضا: https://www.evernote.com

حرصت على أن أقدم هذا النص كما هو حتى يطلع عليه القارئ في سياقه الكامل.

يصنف هذا النص ضمن النصوص الرسائلية التي يتم تبادلها بين الأصدقاء والخلّان ومَنْ بينهم علاقة حميمة. وهو هنا قد أرسله الفاسي الفهري اللساني المغربي إلى حمزة بن قبلان المزيني اللساني والمترجم السعودي. يتم في هذا النوع من النصوص التحرّر إلى حدّ ما من بعض المعايير الضابطة، ويحصل نوع من الاستراحة والأنس بين مَنْ يتبادلانه.

هذا النص بما فيه ينضح، وقد تقوّل بعض الأقاويل على علماء لسانيين مثل: عبد القادر المهيري اللساني التونسي، وعبد الرحمن الحاج صالح اللساني الجزائري، ومازن الوعر اللساني السوري... ومن سار في فلكهم.

لا أريد أن أقف عند كل جزئية من الجزئيات. وإنما أوردت هذا النص ليكون دليلا على **عدم وجود خطاب نقدي لساني يواكب ما ينتجه البحث اللساني العربي، وما يصل إليه من نتائج. ويصدر أحكامه عليه بموضوعية علمية وتواضع العلماء.**

تجاوز عبد القادر الفاسي الفهري، وهو يكتب نص هذه الرسالة إلى صديقه حمزة المزيني، **اللسانيَّ إلى السياسي. بل إلى الدوغمائي.** وهو إذ يصف عبد الرحمن الحاج صالح بما وصفه من تخريب للعقول والوقوف حاجزًا مانعا أمام الباحثين الشباب في الجزائر، وعدم التطلّع إلى المعرفة الجديدة، والكذب على الخليل بن أحمد وتشومسكي. فهذا يؤكد عدم معرفته الصحيحة بالحاج صالح وكذا الشأن لحديثه عن مازن

الوعر الذي وصفه بعدم الرصانة العلمية وضعف الأفكار القومية والخرف.

وعبد القادر المهيري الباحث التونسي المشهور، وقد عاب عليه الاهتمام بابن جني وغيره من العلماء العرب القدامى، لم يقدمه على أنه البديل عمّا وصل إليه البحث اللساني الغربي الحديث. والصوت الذي خرج في السعودية يرفض كل ما جاء به الغرب بعد محاضرة المهيري عن ابن جني يتحمل مسؤوليته وحده، ثم إنه يعبّر عن رأيه وللقرّاء والمتابعين الحكم.

وكذاك الأمر بالنسبة للحاج صالح في حديثه عن الخليل وسيبويه وغيرهما من العلماء العرب القدامى الأجلاء. ولا أحد من هؤلاء الدارسين اتهم تشومسكي بالسرقة؛ بل أعلَوْا من شأنه ووضعوه في ريادة البحث اللساني.

تمنيت –والتمني طلب المستحيل أو ما فيه عسر– لو أنّ الأستاذيْن الفاضليْن المحترميْن العالميْن اللسانييْن الكبيريْن المشهوريْن في العالم العربي وفي العالم أيضا، نظرا للجهود العلمية التي أفادا بها البحث اللساني العربي والإسهام في تطويره، تمنيت لو لم يقولا هذا الكلام، لأنني أراه ليس من مقامهما، ولا يقدم فائدة للباحثين، ولا يرسّخ في الناشئة أخلاق العلم، بقدر ما يرسخ روح التعالي والقطيعة بين ما هو قديم وما هو حديث، وما هو تراث وما هو حداثة.

أقدّم في هذا المقام هذا الرأي لمصطفى غلفان:

«والواقع أنّ أبرز الكتابات اللسانية العربية لم تقوّم نظريا ومنهجيا بعد. ولم يلتفت لقيمتها الإيجابية في تنمية الدرس اللساني العربي

وتطويره. لقد عرف النشاط اللغوي العربي الحديث أبحاثا ودراسات ذات قيمة نظرية ومنهجية عالمية فيها أصالة وإبداع، تجاوز بعضها حدود العالم العربي. إلا أنّ هذه الأبحاث لم تنل ما تستحقه من عناية واهتمام؛ إذ لم يتم بعد، أي تحليل منهجي شامل ومتكامل لأبعادها وحدودها في مقاربة اللغة العربية لسانيا».[1]

نؤكد على وجاهة هذا الرأي –بالرغم من أن غلفان[2] يقصد اللسانيين المغاربة أكثر من غيرهم– فكثير من الأبحاث والكتابات اللسانية العربية ذات القيمة العلمية لم يتم تقويمها بموضوعية ومن بينها كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية الذي لم يأتِ في كتاب غلفان "اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية" إلا على سبيل الذكر العابر مع أنه مؤسس حقيقي للسانيات العربية.

ما زال عبد الرحمن الحاج صالح لم يقرأ بعد، ولم يكتشفه كثير من الباحثين اللسانيين، ولم يعرفوا ماذا كتب. وحتى كتابات الفاسي الفهري وحمزة المزيني وما بذله من جهد يُذكَر فيُشكَر في الترجمة من اللغة الإنجليزية هي أيضا لم تنل حظها من التقويم العلمي الموضوعي.

يتحدث الفاسي الفهري، وكأنه ليس عربيا، وكأنه يتباهى بذلك. ويتباهى بأن إسرائيل قد فتحت له أبوابها وشرّعتها. وأغلقتها في وجه تشومسكي لأنه يناصر العرب. والسؤال الذي يمكن طرحه هنا، هو لماذا أغلقتها على تشومسكي وغلّقتها ولماذا فتحتها للفهري وشرّعتها؟ أيعود ذلك إلى قيمته العلمية وتقديرها؟ أم لأسباب أخرى؟

---

[1]– مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة...، ص 54.

[2]– طبع غلفان كتابه سنة 1991؛ أي قبل عشرين سنة يستجد فيها ما يستجد.

ويبدو من ناحية أخرى، كأنه يريد أن يحتكر دراسة تشومسكي له وحده ومن معه ولاحقّ للآخرين أن يُبدوا آراءهم فيها.

صحيح أنّ معرفته بنظرية تشومسكي واسعة ويُعد واحدا من ممثليها البارزين في عالمنا العربي. ولا أحد بإمكانه أن ينكر تعمقه فيها. ولكنّ السؤال الذي يُطرَح في هذا المقام: هو أنّ تلاميذ تشومسكي: جاكندوف ولايكوف وجونسن... وغيرهم قد تجاوزوا أستاذهم إلى اللسانيات المعرفية. وظل الفهري يرددها ويشرحها ويحاول طرحها بديلا دون أن يعير اهتماما للتراث اللغوي العربي وبخاصة النحوي منه، وهو غير متجذر فيه.

وإذا كان عبد الرحمن الحاج صالح قد اقترح النظرية الخليلية الحديثة، بعد قراءته للتراث النحوي العربي قراءة معمقة فإن الفاسي الفهري لا يوجد له بديل يقترحه.

إنّ ما جاء في هذا النص فيه الكثير من التعالي وإشعار الآخر بالدونية وهي صفة مميزة للحداثانيين قياسا على التراثيين. ولكن: مهلا لابد من الحذر، إن خلف التعالي تواريًا[1].

حصر عبد الرحمن الحاج صالح[2] الصعوبات التي تواجه الباحث اللساني العربي عند معالجته للموضوعات اللسانية في مشكلتيْن أساسيتيْن هما:

---

[1]– نكتفي بهذا والمسألة تحتاج إلى بحث مستقل.

[2]– ينظر: مدخل إلى علم اللسان الحديث: تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، نشر في مجلة اللسانيات، المجلد1، الجزء1، 1971، ص 9–35. ومنشور في كتابه: بحوث

- مشكلة اللغة العلمية والمصطلحات.
- مشكلات الأوهام العلمية الشائعة.

وما انجر عنهما من مشكلات جزئية أخرى أضرت باللغة العربية؛ من حيث أداؤها في التعبير عن المعاني العلمية باللغة المناسبة والمصطلحات الدقيقة.

ومن حيث الأخطاء في الأصول المنهجية أو في تطبيقها على البحث العلمي ومن حيث الأوهام التي تتعلق ببعض النظريات وتفسير الظواهر اللغوية وتعليلها.

وإذا كان الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قد كتب هذا الكلام منذ 1971 فإنا نراه ما زال له تأثيره إلى الآن في الكثير من المقامات والأوضاع. بالرغم مما شهده البحث اللساني العربي من تطورات ولو بطيئة.

هذه العوامل وغيرها شكّلت للباحث اللساني العربي صعوبات كبيرة في معالجة الظواهر اللغوية المتعلقة باللغة العربية بصفة عامة ومنها:

الهدف من البحث اللساني وفائدته في خدمة العربية؛ بحيث يترتب على ذلك نشوء بحثٍ علمي خاص بها من جوانبها المختلفة البنوية والخطابية المتعلقة بوضعها واستعمالها. يمكن تسميته: «**اللسانيات العربية**».

ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 11 وما بعدها.

ثانيا/ العلاقة بين التراث والحداثة: هل توجد لسانيات عربية؟

يمكن أن نتحدث هنا عن ثلاثة اتجاهات كبرى في هذه المسألة الإشكالية. اتجاه عدم وجود لسانيات عربية. واتجاه مضاد يقول بوجود لسانيات عربية. ولكل منهما حججه ومبرراته. ولمّا كان ذلك كذلك، كان بينهما الفعل ورد الفعل المتساويين في الشدة والمختلفيْن في الاتجاه كما يقال في الفيزياء.

وقد أدّى ذلك إلى اتجاه ثالث يحاول التسوية والتوفيق بين هذا وذاك منتقيا ما يراه إيجابيا فيهما معًا ليجمع بينهما، وبما يتماشى مع أغراضه وأهدافه.

ترتبط هذه **الإشكالية المعرفية والمنهجية** بالعلاقة بين التراث والحداثة. فما هو التراث؟ وما هي الحداثة؟ وما هي العلاقة بينهما بصفة عامة؟ وعلى المستوى اللساني بصفة خاصة؟ لأن اللغة هي الحامل الناقل لأدلة الوعي بالتراث في مختلف تنوعاته وأبعاده وأشكاله الخطابية المتعددة بصفة عامة، وبما يمثله من جهود بذلها العلماء العرب القدامى في دراسة لغتهم من نواحيها الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية... بصفة خاصة.

تُوصَف العلاقة بين التراث والحداثة عادة بأنها علاقة مأزومة. ولذلك كثيرا ما نتحدث عن الأزمة، وكأنها علامة غير طبيعية وكأنها كارثة نعانيها وتعانيها لغتنا معنا. **وإنما الأزمة مسألة طبيعية**؛ فالذي لا يشعر بالأزمة ميت يحتفل برماده. وإن الحي هو الشاعر بالأزمة؛ لأنها تمثل البعد الإيجابي في التفكير في الأشياء المختلفة ومحاولة معالجتها

وإيجاد الحلول لها. وبناء على هذا فإنها لا تعني الطريق المسدود أو الانسداد.[1]

إنّ الأزمة اللسانية المعاصرة لا تتعلق بالتراث اللغوي ولا بالحداثة اللسانية؛ فالعلاقة بين الأصالة والمعاصرة هي علاقة حركية فعالة في التكوين الحضاري العلمي الإنساني، ومنفعلة به في الوقت نفسه. ولكي تستمد اللسانيات –بوصفها علما– شرعيتها العلمية والموضوعية والمنهجية لابد أن تستند إلى التراث اللغوي والعالمي.

وبناء على ذلك فإن الانفصام بين التراث اللغوي العربي وبين الحداثة اللسانية ينتج عنه أزمة منهجية في الثقافة العربية المعاصرة.[2]

لا يعني مفهوم الأزمة المعنى السائد الذي يعني الكارثة، بقدر ما يعني مرحلة قلق وتفكير وتوثّب ووعي واستشراف، فهو دليل من أدلة اشتغال الوعي اشتغالا إيجابيا، والقدرة على تحليل الواقع بما يحمل من أعراضٍ واختلالات والعمل على حلّها.[3]

ولذلك فعندما نصف البحث اللساني العربي بالأزمة؛ فذلك أمر طبيعي في نظري، يدل على أننا منشغلون بتطويره وتحسينه وتنميته لتحقيق أهدافه المتجددة بتجدده.

---

[1]– نذكر في هذا الشأن بول شاوول؛ فقد حدد مفهوما متميزا للأزمة يخالف السائد وكسر المألوف، ينظر: ثمانية مسائل أساسية في القصيدة العربية الحديثة، مجلة دراسات عربية، عدد3، دار الطليعة، لبنان، 1982.

[2]– ينظر: مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للترجمة والنشر، سورية، ط1، 1988، ص 359.

[3]– ينظر: بشير إبرير: دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، إربد، 2010، ص 192.

ويعني أيضا أننا نفكر في تاريخه وفي التراث الذي سبقه ويستند إليه.

إن التركيز على ضرورة تحديد أزمة اللسانيات العربية –برأي امحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي– تحديدا دقيقا ينم عن وعي بأهمية "أزمة العلم" ولحظتها الدالة في تاريخ العلوم؛ لأن الأساس الذي يدفع العلم إلى تجاوز الأزمة ونقد نفسه نقدا راجعا بالنظر في أسسه ومناهجه السابقة[1]. يرى مصطفى غلفان أن هنالك خلطا موجودا في كيفية تصور اللسانيين العرب لمفهوم أزمة البحث اللساني. ويميز بين وضعيتين هما:

- وضعية اللسانيات التي يمارسها اللسانيون العرب كما وعوعا وأدركوها، بوصفها نشاطا علميا وفكريا يتجلى في أبحاثهم وكتاباتهم.
- ووضعية اللسانيات عند جمهور المثقفين والمتنورين العرب؛ أي الكيفية التي تتمثل بها الثقافة العربية الأفكار والتصورات اللسانية، مثل: الخلط بين النحو واللسانيات وبينها وبين معارف أخرى مثل: فقه اللغة والمعجم، أو الاعتقاد بأن اللسانيات هي معرفة أكبر عدد من الألسن العالمية.[2]

---

[1]– ينظر كتابهما: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، 2009، ص264.

[2]– ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، ص20.

إنّ أزمة اللسانيات هي في الحقيقة أزمة في الأسس التي ينبني عليها العلم؛ «أي في المنطلقات الفكرية والنظرية والمنهجية التي تؤسس مجالا معينا وتحدد معالمه. إما لعدم وضوحها بالشكل الكافي، وإما لكون التراكم المعرفي المتوفر في هذا المجال قد وصل إلى الطريق المسدود في مستويي التحليل أو النتائج أو هما معًا؛ مما يتطلب إعادة النظر في الأسس والمبادئ العامة التي يقوم عليها هذا المجال المعني».[1]

يلتقي مصطفى غلفان في رأيه هذا مع عبد الرحمن الحاج صالح الذي حصر الأزمة في «الأصول التي تعتمد عليها هذه المنهجية وكذلك النظرة إلى التراث وكيفية تقويمه»[2]، ومن هنا يتضح –كما يقول– عدم إلمام بعض المؤلفين لا بأصول هذا العلم وجزئياته فحسب بل حتى بالمشاكل التي يطرحها وبالحلول التي يقترحها علماؤه».[3]

يقصد عبد الرحمن الحاج صالح بالأصول المنهجية والمعرفية الخاصة بعلوم اللغة العربية وعلوم اللسان خاصة. حاجتها المسيسة إلى معرفة الأصول والمنطلقات والمبادئ الفكرية المؤسسة وما لها من دور في بلورة الرؤيا وتوضيحها.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 20.

[2]– عبد الرحمن الحاج صالح: تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد4، 2006، ص 9.

[3]– عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث: تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، المجلد1، الجزء1، 1971. منشور في كتابه: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، 2007، ص 9.

إن المجتمعات المأزومة-برأي عبد الإله بلقزيز- هي أكثر المجتمعات عناية بماضيها، بإعادة الانتباه إليه، وإعادة التفكير فيه وقراءته، عساها تعثر في خبرته التاريخية عن أجوبة ناجزة، أو عن خامات قابلة لتصنيع أجوبة عن مشكلات حاضرها.[1]

يتجلى ذلك في تصورات عديدة وأشكال متنوعة من الخطاب...

ولما كانت **الحداثة** هي جملة التشكلات الفكرية والسلوكية ودعامتها المؤسسية المرتبطة بظهور المجتمع العصري، يبدو ذلك في جملة من المظاهر: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي يمكن اختزالها في:

الإطار المادي/أو الحداثة المادية التي تعني التطورات المختلفة التي تتعلق بالإطار الخارجي للوجود الإنساني.

والإطار الفكري/أو الحداثة الفكرية، وتعني الرؤى والمناهج والمواقف الذهنية التي تهيئ تعقّلا يزداد تطابقه تدريجيا وشيئا فشيئا مع الواقع.

ولعل الخطاب اللساني العربي يدخل ضمن هذا النوع من الحداثة باعتباره يعبّر عن رؤى ويتوسل مناهج في التطبيق، ويتبنى مواقف خاصة به، بحسب ما يسمح به مجاله وخصوصياته المميزة له عن غيره من الخطابات.[2]

---

[1]- عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2014، ص 19.

[2]- ينظر: بشير إبرير: دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، ص 245-246.

ولما كان التراث –في أصله– مدونة أو رسالة لغوية فإنّ هذه الرسالة مفتوحة على القراءة وتعددها وتجددها، تبعا لتعدد القرّاء ومرجعياتهم واتجاهاتهم الفكرية المختلفة. ومواقفهم من التراث والحداثة في الوقت نفسه.

سبق أن أشرنا إلى أنه توجد ثلاثة اتجاهات أساسية في علاقة التراث بالحداثة نشير إليها هنا باختصار وهي:

- **الاتجاه الأول: لا توجد لسانيات عربية:**

وحجته في ذلك أن اللسانيات بوصفها علما له مفهومه وموضوعه ومنهجه ونتائجه التطبيقية قد ظهرت مع العالم اللساني دوسوسير. وكل ما وُجِد قبل ذلك لا يدخل ضمنها. وأنّ ما تعلق بالعربية؛ إنما هو تراث لغوي. ولا يدخل ضمن اللسانيات. وكأنه ينفي صفة العلم عن المنجز اللغوي قبل دوسوسير. ومنه التراث اللغوي العربي المؤسس أصلا على "**علم العربية**". بما يحمله هذا المصطلح من مفهوم له اعتباره في اللغة العربية. فإن قلت لهم: إن الغربيين أنفسهم عادوا إلى تراثهم المتنوع ومنه التراث اللغوي. ودرسوه وقرأوه وتمثلوه وراحوا يؤرخون للسانيات ومؤسسيها الأوائل قبل دوسوسير. وذلك ما نقرأه مثلا في ما كتبه "جورج مونينG. Mounin" عن تاريخ اللسانيات؛ إذ عاد إلى رواده الأوائل باحثا عن منطلق الحدث اللساني[1]. قالوا: "إنّ ذلك يتعلق بالغربيين في دراسة لغتهم. والغربيون لم يشيروا إطلاقا إلى الجهود العربية القديمة في علوم اللسان، وهي فترة مقدرة بثمانية قرون كاملة من العطاء الحضاري واللغوي النوعي تمتد من القرن الرابع إلى الرابع

[1]– منية الحمامي: التراث اللغوي وإشكالية المناهج الوصفية الحديثة، مجلة التواصل اللساني، المجلد2، العدد3، 1990، ص7.

عشر الميلاديين". وكأنهم في قولهم ذاك يعطون الحق للغربيين في التأريخ لعلم اللسان ولا يعطونه للعرب. وهم بذلك يؤكدون التبعية للغرب والقراءة بعيونه والحكم من خلالها على التراث العربي برمته ومنه التراث اللغوي.

إنّ هذه القفزة، وهذا التخطي وعدم الالتفات إلى الفترة العربية في علوم اللسان ومدى تأثيرها، لم تكن عفو الخاطر من لدن الدارسين الغربيين.

يقول عبد السلام المسدي في هذا المقام: «وهذه القفزة الاعتباطية أو ما يمكن أن نسميه بالثغرة العربية، في تأريخ اللسانيات لا يفسّرها جهل المؤرخين للغة العربية بما أنهم يستعرضون ثمرة حضارات لا يعرفون لغتها؛ بل تراهم يقفون بالحدس والتخمين على عصور انقرضت لغة الأمم التي عاشت فيها؛ وإنما يفترض فحسب أنهم وضعوا نظرية في اللغة. وليس تراث التفكير اللغوي وحده "المنسي" في هذا المقام، بل إن العربية ذاتها باعتبارها نمطا لغويا لا تجد حظها عادة عند استعراض اللسانيين لنماذج اللغات في العصر الحديث».[1]

تتعدى المسألة تغييب الإشارة إلى الجهود العربية في التأريخ لعلوم اللسان، وإنما تمتد إلى تغييب مستخلصات الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها في الحضارة الإنسانية بصفة عامة والحضارة الأوربية بصفة خاصة. فقد اهتم الباحثون الأوربيون بما يهم أوربا فقط. وأما العالم العربي –كما يرى محمد أركون– فظل مستبعدا من دائرة اهتمام

[1]– عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط1، 1981، ص21.

مؤرخي القرون الوسطى في الغرب.. هكذا نجدهم يهملون ويرمون في غياهب الشرق المظلم كل ذلك النطاق الثقافي والفكري المتواصل من إيران إلى حدود الأطلس. ومن بغداد إلى السوربون إلى أكسفورد عبر قرطبة وطليطلة ومونبيلييه.. لقد ساهم "رينان" ولزمن طويل في ترسيخ الفكرة القائلة: "... إن الفلسفة العربية لا أصالة لها بالقياس إلى الفكر الإغريقي. وإنها لم تأت بجديد".[1]

يتميز هؤلاء الدارسون العرب من الناحية الفكرية، **بانقطاعهم عن التراث في الحداثة، أو ما توهموا واعتقدوا أنه حداثة. أو أنهم فهموا الحداثة بطريقة مُعوَجّة**؛ فقد حدث لهم ما حدث للأحمر صاحب الأفكار الحمراء الشخصية الأساسية في رواية "الجازية والدراويش" لعبد الحميد بن هدوقة؛ إذ انقطع عن الحاضر في المستقبل. وصار يتحدث عن مستقبل يتجه كلية إلى المستقبل. وهو زمن مستحيل بالطبع. وانقطعوا هم عن التراث في ما توهموه حداثة، وراحوا يتوجهون من الحداثة إلى الحداثة وما بعد الحداثة...

وأكثر من ذلك أنهم مناهضون للتراث كيفما كان، واصفينه بالتخلف محملينه مسؤولية التأخر الذي نعانيه. وأن من مصلحة العرب –في رأيهم– إذا أرادوا النهوض والدخول في عالم الحداثة، أن يحققوا قطيعة معرفية مع التراث الماضي بصفة عامة، ومنه التراث اللساني العربي. فماذا تفيد العودة إلى الخليل وسيبويه وابن جني والجاحظ وعبد القاهر.. وغيرهم؟ يتميز خطاب هؤلاء في كثير من الأحيان بتتفيه الرأي

---

[1]– محمد أركون: ابن رشد رائد الفكر العقلاني والإيمان المستنير، عالم الفكر، عدد4، 1994،ص19.

المخالف دون الاستماع إليه ومحاورته. والاستعلاء عليه دون الاقتراب منه. ونَعْتِه بالسطحية والانغلاق والانحسار، والتسطيح، وضيق الآفاق بل وانعدام الرؤيا. دون محاولة قراءته والتعامل مع آرائه بموضوعية.

ولعلهم –برأي عبد الإله بلقزيز– لم يدركوا أن سؤال التراث يعظم أمره، ويتضخم أكثر في حالة الثقافات المكتنزة بالتاريخ، والمسكونة به، أي في حالة المجتمعات التاريخية، أو ذات الميراث التاريخي الكبير... وتلك حال الثقافة العربية في مجتمع يتنفس التاريخ، كالمجتمع العربي الإسلامي، وترتسم على صفحة ثقافته هواجس التاريخ فيه. والغالب على هذه المجتمعات التاريخية الشعور بالاستمرارية فيها وعدم "الانقطاع" ومنها: **الاستمرارية اللسانية للغة الأمة والوحي... واستمرارية منظومة القيم الموروثة على قاعدة استمرار مفعول الدين والعرف في النظام الاجتماعي.**[1]

لقي هذا الاتجاه المتنصل من التراث والمنقطع عن أصوله نوعا من التشجيع لما يطرحه من أفكار من لدن الأفراد والمؤسسات أيضا. فكان له تأثيره الإيديولوجي المحدد في توجيه الفكر وتشكيل العقل. وظهر ذلك في الأدب والنقد واللسانيات والتربية...

والحق أن الكثير من هؤلاء لم يأتوا بالجديد الذي يزعمونه؛ وإنما اتخذوا من بعض الدارسين الغربيين[2] أمثلة ونماذج يرددون بعض أقوالهم وآرائهم ويدافعون عنها، حتى ليُخيَّل إليك أنهم آلهة يعبدونها،

---

[1]– ينظر: عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، ص 22.

[2]– لا نلوم الغربيين ولا نعنيهم جميعا، فمنهم من أنصف التراث اللغوي العربي. ولكنّ اللوم كله على بعض الدارسين العرب الذين لا يجتهدون بقدر ما يمجدون ولا يعترفون بقيمة المعرفة إلا إذا جاءت من الغرب.

وينسبون إليها النظريات دون تحرّج علمي وفي الوقت نفسه يستنكرونها على أعلام التراث وعلى التراث اللغوي العربي برمته.

ولا يكادون يذكرون المراجع التي يأخذون عنها أحيانا كثيرة، وهي سمة بارزة في التأليف العربي الحديث الفكري ومنه التأليف اللساني.

فللمصادر والمراجع قيمتها المؤثرة الوازنة، في الإحاطة بالظواهر المدروسة وتمثّلها من حيث مفاهيمها ومصطلحاتها وتطوراتها وتصوراتها ومستجداتها. ومن حيث سياقاتها ومنابعها الفكرية، والخلوص منها إلى النتائج المضبوطة والأحكام الموضوعية.

- **الاتجاه الثاني متقوقع على نفسه في التراث:**

إذا كان الاتجاه الأول قد أنكر الماضي؛ بل واحتقره أيضا. وتميّز بنزعة إنكارية احتقارية للماضي والتراث، فإن هذا الاتجاه، قد تميز بالتقوقع على نفسه في ماضيه دون فتح النوافذ للتهوئة. ورفض المستقبل، أو كل ما اعتبره حداثة. أو يدخل في بابٍ من أبوابها.

يمثل هذا الاتجاه خطابا يحيا على مديح بعض الهوامش في التراث يرددها جاهزة كما هي. ويقف ضد كل جديد وافد؛ بل ويراه –برأي حسام الخطيب– دسيسة أجنبية، وأفكارا مستوردة وبدعا مسقطة من الخارج. وأكثر من ذلك يشيع أن كل جديد في إحراز الثقافة إنما يستهدف شيئا واحدا هو القضاء على ثقافتنا وأصالتنا.[1]

ينظر هؤلاء إلى التراث بوصفه مقدسا لا يقبل النقد. وهو النموذج الكامل الذي يجب الاقتداء به. ولم يخرجوا من الناحية اللسانية عن

[1]– ينظر: مازن الوعر: قضايا أساسية، ص 353. وبشير إبرير: دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، ص 256–257.

بعض مقتضيات المعيار من مثل: قل كذا ولا تقل كذا، وصحيح وخطأ. وعدم تجاوز ما تقتضيه بعض أحوال الإعراب، وبعض القضايا النحوية والصرفية البسيطة. واجترار بعضا لمقولات الجاهزة من مثل: هذا غير موجود في العربية، ولم تقل العرب بهذا... وكأنهم يعرفون كل ما في العربية... وبعض المقولات البلاغية التي أفرغوها من محتواها يتم اجترارها مع جميع النصوص بعيدا عن سياقاتها اللغوية، ومقتضيات الاستعمال بالنظر إلى مقامات التخاطب وأحواله المتعددة.

فلا يتم الانفتاح –في نظرهم– على الدراسات اللسانية الغربية؛ لأنها لم تأتِ بالجديد، وأنّ ما جاءت به، لم يتجاوز ما هو موجود في التراث اللغوي العربي. وكثيرا ما يوردون بعض المقارنات من مثل:

التراكيب اللغوية التي جاء بها تشومسكي، والبنية العميقة والسطحية وغير ذلك سبقه إليها الجرجاني...

متناسين أنّ السياقات المعرفية التي أوجد فيها تشومسكي نظريته اللسانية تختلف تماما عن نظرية الجرجاني اللغوية في النظم. فإذا كانت نظرية تشومسكي اقتضتها أهداف علمية تقنية متعلقة بحوسبة اللغة الإنجليزية، فإن نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني نظرية بلاغية إعجازية مرتبطة بنص القرآن الكريم وحدث الوحي.

وحتى إذا كان يوجد بعض التشابه وبعض التقاطعات، فإن لكل منهما مرجعياته الفكرية التي تؤطر خطابه. ثم إن العلماء العرب القدامى لم يكونوا متحجرين في دراستهم للغتهم.

إنّ المنتمين إلى هذا الاتجاه لا يملكون –في غالب الأحيان– أدوات المنهج التي تمكنهم من القراءة الصحيحة للتراث والحداثة والتواصل معهما بنظر نقدي عميق مؤسس على استيعاب المفاهيم والخطابات التي

أنتجتها. وهم–بذلك– **يعيشون قطيعة مزدوجة.** مع الماضي/التراث ومع الحاضر/الحداثة. جعلتهم لا يدركون المفاهيم الأساسية في الدرس اللساني من ذلك مثلا:

عدم وضوح مفهوم التطبيق في أذهانهم، وعدم وضوح التصورات المفاهيم ومصطلحاتها في رسم الحدود بين المعارف اللغوية، والتعبير عنها.

إنّ قراءة اللغة ليست هي قراءة التراث. والوصف ليس هو المعيار، وهنالك فرق بين الوضع والاستعمال، وبين التركيب والتوزيع والتوليد والتفريع... ونضيف إلى ذلك عدم تصورهم الصحيح للتراث نفسه، وعدم الوعي به الوعي المنهجي اللازم المؤسس على المعرفة العميقة بالأصول المعرفية التي نشأت فيها مفاهيمه ومصطلحاته وترعرعت ووظفت في التعبير عن المعرفة.

يقول عبد الرحمن الحاج صالح:«إنّ البحوث العلمية التي تتطرق إلى ما تركه العلماء العرب القدامى في علوم العربية والعلوم اللسانية عامة لفي حاجةٍ مسيسة، في نظرنا، إلى شيء كثير من التجديد. وهذا يشمل كل جوانب البحث. ولا يقتصر على منهجيته فقط. وأحوج هذه الجوانب إلى ذلك الأصول التي تعتمد عليها هذه المنهجية، وكذلك النظرة إلى هذا التراث وكيفية تقويمه».[1]

يؤكد عبد الرحمن الحاج صالح من خلال هذا النص وغيره من النصوص الكثيرة في كتاباته اللسانية مدى وعيه بما تحتاجه دراسة

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح: تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد1، السنة الثانية، 2006، ص 9. وقد ألقي أيضا في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مارس 2005.

التراث اللغوي من إدراك له ولنواميسه وقوانينه المتنوعة وسياقاته وأصوله ومنهجيته والنظرة إليه، وكيفية تقويمه وعلاقته بعلوم اللسان. وليس كما عدّه الفاسي الفهري منتميا إلى هذا الاتجاه مخرّبًا لعقول الناشئة. ولا ندري لماذا الأستاذ الفاسي الفهري يفكر بهذه الطريقة !!

- **الاتجاه الثالث: انتقائي:**

يحاول أصحابه انتقاء ما يرونه حسنا جيدا، يقبله الاتجاه الأول والثاني، ولكن –في الحقيقة– ينتقون ما يساير آراءهم ويتوافق معهم، ويحقق أهدافهم من الانتقاء. إن هذا الاتجاه لا يقوم بهذه العملية اعتباطا؛ وإنما من أجل غرض محدد. أو كما قال بول شاوول: «يحاول مركزة التراث حول علاماتٍ معينة يضيئها»[1]، ويعمل على مقارنتها بما جاء به هذا العالم العربي أو ذاك بأنه يوجد في التراث ويوافقه. وأن بعض ما يوجد في التراث يوجد أيضا عند العلماء الغربيين.

إنه –في رأيي– مسك للعصا من الوسط ومحاولة خلق نوع من التوازن. ولكنني لا أراه كذلك. فلا يمكن أن نطلق عليه وصف التوفيقي أو التوافقي؛ لأنه لا يؤدي ذلك الدور وتلك الوظيفة بقدر ما يؤدي الدور والوظيفة المتعلقة بالبعد الإيديولوجي الذي يخصه. المختفي خلف ما ينتقيه؛ أي أن عملية الانتقاء ليست بريئة، وإنما هي لخدمة أغراض إيديولوجية. وهنا تكمن خطورة هذا الاتجاه على الانتقاء من التراث ما يوافق الحداثة. وعلى الانتقاء من الحداثة ما يوافق التراث. وكأنهم يبحثون عن يدٍ أو عينٍ في جثة برأي بول شاوول[2].

---

[1]– بول شاوول: ثماني مسائل أساسية في القصيدة العربية الحديثة، مجلة دراسات عربية، عدد3، 1982، ص 99.

[2]– المرجع السابق، ص 99.

إنه في حاجة إلى التحرّي المنهجي والتحرّج العلمي في إصدار الأحكام واستخلاص النتائج فيما ينتقي. ولا بد من إدراك السياقات المعرفية والظروف العلمية التي ولدت فيها الأنظمة الفكرية، أو الاستمراريات أو القطيعة الحاصلة بين العلوم المختلفة أو حتى داخل العلم نفسه.[1]

وبذلك –هم أيضا– يعيشون القطيعة المزدوجة بين تصوراتهم للفكر القديم والفكر الحديث في الوقت نفسه.

لقد كان لهذه الاتجاهات من الناحية الفكرية تأثيراتها المختلفة على البحث اللساني العربي من حيث الترجمة والمفاهيم والمصطلحات والانفتاح على المناهج اللسانية واستيعاب نظرياتها، وعلى التواصل بين اللسانيين العرب المحدثين. وأهم تأثير هو أنها لم تؤسس لمنهج في الاختلاف وقبول الرأي المضاد، والاحتكام إلى الموضوعية والقيمة العلمية إلا قليلا.

- **أيّ اتجاه لعبد الرحمن الحاج صالح؟**

لا ينتمي عبد الرحمن الحاج صالح إلى هذه الاتجاهات كلها، فهو اتجاه مختلف عنها. فلا هو منفصل عن التراث العربي متنصل منه. ولا هو متقوقع فيه على نفسه. ولا هو من الانتقائيين بناء على موقفٍ إيديولوجي محدد من التراث ومن الحداثة اللسانية في آن معًا.

نرى الأستاذ الحاج صالح قد تميّز بخطاب لساني نقدي واعٍ بالتراث اللغوي العربي وباللسانيات الحديثة في الوقت نفسه، قرأهما بعين ثاقبة مؤسسة على معرفته باللغات الأجنبية: الإنجليزية والفرنسية،

[1]– ينظر: محمد أركون: ابن رشد رائد الفكر العقلاني والإيمان المستنير، ص 20/9.

وباللغة العربية وفقه نواميسها، وبما يحمله من فكر رياضي، الأمر الذي مكّنه من النظر الإبستمولوجي العميق للظاهرة اللغوية عند العرب وعند الغرب. والمقارنة العلمية بينهما، بتقديم الأدلة والبراهين والحجج الدامغة.

وخير مثال على ذلك رسالته في الدكتوراه التي تبحث في علم اللسان العام وعلم اللسان العربي. وبتعبير آخر: اللسانيات العامة واللسانيات العربية. وهو المشروع الذي رسمه لنفسه، والهدف الذي حدده واتخذه موضوعا منذ أن بدأ البحث في ميدان علوم اللسان. وقد تجلى ذلك أيضا في معظم ما كتبه من كتب ومقالات وأبحاث، وما أنجزه من مشاريع علمية. وهو العامل الذي يجعلنا نعدّه مؤسسا حقيقيا للسانيات العربية رائدا في العالم العربي.

وهو ما سنعالجه في الفصول الآتية.

خلاصة:

يتميّز واقع البحث اللساني العربي الحديث بعدة إشكالاتٍ كان لها تأثيرها على مستوى المنظور الفكري والبناء النظري والمنهجي والإجراء التطبيقي في معالجة القضايا اللسانية المختلفة؛ فمنها من انقطع عن التراث اللغوي العربي وعدّه ماضيا يجب تجاوزه، ومنها من تقوقع في التراث معدا إياه هو الأصل الذي يجب ألا نحيد عنه وكأنه مقدّس، ومنها من حاول الانتقاء من هذا وذاك بغية تحقيق موقف إيديولوجي محدد. وقد انعكس هذا على تحديد المواقف بين قائل باللسانيات العربية وعدم قائل بها، ولكل حججه وأدلّته.

الفصل الثّـــــانـــــي:

عبد الرحمن الحاج صالح:

من هو؟ وماذا كتب؟

وماذا كُتِبَ عنه؟

نخصص هذا الفصل لثلاث مسائل أساسية مترابط بعضها ببعض هي القائمة على الأسئلة الآتية:

- من هو عبد الرحمن الحاج صالح؟ وماذا كَتَب؟ وماذا كُــتِب عنه؟

فيزعم بعض الأساتذة المدرّسين للسانيات في بعض الجامعات، وبعض الباحثين أنّ عبد الرحمن الحاج صالح لم يكتب كثيرا. وأنّ ما كتبه لا يدفع الدارسين للكتابة عنه. وهم في الحقيقة، لم يتابعوا ما كَتَب من أبحاثٍ ومقالاتٍ باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية، ولم يقفوا عندها بالقراءة والنقد. وسنحاول في هذا المقام أن نذكر معظمها انطلاقا مما توفَّرَ لنا منها، واستطعنا الوصول إليه. وقبل ذلك نحاول التعريف بعبد الرحمن الحاج صالح.

1- من هو عبد الرحمن الحاج صالح؟

كنتُ قد أجريتُ حوارا مع الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، نشرتهُ في جريدة الشعب الجزائرية، ثم أعدتُ نشره في مجلة الفيصل السعودية سنة 1997[1]، أجاب فيه عن الأسئلة التي طُرِحت عليه ومنها هذه النبذة عن حياته.

- عبد الرحمن الحاج صالح من مواليد وهران سنة 1927م.

---

[1]- بشير إبرير: الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات، مجلة الفيصل، العدد 245، ص 51، 52، 53. أذكر أنّه عندما أخبرته أنني سأرسل هذا الحوار إلى مجلة الفيصل قال لي: «حذار أن تضيف شيئا من عندك، وبخاصة إذا كان يتعارض مع مصلحة البلاد»، فعرضته عليه قبل أن أرسله.

- شارك في الكفاح المسلَّح ضد المستعمِر الفرنسي في بلاده، وكان مسؤولا عن منظمة المناضلين في جبهة التحرير الوطني بالرباط.
- درس بالأزهر الشريف وحصل على دبلوم اللغة العربية من معهد الدراسات العليا بالرباط سنة 1953م، وكذا دبلوم الدراسات العليا في فقه اللغة الفرنسية واللسانيات من الجامعة نفسها سنة 1960م، وشهادة التبريز في اللغة العربية وآدابها من جامعة باريس سنة 1961م. ودبلوم العلوم السياسية من كلية الحقوق بالرباط سنة 1961م، ودكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة السوربون سنة 1979م.
- عمل أستاذا مساعدا بكلية الآداب بالرباط من سنة 1960 إلى 1962م.
- رئيسا لقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الجزائر من 1963 إلى 1965م.
- ومديرا لمعهد العلوم اللسانية والصوتية بجامعة الجزائر من 1966 إلى 1984م.
- ومديرا لوحدة البحث في علوم اللسان وتكنولوجيا اللغة من 1986 إلى 1992م.
- ومديرا لمركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية من 1992 إلى 2006م.
- ورئيسا للجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية سنة 2000م.

- ورئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية من سنة 2000 إلى 2017.

وأما تجربته العلمية: فقد كان:

- رئيسا للجنة الوطنية لمشروع الرصيد اللغوي (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) من 1975 إلى 1984م.
- ورئيسا للجنة الدولية لمشروع الذخيرة اللغوية العربية التي تشرف عليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، من 1991 إلى 2004م.
- عضوا في مجمع دمشق (1978) ومجمع بغداد (1980) ومجمع عمّان (1984) ومجمع القاهرة (1988).
- عضوا في عدة مجالس استشارية منها: مجلس مكتب تنسيق التعريب بالرباط. ومجلس المعهد الدولي للغة العربية بالخرطوم. ومجلس المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- عضوا في لجنة تحرير المجلة الألمانية الصادرة ببرلين: Eurphonetik Sprachwissenfaft und Kummunikation
- عضوا باحثا مشاركا في مركز اللسانيات التقابلية بمعهد العلوم اللسانية والصوتية بجامعة السوربون الجديدة بباريس سنة 1993-1998م.
- مدير مجلة اللسانيات الصادرة في الجزائر من 1966 إلى 2006.

- وبخصوص الجوائز والأوسمة، فقد حصل على جائزة "الملك فيصل" عام 2010 تقديرا لجهوده العلمية المتميزة في تحليله النظرية الخليلية وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة... ودفاعه عن أصالة النحو العربي، وجهوده البارزة في التعريب.[1]

تُوفّي عبد الرحمن الحاج صالح –رحمه الله– يوم 05 مارس 2017 الموافق لــ 06 جمادى الآخرة 1438ه بمستشفى "عين النعجة" في العاصمة عن عمر ناهز الــ 90 سنة.

ودُفِن بمقبرة "دالي إبراهيم" بالعاصمة الجزائر يوم: 2017/03/06.

يوضّح عبد الرحمن الحاج صالح بنفسه كيف كانت بداية توجهه نحو دراسة اللسانيات[2] بقوله: «... فالتحقت بالجامع الأزهر، وكانت فرصة عجيبة، لأن مقامي بالمشرق غيّر كل شيء في حياتي ولا سيما في الدراسة، إذ كنتُ قد اخترتُ وأنا في الجزائر الرياضيات تخصصا، فإذا أنا أمام تراث علمي عظيم في ميدان اللغة خاصة، وشعرتُ آنذاك أنه غير مستثمَر، فزادني ذلك يقينا يوم اكتشفتُ وأنا طالب في فرنسا بعد رجوعي من مصر، ميدانا عظيمًا ازدهر في أوربا أيّما ازدهار هو: "ميدان اللسانيات وفقه اللغة المقارن"، ولكنّ تحرّجي وميلي الشديد إلى الموضوعية جعلني أتحفّظ تحفظا كبيرا في تحليل النصوص القديمة،

---

[1]– wiki.ar.m.wikipedia.org يوم: 2021/01/08.

[2]– بشير إبرير: الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات، مجلة الفيصل، العدد 245، 1997، ص 51–52.

وذلك تجنبا للتطبيق الأعمى للمفاهيم الغربية على التراث العلمي العربي، فقد كُنتُ متيقنا أنّ التصورات العلمية العربية كانت تمتاز من التصورات الغربية بشيء كبير من الخصوصية، فكان يجب ألّا أسقط – على حسب تعبير علماء النفس– على أقوال الخليل وسيبويه أقوال دوسوسير وأتباعه لمجرد شبه ألاحظه...

والحق أقول: إنّ الظروف المؤدية إلى ذلك تضافرت في حياتي، فكوني درست اللسانيات، ثم علوم اللغة في الأزهر، ثم اطلاعي على الرياضيات التطبيقية، وإشارة صديق حميم يسمى "مبروك العوادي"[1] إليّ أن أكتسب كتاب سيبويه وأنا شاب، كل ذلك جعلني أنظر إلى أقوال الخليل وسيبويه نظرة خاصة، فوضعت نصب عيني أن أسلّط على هذه الأقوال الأضواء اللائقة بها، وبعبارة أخرى حاولت أن أصنع منهجية دلالية أستخرج بها التصورات الخاصة بهما، وفي الوقت نفسه أبرهن على صحتها وذلك بالموازنة الدائمة بينها وبين المفاهيم والتصورات والنظريات اللسانية الغربية الحديثة دون أيّ ظلم لهذه أو تلك.

---

[1]– الشيخ العلّامة "مبروك العوادي" رجل زاهد متواضع من أكبر علماء الجزائر وفقهائها المميزين، أحد أعضاء المجمع الفقهي في مكة المكرمة من أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وُلِد الشيخ العوادي مبروك بن مسعود والعايب مباركة سنة 1911م بدوّار غزالة، بلدية السبت، دائرة عزابة، ولاية سكيكدة. حفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمه في عزابة وواصل تعليمه في الزوايا مثل: زاوية بالحملاوي بالعثمانية بقسنطينة، وجامع الزيتونة وانتقل إلى مصر. توفي رحمه الله يوم 27 أكتوبر 1996 بالجزائر العاصمة. وقد كان مستشارا لوزارة الأوقاف في عهد مولود قاسم نايت بلقاسم رحمه الله. djazairess.com/akhbar

يتبيّن للقارئ من خلال هذا المسار الإداري والعلمي مدى رسوخ عبد الرحمن الحاج صالح في الجانب العلمي وما يملكه من نظر استراتيجي نحوه، بحثا وإشرافا على رسائل الماجستير والدكتوراه[1]، بالإضافة إلى التفاني في أداء الوظيفة البيداغوجية المتعلقة بالتدريس شأنه شأن أبناء جيله الذين أخلصوا لهذه الوظيفة النبيلة وكان إخلاصهم لها إخلاصا للوطن وأبنائه المتعلمين.

ويمكن أيضا أن نسجّل أنّ هناك من يزعم بأنّ عبد الرحمن الحاج صالح متشدّد في التعامل مع الطلبة والباحثين، وكأنهم –بذلك– يبثون شكواهم، وقد طرحتُ هذا السؤال عليه فكان جوابه:

«أوّلا لا بد من التمييز بين التشدد من أجل العلم، وهو ضد التساهل والتسامح، والعالم العاري من ذلك أحكامه تبقى واهية لا محالة؛ لأنه يتسامح فيها من جهة، ومن جهة أخرى بين التشدّد الذاتي الخاص بالشخص/الموسوس فهذا ليس من العلم في شيء».[2]

فهدفه من التشدّد يتمثل في خدمة العلم، وهو هدف نبيل. وأشهد أنه كان يردد على مسامعنا العبارة الآتية:

«آفة العلم التّساهل».

وقد كان محقا في ذلك ومازال. لأن التساهل آفة كما وصفه، ووسيلة هدّامة للقيمة ونواميسها ومعاييرها المنظمة وما ينتج عنها من انهيار للأخلاق، وتغليب للرديء، حتى صار ميزة لنشاط الحياة كلّها؛

---

[1]– وقد كنتُ محظوظا جدا؛ إذ أشرف الحاج صالح عليَّ في الماجستير ودكتوراه الدولة.

[2]– ينظر: بشير إبرير: حوار مع الحاج صالح...، ص 53.

بل وصار مشروع مجتمع؟! ولم تسلم الجامعة منه على مستوى البحث، وعلى مستوى التدريس، وعلى مستوى الأخلاق العلمية.[1]

2- ماذا كتب عبد الرحمن الحاج صالح؟

ألّف عبد الرحمن الحاج صالح مؤلفات عديدة في مجال اختصاصه الذي يلتقي كله في مجال: «**اللسانيات العربية**»، وهي ذات قيمة علمية واضحة ومفيدة بالنسبة للباحثين المتخصصين والمبتدئين على حد سواء، وقد تنوعت بين الكتب وبين الأبحاث والمقالات العلمية المتخصصة التي نشرها في المجلات العربية والدولية، باللغة العربية والإنجليزية والألمانية أيضا.

وسنحاول أن نذكر منها ما استطعنا تعريفًا بهذا الرجل العالم من ناحية، وخدمة للباحثين والقرّاء من ناحية ثانية.

2-1- الكتب والأبحاث التي ألّفها:

- رسالته في دكتوراه الدولة في جزئين عنوانها:

«علم اللسان العربي وعلم اللسان العام أو اللسانيات العربية واللسانيات العامة: دراسة تحليلية لنظرية المعرفة العلمية عند الخليل وأتباعه»، سنة 1979. وهي مطبوعة بالفرنسية بعنوان:

---

[1]- نشير أيضا إلى أنّ عبد الرحمن الحاج صالح قد لقي مناهضة كبيرة من لدن بعض الباحثين المفرنسين الذين يدّعون العلمية والعصرنة بدافع إيديولوجي ضيق. ووجد مناهضة أخرى من بعض المعرّبين الذي يدّعون خدمة اللغة العربية، بدافع البغضاء والغيرة والجهل.

Linguistique Arabe et linguistique générale : essai de méthodologie et d'épistémologie du ´ILM AL-´ARABIYYA, Pellot Charles, 1979.

- بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 207.
- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، جزءان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007.
- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007.
- منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2010.
- البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2016.
- النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، سلسلة كراسات المركز، يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر، العدد 4، 2007.
- الأمثال الشعبية الجزائرية/ بالأمثال يتضح المقال لقادة بوتارن، ترجمة: عبد الرحمن الحاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.
- المشاركة في: الرصيد اللغوي الوظيفي (للمرحلة الأولى من التعليم الابتدائي)، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، تأليف اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي الوظيفي المؤلّفة من: معهد

الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، وكان يرأسه الحاج صالح، قسم اللسانيات بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1975.

- المشاركة في: المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي – فرنسي – عربي) مع نخبة من اللغويين، مكتب تنسيق التعريب، جامعة الدول العربية، 2002.

2-2- المقالات:

وأما المقالات فهي عديدة ومتنوعة في علوم اللغة العربية وقضاياها المختلفة في: المعجم والمصطلح وقضايا التعليم والترجمة والدراسات الحاسوبية، وقد تم نشرها في مجلات المجامع اللغوية العربية والوطنية وبعض المجلات الأجنبية، ولا يمكن أن نسجلها كلها؛ وإنما نكتفي بالإشارة إليها من حيث عددها، فقد بلغت 75 بحثا علميا منشورا يجد فيه القارئ الباحث المتخصص ضالته، وما يلبي حاجاته العلمية والمعرفية؛ إذ ليس من السهل النشر في المجلات العلمية المتخصصة ذات الصرامة التحكيمية.

وقد احتوى كتابه: "**بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**" بجزءيْه على اثنين وخمسين (52) بحثا منها: أربعة وأربعون (44) بحثا بالعربية، وستة (06) أبحاث بالفرنسية، وبحث واحد (01) بالألمانية، وبحث واحد (01) بالإنجليزية.

واحتوى كتابه: "**بحوث ودراسات في علوم اللسان**" على أربعة أبحاث طويلة، ونضيف إليها البحث الآتي: "مدخل إلى علم اللسان الحديث في المذاهب والنظريات اللسانية الحديثة. نشره في العدد 7 من مجلة اللسانيات سنة 1997.

أرّخ من خلالها إلى اللسانيات منذ نشأتها، وأضاف إليها الفترة العربية الممتدة من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الربع عشر (14) الميلادي التي لم يتطرق إليها المؤرخون للسانيات مثل "جورج مونان" في "تاريخ اللسانيات منذ نشأتها إلى القرن العشرين". ولم يشر إلى مجهودات العلماء العرب القدامى إلا في أسطر قليلة لا تتجاوز الستة، وقد تبعه –في ذلك– كثير من الدارسين العرب للسانيات في زماننا دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتقصّي. ويأتي عبد الرحمن الحاج صالح ليفّند ما أورده جورج مونان في تأريخه للسانيات قبل القرن التاسع عشر. يقول عبد الرحمن الحاج صالح: «ولا بد ههنا من تفنيد ما قاله "مونان": "**بأنّ النحاة العرب كانوا يجعلون من اللغة العربية أمّ اللغات، وأنها لغة أهل الجنة**". أما القول الأول والثاني فما رأينا أحدا من النحاة الأوائل الحقيقيين المجتهدين يقوله أو يجزم به؛ بل وجدناه عند بعض المفسرين والمؤرخين ممن كان يجمع كل ما يسمعه بدون نقد مثل: ابن أبي إسحق، فاعتمدوا الأساطير الفلكلورية التي كان يروّجها القصّاص، وكان أشد الناس كرها للقصاص هم النحاة أنفسهم (... انظر كلام المبرد الذي رواه ابن السراج في أصوله، ...) وأما القول الثالث

فهو شنيع وأشنع من هذا أن ينسب إلى علماء العرب فإنّ هذا لم يقله أحد من العلماء المسلمين لأنه تجسيم محض...»[1]

ولم أجد فيما قرأت من أرّخ لعلم اللسان مثله من العرب وحتى من الأجانب.

كما نشر عبد الرحمن الحاج صالح في دائرة المعارف الإسلامية مقالة: "لغة"و"معارف".

ونشر في موسوعة أعلام العرب أربع مقالات عن:

الخليل بن أحمد، والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، وابن السراج، والسهيلي[2] وهو من المتأخرين الذي كثيرا ما كان عبد الرحمن الحاج صالح يثني عليه.

وقد جمع الباحث محمد مسعود بن مبخوت[3] الأبحاث التي كتبها عبد الرحمن الحاج صالح في مجلة المجمع الجزائري للغة العربية في

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، العدد الأوّل، جامعة الجزائر، 1971، ص 5–6، هامش رقم 1. وينظر أيضا: بشير إبرير: علم المصطلح وأثره في بناء الخطاب اللساني العربي الحديث/ المنجز اللساني لعبد الرحمن الحاج صالح مثالا، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد خاص بعبد الرحمن الحاج صالح، 2017، ص 155–156.

[2]– حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية: permalink.facebook.com

[3]– محمد مسعود بن مخبوث واحد من الباحثين الذين جمعوا أعمال عبد الرحمن الحاج صالح، وكلما سمع بشاردة أو واردة عنه سارع إلى إضافتها وتوثيقها، في حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية مع ثلة من زملائه النشطين جزاهم الله خيرا. ينظر بخصوص هذه المقالات: www.academia.edu

أعدادها المختلفة من العدد الأول سنة 2005 إلى العدد 23 سنة 2016، وعدها عشرون (20) بحثا وهي:

1) افتتاحية مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد1، 2005.
2) المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد1، 2005.
3) اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، العدد2، 2005.
4) محمد كرد علي التراثي المجدد، العدد3، 2006.
5) تحديث أصول البحث اللغوي العلمي العربي، العدد4، 2006.
6) المعجم التاريخي وشروط إنجازه، العدد5، 2007.
7) أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة، العدد6، 2007، ثم في العدد24، 2016.
8) أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، العدد7، 2008.
9) مساهمة المجامع اللغوية العربية في ترقية اللغة، العدد8، 2008.
10) القياس على الأكثر عند نحاة العربية، العدد9، 2009.
11) الخلاف النحوي بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة محاولة جديدة، العدد10، 2009.
12) الرصيد اللغوي للطفل العربي وأهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته، العدد11، 2010.

13) الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة، العدد12، 2010.
14) اللغة العربية الفصيحة المنطوقة ودورها في المجتمع العربي، العدد13، 2011.
15) التعريف العلمي عند سيبويه وأتباعه، العدد14، 2011.
16) الثنائية اللغوية بالنسبة للغة العربية وأوصافها الحقيقية، العدد15، 2012.
17) النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما، العدد17، 2013.
18) مقدمة لدراسة البنى النحوية، العدد 19، 2014.
19) دور اتحاد المجامع اللغوية العربية وتحديث العمل المجمعي، العدد20،-21، 2015.
20) توهّمات النحاة العرب بعد عصر الخليل وسيبويه، العدد23، 2016.

يلاحظ القارئ لهذه المؤلفات من الكتب والأبحاث والمقالات، غزارة المنجز اللساني لدى عبد الرحمن الحاج صالح، وتخصصه الصارم من ناحية، والعميق من ناحية ثانية في ما تعلق بعلوم اللغة العربية وبعلوم اللسان الغربية الحديثة. وتجد سمات التفكير الاستراتيجي لديه، من قدرة على الحفر في أعماق البحث اللساني التراثي العربي والغربي على حد سواء، وإدراك للمفاهيم اللسانية في سياقاتها المعرفية الخاصة، وقدرة على الوصف للظاهرة اللسانية المدروسة. وأكثر من ذلك القدرة على الاقتراح وتقديم البديل، يظهر ذلك في العناوين التي

يضعها، فهو لا يضعها اعتباطا وإنما يختارها بعناية ودراية لتدل مدلولاتها الصحيحة عن المقاصد المعرفية التي يودّها، وعن البناء المنهجي الذي يتبعه.

فمثلا رسالته في الدكتوراه كما تبدو من عنوانها:

Linguistique Arabe et linguistique générale : essais de méthodologie et d'épistémologie du ´Ilm Al-´Arabiyya.

تحمل مجموعة من المفاهيم هي:

- المفهوم الأول: اللسانيات العربية Linguistique Arabe
- المفهوم الثاني: اللسانيات العامة Linguistique générale
- المفهوم الثالث يحمله العنوان الفرعي من حيث الشكل والأساسي من حيث الطرح العلمي والمنهجي: محاولة منهجية وإبستمولوجية في علم العربية:

Essai de méthodologie et d'épistémologie du ´Ilm Al-´Arabiyya.

على هذه المفاهيم الأساسية راح عبد الرحمن الحاج صالح يؤسس لموضوعه من جوانب شتى تتعلق بالدراسة العلمية لتاريخ اللغة العربية، وعلمائها في البصرة والكوفة الذين طبّقوا وبنجاح طريقة/منهجية في التحليل اللغوي لها أصالتها، وتميّزها في البحث اللغوي في زمانها وزماننا أيضا.

والذي يقرأ الرسالة يجدها حافلة بالمفاهيم اللسانية العربية الأصلية موصوفة مشروحة بتقديم الأمثلة والحجج والبراهين، من ذلك مثلا:

تخصيصه المقدمة **لعلم العربية** بوصفه مفهوما أساسيا عليه أقيمت النظرية اللغوية العربية، باحثا في أصوله وتطوراته. بالإضافة إلى مفاهيم أخرى مكوّنة لمنظومته المصطلحية والمفاهيمية مثل: مفهوم

الفصاحة، والوضع والفائدة، والكلام، والاستعمال، والأصل والفرع، والحذف، والإضمار... وغيرها مما سنشير إليه في مقامه.

والمحاولة المستمرة للمراجعة والربط والمقارنة بين التراث اللغوي العربي الأصيل وما تميّز به من تحليل منهجي علمي وما جاءت به اللسانيات في البحث الغربي. يبدو ذلك في فصول الرسالة ومباحثها المتعددة.

وتمثل هذه الرسالة كما أوضح هو نفسه في مقدمتها **خلاصة نظرية وتطبيقية** بذل فيها جهودا مضنية دامت سنين من البحث والتقصي الدقيق للتراث اللغوي العربي في مضانه ومصادره الأولى المؤسَّسة عند علمائه. وقراءته قراءة ناقدة وازنة لمفاهيمه مقارنة باللسانيات الغربية الحديثة، مبينا جهود الخليل وسيبويه وابن جني الذين يمثّلون نظرية حقيقية في النحو. نظرية عربية، نظرية أصول العربية، وجاءت هذه الرسالة أطروحة فكرية ثقافية واصفة métathéorie للنظرية اللغوية العربية.

استخلص منها الحاج صالح النظرية الخليلية الحديثة. [1]

وأما ما نشره في مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، فبلغ عشرين (20) بحثا كما سبقت الإشارة.[2]

تبيّن الرؤيا العلمية التي تميّز بها عبد الرحمن الحاج صالح للصناعة المعجمية lexicographie وأهميتها في خدمة اللغة العربية

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح:

Linguistique Arabe et linguistique générale, p3.

[2]– نشير إلى أن هذه الأبحاث قد كرر نشر بعضها في أكثر من مجلة تعميما للفائدة.

والنهوض بأعباء ترقيتها، وتوظيفها في القطاعات الحيوية الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والتربوية والبحث العلمي، وتطوير البحث المعجمي العربي، بتضافر جهود المجامع اللغوية العربية وتحديث طرائق عملها باستخدام الوسائل المتعلقة بتكنولوجيا اللغة، موضحا أنَّ النظرية الخليلية الحديثة تستجيب لأنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية، رابطا –بذلك– بين التراث وبين البحث التكنولوجي في علوم اللسان، متأوّلا نظرية الخليل بالنظر إلى متطلبات البحث العلمي المعاصر.

تمثّل كتبه الأربعة: "السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"، و"منطق العرب في علوم اللسان"، و"البنى النحوية العربية"، و"الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية"، سلسلة في علوم اللسان كما سمّاها. ويقول عنها: «هي موجهة إلى أهل الاختصاص في علوم اللسان وتاريخ العلوم، وإلى جمهور المثقفين العرب الذين لهم اهتمام بالتراث اللغوي العلمي وبعلوم اللسان القديمة والحديثة»[1]. **وكأن هذه الكتب الأربعة تمثل ترجمة مضافا إليها بعض ما يخص الباحث العربي بصفة خاصة** لرسالته في الدكتوراه التي تعد المرجع الأساسي الذي يعود إليه عبد الرحمن الحاج صالح في كل ما كتب.

وقد سألتُه السؤال الآتي:[2]

---

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2010، ص 7.

[2]– ينظر: بشير إبرير: حوار مع الحاج صالح، الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات، مجلة الفيصل، عدد245، ص 52.

- الذين قرأوا رسالتكم في الدكتوراه عن علم اللسان العام وعلم اللسان العربي أجمعوا على أهمية هذا الإنجاز العلمي وغناه، وما يمكن أن يقدم من خدمة للسانيات العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها. ولكن على هذا كله، فهذا الإنجاز المهم لم يترجم حتى الآن إلى العربية لكي تصل فائدته إلى قطاع عريض من المهتمين؟

فأجاب:

«شرعتُ في تأليف سلسلة من الكتب قصدت فيها إلى تعميق ما حررته في رسالتي، وكنت حاولتُ أن أترجم إلى العربية هذه الرسالة، ولكن ظهر أن أسلوب الترجمة سيسيء إليها، وبخاصة في فهم النظرية فهما تاما صحيحا. لذلك قررتُ أن أعيد كتابتها بالعربية لكن بتوسُّع أكثر، فقد خصصتُ لكل باب كتابا بأكمله، إلا أنني أخشى ألا أتم لطول العمل ومشاقه».[1]

لقد أنهى –رحمه الله– هذه الكتب الأربعة وبقي كتاب آخر عن الصوتيات العربية، كان قد وضع لمساته الأخيرة، ولكن وافاه الأجل ولم يُتمه، نرجو أن يرى النور يوما ما.

توجد في إجابة عبد الرحمن الحاج صالح فكرة تسترعي الانتباه وهي: «...وكنت حاولت أن أترجم إلى العربية هذه الرسالة، ولكن ظهر أن أسلوب الترجمة سيسيء إليها، وبخاصة في فهم النظرية فهما تاما صحيحا...». فإذا كان هو الذي كتب رسالته بالفرنسية ويخاف أن

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص 52.

يسيء أسلوب الترجمة إليها... فما بالك بالباحثين الآخرين إذا أراد أحدهم ترجمتها؟

ربما راعى عبد الرحمن الحاج صالح أنه عندما يترجمها من الفرنسية إلى العربية تصير الفرنسية أصلا، هي اللغة المنقول منها إلى العربية المنقول إليها، فلم يستسغ ذلك وهو الذي يتحدث عن علم العربية ويعطي للتراث قيمته، فاختار إعادة الكتابة من جديد بما يسمح له بالإضافة الجديدة كلما كان ذلك ممكنا.

كتب عبد الرحمن الحاج صالح معظم أبحاثه ومقالاته في بداية حياته، قبل أن يكتب كتبه، ولعل هذا مسألة طبيعية في نَفَس الكتابة الذي يكون في المقالة مختلفا عنه في الكتب، ويكون مرتبطا ببداية تكوين الباحث وحداثة سنّه الذي يختلف عندما يكون ذا حنكة معرفية ومنهجية بتقدّمه في السن.

ونسجّل أن المقالات والأبحاث التي كتبها في مجلة المجمع اللغوي الجزائري للغة العربية قد كانت متزامنة مع كتابته كتبه الأربعة خاصة.

يلاحظ على الكتب الأربعة التي ألّفها عبد الرحمن الحاج صالح – في نظري– الحاجة إلى كتابة مقدمات لها، أكثر رصانة تقدّمها للقارئ وتبيّن إشكالاتها وأهدافها ومنهجها... وتكون في مستوى قيمتها من حيث الطرح العلمي والمنهجي.

يلاحظ أيضا تكرارٌ لبعض الموضوعات وللمعلومات المتعلقة بها أحيانا[1]، ولعلّ هذا راجع –في نظري– إلى كونه يُلحُّ دائما على تعريف النظرية الخليلية وتوضيحها وشرح مفاهيمها للباحثين، وجدواها العلمية من حيث النظر والتطبيق، وجدَّتها لدى الباحثين والقرّاء الذين لم يطّلعوا عليها. ولعل ذلك يعود أيضا إلى كونه قد كتب المقالات قبل أن يؤلف الكتب.

- **اللغة التي كتب بها عبد الرحمن الحاج صالح:**

هي العربية ثم الفرنسية ثم الإنجليزية والألمانية. تتميز لغة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية بالدقة والإيجاز؛ فهي لغة علمية واصفة لموضوعها خاصة باللسانيات لا تنفصل عنها إلى غيرها إلا بما يخدم الموضوع، لغة تتعامل مع المصطلحات والمفاهيم، وتتميز بحضور لغة التراث ممثلة في شخصيات العلماء العرب الأجلاء مثل:

يونس بن حبيب، وأبو الأسود الدؤلي، وعيسى بن عمر، وأبو عمر بن العلاء، والخليل، وسيبويه، والمبرد، والفارابي، وابن جني، والرمّاني، والسيرافي، وابن الحاجب، والرضي الاستراباذي، وعبد القاهر الجرجاني، وابن خلدون، وغيرهم... واستعمالاتهم اللغوية الكامنة في نصوصهم وكتبهم.

[1]– ينظر: سعاد شرفاوي: منهج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في البحث اللساني، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد25، خاص بعبد الرحمن الحاج صالح، 2017، ص 100.

كما تحضر لغة اللسانيين الغربيين كذلك ممثلة في المصطلحات والمفاهيم، بما يحقق التفاعل بين التراث وبين الحداثة في خطاب لساني منسجم مترابط له هويته اللغوية والعلمية.[1]

3- ماذا كُتِب عن عبد الرحمن الحاج صالح؟

تنوّعت الكتابة عن عبد الرحمن الحاج صالح ومنجزه اللساني المتنوع بتنوع القضايا العلمية التي عالجها، بين المحاورات والمقالات في الصحف والمجلات، وبين الأبحاث والدراسات الجامعية ممثلة في مذكرات الماستر والماجستير وأطروحات الدكتوراه.

ونظمت بشأنه عدة ندوات علمية في حياته وبعد وفاته منها:

- نُظِّمَت ندوة عن الذخيرة العلمية العربية، بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عنابة سنة 2006، ولكن لم يطبع من الأعمال التي ألقيت فيها إلا عملان في مجلة المجمع الجزائري للغة العربية.
- ونظم مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية يوما دراسيا خاصا عن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يوم: 03 جوان 2008.
- نظّم قسم علوم اللسان بجامعة الجزائر-2- بالتعاون مع مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية ملتقى عن عبد الرحمن الحاج صالح بعنوان: "اللسانيات العربية الحديثة"

[1]- ينظر: بشير إبرير: علم المصطلح وأثره في الخطاب اللساني العربي الحديث/ المنجز اللساني لعبد الرحمن الحاج صالح مثالا، ص 168.

يومي: 20 و21 نوفمبر 2017، ولم يتم طبع أعمال هذا الملتقى.

- ونظمت جامعة بلعباس ملتقى يحتفي بعبد الرحمن الحاج صالح في الذكرى الأولى لوفاته في يومي: 11 و 12 مارس 2018، وقد تمّ طباعة الأعمال في عدد خاص من مجلة "عود الند" ثقافية فصلية، العدد الفصلي الثامن، سنة 2019.
- نظمت جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف يوما دراسيا خاصا به، يوم: 23 أفريل 2018، تَمّ نشر أعماله بمجلة "موازين"، المجلد 1، العدد 2، سنة 2019.
- كما خصص المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 25، من مجلته لدراسة أعمال عبد الرحمن الحاج صالح، سنة 2017.

هذا وتوجد دراسات ومقالات ورسائل جامعية وندوات بجامعات المدية والأغواط وتلمسان ووهران غير هذه التي تم ذكرها.[1]

وما يلاحظ على هذه الأعمال تفاوتها من حيث القيمة العلمية، فمنها من لا يعرف أصحابها الحاج صالح جيدا، واطّلعوا على عمل أو عمليْن فقط. ومنها من يغلب عليه الطابع الاحتفائي[2]. أما القراءة العميقة المستوعبة لأعماله المختلفة وقراءتها قراءة واعية ناقدة، فقليلة نادرة.

---

[1]– أحيل في هذا المقام إلى محمد مسعود بن مبخوت وعمار صويلح وزملائهما في حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية؛ فقد جمعواكثيرا من الأعمال والدراسات والرسائل الجامعية المتعلقة به وما كُتِب عنه في بعض المحاضرات والصحف، فجزاهم الله الخير كلّه.

[2]– لا يمكن أن نتخلص من النزعة الاحتفائية بسهولة وبخاصة نحن طلّابه، ولكن لا يعني ذلك أننا نصفه بما ليس فيه ونعطي قيمة لأعماله لا تستحقها.

ويظل الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح مجالا بكراً للدراسات والبحوث اللسانية، فما زال لم يُقرأ بعد –في نظري– القراءة العميقة التي تستوعب مفاهيم خطابه ومصطلحاته، وتدرك خلفياته المعرفية بكفاية، وتنزلها منزلتها الحقيقية من اللسانيات العربية واللسانيات الغربية بصفة عامة.

ويمكن أن نذكر في هذا الشأن أطروحة دكتوراه علوم أنجزها "يوسف منصر" عنوانها: "الخطاب اللساني المغاربي: أصوله ومفاهيمه واتجاهاته: عبد الرحمن الحاج صالح –عبد السلام المسدي– عبد القادر الفاسي الفهري، نماذج". وكنتُ قد أشرفت على صاحب هذه الأطروحة التي نوقِشت بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة باجي مختار، بعنابة، في جوان 2013.

لم يخصص الأطروحة لعبد الرحمن الحاج صالح بمفرده؛ ولكن بذل جهدا وقرأ معظم أعماله وأجرى لقاءاتٍ معه.

وقد تناول المرجعية الفكرية والمعرفية لديه، ومدى وعيه بالاختلاف في التراث نفسهومولّداته وتصنيفه ومؤثراته.

والاختلاف بين التراث اللغوي واللسانيات من حيث تصور المعرفة وأصول البحث اللساني ودلائل الاختلاف.

كما تحدّث عنه من حيث منهجية القراءة المبنية على خطوات التجديد المتمثلة في المواصلة والكشف والبناء، ونمط القراءة وغاياتها ومنهجها للتراث اللساني العربي وللسانيات الحديثة.

وناتج القراءة المبني على الاقتباس الذي شكّل مورده الأول التراث اللغوي الأصيل، واللسانيات الحديثة مورده الثاني وهو مبني على الاستلهام والاجتهاد، والمصطلح والمشاريع العلمية.

ومما جاء في خاتمة الأطروحة أن:

«الخطاب اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح "خطاب تدافعي" وغير مهادن، لا يُعرض عن مقولات اللسانيات الحديثة، ولا يقبل تنصيبها بديلا وحيدا في إنتاج الخطاب اللساني العام، فالخطاب اللغوي التراثي ليس أقل شأنا منها، فهو يكافئها وقد يفوقها في استنباط قوانين اللسان البشري وتجريد نماذج صورية له».[1]

وهذا يعني أن تجربة عبد الرحمن الحاج صالح تجربة نوعية قلّ نظيرها في البحث اللساني العربي، لأنها تقوم على آلية الفرز للتراث في حد ذاته، وتحديد ما يصلح منه لأن يكون قابلا للصياغة النظرية.[2]

كما يتسم عبد الرحمن الحاج صالح من حيث خطابه بنزعة التفنيد، وبخاصة ما اتجه منها نحو التراث العربي، فهو يفنّد ما في التراث من أغلاط تمّ توارثها، ويفنّد ما جاء عند بعض الدارسين اللسانيين المحدثين من أقاويل مغلوطة عن التراث ويصححها ويقترح بدائل عنها.

---

[1]– يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي: أصوله ومفاهيمه وإجراءاته: عبد الرحمن الحاج صالح، عبد السلام المسدي، عبد القادر الفاسي الفهري نماذج، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار–عنابة، 2013، ص 253. (مخطوطة).

[2]– المرجع نفسه، ص 254.

وقد اتبع في ذلك استراتيجية في خطابه أعلى بواسطتها من شأن التراث الأصيل وبوّأه المكانة التي يستحقّها وكذا الشأن للسانيات الحديثة.[1]

ويمكن ذكر الأطروحة التي قدّمتها الباحثة: معالي هاشم على أبو المعالي من جامعة بغداد بالعراق، بإشراف الدكتورة: بان صالح مهدي الخفاجي. عنوانها: "الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة/ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجا.[2]

وقد عرفت الباحثة –وبذكاء– كيف تذلل الصعاب التي واجهتها في كيفية اختيار موضوع بحثها، وكيفية الحصول على مصادره الأساسية والكتابات التي كتبت عنه، فحصلت على الكثير منها، جاء في مقدمة بحثها: «وواجهتني مشكلة أخرى هي رفض بعض الباحثين تمثُّل هذه الموضوعات لأسباب واهية ونظرة شخصية لا تصمد أمام البحث العلمي، الأمر الذي جعلني أخوض في الموضوع بإصرار وعزيمة أكثر من السابق إيمانا مني بجلب شيء جديد يضاف إلى مكتباتنا العربية».

ولعل هذه أهم صعوبة تواجه الباحث: تثبيط العزيمة. لكن الباحثة (معالي) كانت أقوى من ذلك، وكل ما كتبته عن الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة عند الحاج صالح في أطروحة جامعية يُعد جديدا.

وما أسعدني حقّا أنّ الباحثة قد حاولت جادة إدراك آراء الحاج صالح اللسانية، والوقوف عندها بالوصف والتحليل والنقد ومقارنتها

---

[1]– ما تزال الأطروحة مخطوطة ونرجو أن تُطبَع ذات يوم.

[2]– كان لي شرف تقديم هذا العمل بغية طبعه في كتاب كما أخبرتني صاحبته.

بغيرها مما جاء عند العلماء العرب والغرب. يظهر ذلك في الخطة المنهجية المحكمة، وأجرت –في نظري– قراءة جيدة لأعمال عبد الرحمن الحاج صالح بالرغم من أنها لم تدرس جميع أعماله.

ويمكن أيضا ذكر الأطروحة التي تقدّمت بها الباحثة هبة خياري بعنوان: "الخطاب اللساني العربي الحديث بين التراث والحداثة: المرجعيات الفكرية والممارسات التطبيقية". وقد أشارت إلى الحاج صالح مراتٍ عديدة في أطروحتها، مركّزة على مرجعيته التأصيلية، وعلى دحضه تأثّر النحو العربي بالمنطق الأرسطي في القرون الأربعة الأولى من الهجرة، وعلى النظرية الخليلية الحديثة ومقولاته المنهجية.[1]

أكتفي بهذه النماذج على سبيل التمثيل.

4- مشاريع عبد الرحمن الحاج صالح:

أنشأ عبد الرحمن الحاج صالح عدة مشاريع علمية لها قيمتها المعرفية، ودافع عنها بشراسة، ورعاها بما يملك من إمكانات مادية ومعنوية ومنها:

4-1- المشروع الأوّل: تأسيس معهد العلوم اللسانية والصوتية:

أورد الباحث محمد يحياتن–رحمه الله– في محاولته للتأريخ للبحث اللساني في الجزائر أن معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة

[1]– ناقشت الباحثة أطروحتها في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار–عنابة، سنة 2018 بإشرافي.

الجزائر، قد أنشئ بمرسوم وزاري رقم 30-66 الصادر في 1964/04/11[1]، ويعود الفضل في تأسيسه إلى الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي الذي كان وزيرا آنذاك، فدعّم المشروع ورعاه.

كان مقر المعهد بابن عكنون، وقد تحول بعد ذلك إلى بوزريعة بتسمية مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية. وقد جهزه بأحدث الأجهزة العلمية آنذاك، المتعلقة بالمعامل الصوتية والحاسوبية لدراسة اللغة العربية من الناحية اللسانية في مستوياتها الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية.

يقول الباحث محمد الصالح بن عمر واصفا إياه: «ولعلّ أوّل مخبر عصري ومتطور للأصوات في البلاد العربية هو المخبر الذي رُكِّز في سنة 1966 في معهد العلوم اللسانية والصوتية في الجزائر، وقد عُيِّن فيه للعمل ثلاثة مختصين في علم الأصوات، ومهندس في الإلكترونيك، وضبطت مهامه في دراسة المظهر المادي (الفيزيائي والفيزيولوجي) للأصوات اللغوية ويحتوي هذا المخبر على عدة وسائل تقنية منها: حنك صناعي وكيموغرافي إلكتروني، ومسجل ذبذبة ذو أشعة فوق بنفسجية، وسونوغراف، وآلة لإنتاج الأصوات من نوع أوفا... ومصلحة كاملة للتصوير بالأشعة...» [2]

---

[1]- ينظر: محمد يحياتن: اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، المجد6، عدد1، 1988، ص 35.. وينظر: يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي...، ص 189.

[2]- محمد الصالح بن عمر: اللغويون العرب المعاصرون والوسائل التقنية الحديثة في دراسة الأصوات، مجلة دراسات عربية، العدد 1و2، 1985، ص 73-74. وينظر: بشير

4-2- المشروع الثاني: الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي

انبنى على الأوّل، ويتمثّل في «إنشاء دبلوم الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، بمعهد العلوم اللسانية والصوتية».[1]

وقد أُسِّس لذلك فِرَق بحثٍ متخصصة تجمع بين المتخصصين في اللسانيات واللغة العربية والمهندسين في الحاسوب، والأطباء المتخصصين في علم أمراض الكلام، والمتخصصين في الرياضيات والفيزياء والإلكترونيك، واللغات الأجنبية الإنجليزية والفرنسية بصفة خاصة.

وبعد هذا من صميم العلوم المعرفية Les sciences cognitives في بعدها العلمي الصارم الذي يحتاج إلى باحثين أكفاء، عمل الحاج صالح على تحقيقه منذ بداية السبعينات من القرن الماضي.

وقد كان هذا المعهد قبلة للباحثين في الوطن العربي وحتى في بعض البلدان الأوروبية ذات العلاقة به.[2]

4-3- المشروع الثالث: مجلة اللسانيات

يتمثّل في مجلة "اللسانيات"؛ حيث تعد مجلة اللسانيات مجلة علمية متخصصة لها شروط نشر صارمة، تعنى بتوطين اللسانيات في الجزائر وفي الوطن العربي، وتنشر الأبحاث باللغات: العربية والفرنسية

إبرير: بحوث ودراسات في علوم اللغة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2020، ص 76-77.

[1]- محمد يحياتن: اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، ص 35. ويوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي، ص 189.

[2]- للأسف الشديد الكثير من الباحثين الجزائريين لا يعرفونه.

والإنجليزية في الجزائر والوطن العربي وفي العالم أيضا. ومما جاء في افتتاحيتها الأولى:

و«يسعد جماعة الباحثين الذين يشتغلون بالمعهد الجزائري للعلوم اللسانية والصوتية أن يقدّموا لجمهور الخبراء والأخصائيين في علوم اللسان ولعامة المثقفين المهتمين بهذه العلوم أول عدد لمجلتهم "**اللسانيات**"، وقد عقدوا النية على أن يجعلوا من هذه المجلة أداة صالحة للتعبير عن آرائهم والتعريف بها بما عساهم أن يتوصلوا إليه من نتائج في أبحاثهم وتحرياتهم، وكذلك ما انتهت أو ما ستنتهي إليه الأبحاث اللسانية في مختلف بلدان الدنيا...

ويجدر بنا الإشارة الآن أن نقدّم لقرائنا بعض التوضيحات حول الموقف الذي اتخذناه في إطار النظرية العامة لعلوم اللسان. نقول أولا: أننا نعتقد أن الأبحاث التطبيقية في هذه العلوم لحقيقة أن تحظى بنفس المكانة التي حظيت بها الأبحاث النظرية البحتة بل نؤكد –وهو موقف لنا سابق– أنه لا معنى يعقل لما يظنه البعض من وجود علميْن لسانييْن مختلفيْن، أحدهما نظري هو علم حقيقي عندهم، والآخر تطبيقي ونفعي فلا يعتبرونه علما بتاتا... وهيهات أن يكون هذا كما يظنون فإنّ علوم اللسان هي في الحقيقة علم واحد...»[1]

[1]– مقدمة مجلة اللسانيات، المجد 1، العدد 1، 1971. أفادني بها الباحث محمد مسعود بن مبخوت وقد أفاده بها كما أوضح الدكتور عبد القادر بن التواتي نجل الأستاذ الدكتور التواتي بن التواتي، ولا توجد هذه المقدمة في موقع المركز ولا موقع المجلة، ولا في البوابة، ولا عند كثير من الباحثين.

وبناء على هذه الرؤيا تم وضع الشروط الخاصة بالخط الافتتاحي للمجلة، وشروط النشر التي يجب توفرها في الأبحاث العلمية المقدمة للنشر. وقد صدر من هذه المجلة لحد الآن 26 مجلدا يشمل كلّ واحد عدديْن؛ أي صدر منها 52 عددا، احتوى على العديد من الأبحاث النظرية والتطبيقية في تخصصات علمية متنوعة.

4-4- المشروع الرابع: الذخيرة اللغوية العلمية العربية:[1]

تمثّل الذخيرة العربية مشروعا علميا حضاريا، يعد بمثابة الإضافة العلمية النوعية من الناحية النظرية زمن اقتراحه في نهاية الستينات وبداية السبعينات، وبكيفية تصوره القائم على إدراك الأسس العلمية والمعرفية التي تخصه، وتوقع آفاقه المستقبلية.

وهو اقتراح أصيل لا يمثل نسخة لغيره. وإنما هو مشروع علمي حضاري قومي يتعدى طاقة الفرد الواحد أو الجماعة الواحدة أو الدولة الواحدة، إلى تعاضد الجماعة وتآزرها على إنجازه، والعمل على تحقيق أهدافه في إطار مؤسسات علمية عربية عديدة مثل: المجامع اللغوية والمنظمات الثقافية والتربوية، كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب والحكومات العربية.[2]

إنه مشروع جدير ألا يشرف عليه لا مركز واحد ولا بلد واحد، بل بلدان العرب كلها، وفي أعلى مستوى، ما دام هناك إجماع على أهميته

---

[1]- نتناول الموضوع هنا باختصار، وسنعود إليه في مكانه من هذا الكتاب.

[2]- وهنا تكمن المشكلة؛ إذا لم تتعوّد المؤسسات العربية على العمل الجماعي الوحدوي، وكثير من المشاريع الطموحة أثّر عليها اختلاف وجهات النظر والنزوات السياسية فأجهضتها وذهبت بجهود أصحابها.

القصوى وذلك برفعه للمستوى الثقافي العربي إلى ما يقارب مستوى الغربيين[1]، وهذا من الناحية النظرية.

يعرّف عبد الرحمن الحاج صالح الذخيرة بأنها:

«بنك آلي من النصوص، وهي ليست مجرد مدونة أدخلت في ذاكرة الحاسوب، وهي ليست CDROM كما يقولون، بل مجموعة من النصوص أدمجت على الطريقة الحاسوبية، حتى يتمكن الحاسوب من مسحها كاملة، أو جزئيا، ولها عدد من البرامج الحاسوبية وضعت خصيصا لإلقاء أنواع خاصة وكثيرة من الأسئلة».[2]

إنّ ما نرجوه حتى لا نقول ما نتمنّاه؛ لأنّ التمني طلب المستحيل أو ما فيه عسر، أن تتكاثف الجهود وتتآزر في تحقيق هذا المشروع من لدن الباحثين الجامعيين الجزائريين بصفة خاصة، والباحثين العرب عامة.

خلاصة:

عبد الرحمن الحاج صالح شخصية علمية لها اعتبارها، كتب كتبا وأبحاثًا ومقالاتٍ لها قيمتها العلمية الثابتة، وله مشاريع علمية استراتيجية في خدمة اللغة العربية من حيث البحث العلمي والتربوي، وبما يجعلها تمارس حضورها الاستعمالي في القطاعات الحيوية الاجتماعية والاقتصادية، ويحقق رهانات التنمية اللغوية، ندعو الباحثين أن يهتموا بما كتب الحاج صالح وسيجدون فيه ضالتهم ولا شك في ذلك.

---

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة العربية، دراسة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد 2، ديسمبر 2005، ص 287.

[2]– المرجع السابق، ص 288.

الفصل الثّـــالـــث:

اللســـانيـــات العـربيـــة:

المفهوم والموضوع والمنهج

1- مدخل:

نخصص هذا الفصل للحديث عن اللسانيات العربية من حيث مفهومها وموضوعها ومنهجها وأهدافها وميادين تطبيقها ونتائجها.

فلكي تصير أية معرفة علمًا لا بدّ أن تتوفّر فيها جملة من الشروط العلمية منها:

- الأستناد على خلفية معرفية أو فلسفية محددة.
- أن يكون لها ماهية أو مفهوم.
- أن يكون لها موضوع أو ظاهرة أو مادة تمثل موضوعا للدراسة.
- أن يكون لها غاية أو هدف ترمي الوصول إليه.
- أن يكون لها منهج أو طريقة.
- وأن يكون لها ميادين تطبيق وأن تسفر عن نتائج.

وعندما نتأمّل تعريف اللسانيات –كما هو شائع– فإننا نجدها لا تحيد عن هذه الشروط العلمية المؤسسة لأي علم.

تُعرف اللسانيات بأنها الدراسة العلمية للغة (واللغة هنا بمعنى اللسان) أو الدراسة العلمية للسان البشري بوصفه نظاما من الأدلة التي تمّ التواضع عليها في لسان قوم محدّدين، يُدرَسُ دراسة وصفية آنية في ذاته ولذاته أو منه وإليه، باعتباره بنية شكلية ساكنة محصورة بين نقطة بداية ونقطة نهاية، بعيدا عن المؤثّرات الخارجية (النفسية والاجتماعية والعرقية والتاريخية).

نلاحظ في هذا التعريف مسائل هي:

أنّ للسانيات **مفهومًا** وهو الدراسة العلمية المتسمة –كما يقول كوهن– بالملاحظة والتجريب والضبط والموضوعية.

وموضوعًا يتمثل في اللسان بوصفه جملة من القوانين والمعايير والقواعد التي اتفقت عليها الجماعة اللغوية.

و**هدفًا** تعمل على تحقيقه وهو معرفة خصوصيات الأنظمة اللغوية المميزة لها عن غيرها من حيث أصواتها وصرفها ونحوها ومعجمها ودلالتها.

ومنهجا؛ يتمثّل في وصف الموضوع المدروس الذي هو اللسان، كما هو وصفًا آنيا على حقيقته دون نقصان بعيدا عن المؤثرات اللسانية التي كانت سائدة من قبل.

كما أن للسانيات **ميادين تطبيق** متعددة شكّلت علما مستقلا بذاته، هو اللسانيات التطبيقية linguistique appliquée التي تفرّعت هي بدورها فروعًا متعددة.

ولها **نتائج** محقّقة من هذه العلوم التطبيقية في الميادين المختلفة مثل التعليمية والتخطيط اللغوي وعلوم الحاسوب واللسانيات الاجتماعية... وغيرها.

وتستند في كلّ هذا إلى **خلفية معرفية** مؤسسة على الفلسفة البنوية التي تعطي السيادة للشّكل.

وهكذا فإنّ **الدراسة العلمية** تعني استخدام الأسلوب العلمي المؤسَّس على المقاييس الآتية كما جاء عد مازن الوعر:

- ملاحظة الظواهر اللغوية.
- التجريب والاستقراء الدينامي المستمر.
- بناء نظريات لسانية كلية من خلال وضع نماذج لسانية قابلة للتطوير.

- ضبط النظريات اللسانية الكلية ثم ضبط الظواهر اللغوية التي تعمل عليها.
- استعمال النماذج والعلائق الرياضية الحديثة.
- التحليل الرياضي الحديث.
- الموضوعية الدقيقة.[1]

تستخدم هذه المقاييس في دراسة العلوم المختلفة. ومنها اللسانيات بوصفها علما قائما له هوية.

لقد جاء دوسوسير بجهاز اصطلاحي، ومنظومة مفاهيمية خاصة تميّز خطابه اللساني الجديد فيزمانه بالنسبة للدراسات اللسانية الغربية والدراسات اللسانية العربية الحديثة التي غالبا ما تسير في فلك الدراسات الغربية ترديدا وتقليدا.

وكان لمفاهيم دوسوسير أثرها الواضح على البحث اللساني والنقدي في آن واحد، نذكر منها:

- اللغة–اللسان–الكلام.
- الآنية–الزمانية.
- الدال–المدلول.
- محور التركيب ومحور الاستبدال.
- العلامة اللسانية.
- العلاقة الاعتباطية.
- الشكل والمادة.
- العلاقات الترابطية وغيرها من المصطلحات والمفاهيم.

[1]– ينظر: مازن الوعر: قضايا في علم اللسان الحديث، ص 11.

درس دوسوسير اللسان باعتباره مؤسسة اجتماعية اتفقت عليها الجماعة المتكلمة باللغة. يتكون من موضعات لسانية محددة. وأخرج الكلام من الدراسة؛ لأنه منتوج فردي مرتبط بأحوال صاحبة، وبذلك لم يكن يشغله المعنى بالدرجة الأولى. **لقد كانت إضافة دوسوسير إضافة منهجية بالأساس**؛ إذ نقل البحث من التاريخي والمقارني إلى الوصفي الذي لا تتفاضل فيه لغة على أخرى. كما أعطى للغة المنطوقة أهمية مقارنة باللغة المكتوبة.

وعندما نلتفت إلى التراث اللغوي العربي نجد العلماء العرب القدامى قد درسوا لغتهم من جميع نواحيها، وأسّسوا المفاهيم ومصطلحاتها، وجمعوا الألفاظ ووصفوها وشرحوها وحلّلوها وفسّروها وأوّلوها، وحدّدوا أبنية الكلمات ووظائفها في سياقاتها اللغوية التي وردت فيها ومقاماتها التخاطبية التي أُنتِجت فيها.

ووصفوا أصول اللغة، واستنبطوا أحكامها العامة وهم –في ذلك– لم يتناولوها على أنها تقنيات وقواعد نحوية وصرفية وبلاغية ومعجمية، وإنما تناولوها من حيث كونها تنظيرا للظاهرة اللغوية عموما في مختلف تفاعلاتها.

يؤكد ذلك البحث في مصادر التراث الحقيقية ومنابعه الأصيلة التي تنوّعت بين مصنفات النحو وأصوله، والبحث الصوتي، والتراث البلاغي في جانبيْه: الفني والأدبي، والبحث النقدي، والجانب الكلامي المتعلق بإعجاز القرآن، وعلم الكلام، وأصول الفقه والفلسفة وعلم الاجتماع، والمعاجم وكتب التفاسير.[1]

[1]– ينظر للمزيد من التفاصيل: بشير إبرير: دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي، ص 12 وما بعدها.

يؤكد هذا رأي المستشرق رجيسبلاشير القائل: «لم أر في حياتي من الأمم من درس لغته بسعة وتعمُّق كما درس العرب لغتهم»، ويقول في اللغة العربية: «إنّها لغة كاملة C'est une langue parfaite».[1]

وإذا كان دوسوسير ومن تبعه من الدارسين قد ركّز على **دراسة اللسان** ولم يُعر الكلام اهتماما كافيا لأنه فردي، بينما اللسان مؤسسة اجتماعية، وترتّب على ذلك عدم الاهتمام بالمعنى الكامن في الاستعمال. فإنّ العلماء العرب القدامى قد درسوا "الوضع" و"الاستعمال" انطلاقا من مقولتهم المشهورة: **اللغة وضع واستعمال**، وفرّقوا بين مقتضيات الوضع ومقتضيات الاستعمال، فنظروا إلى اللغة بوصفها بنية شكلية حسب ما تقتضيه القاعدة النحوية وتقبله في بناء السياق اللغوي le contexte linguistique، وبوصفها خطابا له أبعاده الإخبارية الإعلامية الإفادية في بناء المقام la situation.

وإذا كان دوسوسير قد فرّق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وأعطى الأهمية أو الأسبقية في ذلك للغة المنطوقة، فإن العلماء العرب القدامى قد درسوا اللغة المنطوقة وأعطوها أهمية كبرى، دلّ على ذلك الكثير من استعمالاتهم ومصطلحاتهم مثل: المتكلّم والمخاطَب والسامع، والمتحدّث والحديث والمتحدَّث إليه والمتحدَّث عنه، ومقام الحديث وحال الحديث والمواضعة... وكل ما يتعلق بظواهر التواصل. فقد تحدّث سيبويه على سبيل المثال عن **مفهوم المشافهة** كما تحدّث الجاحظ عن **الفهم والإفهام** وما يتحقق بهما من وظائف لغوية لها علاقة بالبيان

[1]– نقلا عن الأستاذ مختار نويوات لمقدمة كتاب "دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي"، ص7.

اللغوي والبيان الإيقوني في الوقت نفسه. وتحدث الفارابي عن **المخاطبة** وأنواعها فمنها: المنطوقة والمكتوبة والإشارية.

وتحدّث ابن جني عن **اللغة بأنها أصوات** يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم كما هو شائع معروف. واللغة هنا بمعنى "اللسان" كما عند دوسوسير، وتجاوز ذلك إلى تحقيق الوظيفة التعبيرية عن الغرض وتبليغ المقصد. وكل هذه الظواهر التي تتجاوز البنية اللغوية الشكلية المغلقة إلى ما يتعلق بالمعنى الكامن في السياقات اللغوية بالنظر إلى مقاماتها الاستعمالية لم يدركها البحث اللساني الغربي إلا في نهاية الستينات وبداية السبعينات...

من ذلك مثلا:

مفهوم الخطاب: الذي أوّل من استعمله من اللسانيين الغربيين هو اللساني الأمريكي زيليغ هاريس Z. Harris بداية من 1952 وهي طفولة بالنسبة للفكر.

و**مفهوم النص:** الذي غاب من الاستعمالات اللسانية الغربية إلى أن جاء لويس هيلمسلافL. Hjelmslev وأعطى للنص تعريفا وتحدّث عنه من الناحية الإبستمولوجية واللسانية والسيميائية في نهاية الخمسينات.[1]

كما وصف العلماء العرب لغتهم من نواحيها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، واستعمالاتها اللهجية المتنوعة بين القبائل، ثم إنهم لما حددوا القبائل التي عنها أُخِذت اللغةُ العربية؛ لأنها تمثّل البيئة اللغوية الصافية، فإن ذلك قام على **الوصف** الدقيق لاستعمالات

[1]– ينظر: بشير إبرير: مفهوم النص عند لويس هيلمسلاف، ضمن كتاب: أبحاث في الغلوسياطيقا، تحرير وترجمة: يوسف إسكندر، دار الرافدين، بيروت، جامعة الكوفة، سلسلة دراسات فكرية، ط1، 2019، ص 241–263.

المتكلّمين. وبناء عليه، تمَّ تأسيس **الوضع اللغوي** الذي يخص اللسان العربي في نظامه الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي... ووصف للرقعة الجغرافية وللقبائل والأجناس والأمم المجاورة لهم مما يؤثر على لغتهم.[1]

وإذا كان دوسوسير في وصفه للسان لم يفاضل بين الألسنة/اللغات؛ وإنما الذي كان يشغله أن يعرف خصوصيات الأنظمة اللسانية كيفما كانت، فإن العلماء العرب هم أيضا نظروا إلى اللغة نظرة علمية وصفية خالصة؛ فقد قدّم ابن حزم الأندلسي (ت456ه) نظرة متميزة لدراسة الظاهرة اللغوية لم تدرك بعده –فيما أعلم– إلى أن جاء دوسوسير في بداية القرن العشرين الميلادي. ويعد نصه هذا دليلا على ذلك:

«وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات. وهذا لا معنى له؛ لأنّ وجوه الفضل معروفة؛ وإنما هي بعمل أو اختصاص. ولا عمل للغة ولا جاء نص في تفضيل للغة على لغة. وقد قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾. وقال تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾. فأخبر تعالى أنه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلا ليُفْهِمَ ذلك قومه عليه السلام لا غير ذلك.

وقد غلط جالينوس فقال: إنّ لغة اليونانيين أفضل اللغات؛ لأنّ سائر اللغات إنما هي نباح الكلاب أو نقيق الضفادع.

وهذا جهل شديد. لأن كل سامع لغةٍ ليست لغته ولا يفهمها؛ فهي عنده في النصاب الذي ذكره جالينوس ولا فرق.

وقد قال قوم: العربية أفضل اللغات لأنه بها نزل كلام الله تعالى.

---

[1]– ينظر: بشير إبرير: دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي، الفصل الخاص بالتواصل في التعليم واكتساب أنواع المخاطبة وبخاصة ص 67.

قال علي: وهذا لا معنى له؛ لأنّ الله عز وجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه (...) فتساوت اللغات في هذا تساويا واحدا».[1]

يوضح هذا النص لابن حزم الأندلسي النظر العلمي العميق من لدنه، لدراسة اللغة بموضوعية بعيدة عن التأثيرات العقدية: الدينية والعرقية المتعالية التي تميّز بها جالينوس الذي وصف اللغة اليونانية بأنها أفضل اللغات وغيرها هي –في نظره– نباح الكلاب ونقيق الضفادع. وهي نظرة عرقية عنصرية تنظر إلى بقية اللغات غير اليونانية نظرة دونية تحقيرية تتنافى مع العلم وما يقتضيه من موضوعية. لأنّ اللغة وسيلة للتبليغ والتواصل ولا تفاضل بين اللغات من هذه الناحية.

إنّ كلّ من لا يعرف لغة من اللغات ليست لغته ولا يفهمها كما قال ابن حزم، فهي عنده في النصاب الذي ذكره جالينوس وهذا جهل شديد كما قال.

فلا اليونانية أفضل اللغات ولا العربية كذلك حتى وإن نزل بها كلام الله عزّ وجلّ. فالله سبحانه وتعالى أرسل كلّ رسول بلسان قومه ليبين لهم وليفهم محتوى الرسالة التي أُرسِل بها لا أكثر من ذلك، وإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكّرون.

وكما نعلم جميعا، فإنّ دوسوسير قد قال بهذا المبدأ: عدم تفاضل اللغات في "محاضرات في اللسانيات العامة"، ردا منه على اللغويين الغربيين الذين سبقوه، وكانوا يُدخلون عوامل مؤثرة في دراسة اللغة

[1]– ابن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، مصر، د.ت، الجزء 1، ص 32.

مثل: العرق والتاريخ والعقيدة. فقال هو بالدراسة الوصفية للغة بوصفها بنية شكلية ساكنة تدرس في ذاتها بعيدا عن تلك المؤثرات...

وكان لذلك أثره البالغ في البحث اللساني الغربي والبحث اللساني العربي الحديث، وكذلك في البحث النقدي. وصرنا لا نجد مقالا أو كتابًا يخلو من ذكر دوسوسير في هذه المسألة. ويُنسى للأسف ابن حزم مع أنه صاحب السَّبق في هذه الفكرة.

وإذ نقول هذا فلا يعني أننا ننتصر للتراث العربي بلا وعي، وننكر ما جاء به دوسوسير في الدرس اللساني الغربي **والإضافة المنهجية النوعية** التي أضافها للبحث العلمي اللساني. وإنما نلفت الانتباه إلى أن نربط حبل التواصل مع التراث اللساني العربي حتى لا تكون قطيعة معه. لنستفيد منه، ولنعطيه حقه بوعي وتبصُّر بالخلفيات المعرفية التي تخصه. وننفتح من خلاله على الدراسات الحديثة.[1]

ومن بين أهم المصطلحات في منظومة دوسوسير الاصطلاحية محور التراكيب ومحور الاختيار Axe syntagmatique et axe paradigmatique والعلاقات الترابطية على مستوى الألفاظ والتراكيب، والعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول في تكوين العلامة اللسانية. وهي مفاهيم مهمة في بناء النظرية اللسانية لديه. فإذا عدنا إلى كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني (ت 471ه)، فإننا نجده يحتوي على مفاهيم أساسية في النظرية اللغوية العربية في وجوهها: النحوي والبلاغي واللساني، ومن هذه المفاهيم **مفهوم النظم**، وهو المفهوم البؤرة في الدلائل، وتنتظم حوله بقية المفاهيم أهمها مفهوم **التعليق أو**

[1]– ينظر: بشير إبرير: دلائل اكتساب اللغة في التراث اللساني العربي...، ص 100.

التعلّق؛ تعلُّق الكلام بعضه ببعض وكيفية ذلك، وما ينتج عنها من وجوه في المعاني وفروقٍ بينها بالنظر إلى الموضع الذي تنتظم فيه.

يقول عبد القاهر: «... أنّ سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها، وأنه كما يَفْضُل هناك النظمُ النظمَ، والتأليفُ التأليفَ، والنسيجُ النسيجَ، والصياغةُ الصياغةَ ثم يعظم الفعل وتكثر المزية حتى يفوق الشيء نظيره... كما لك عَمَل من تستوصفه عمل الديباج المنقش ما تعلم به وجه دقة الصيغة أو يعمله بين يديك حتى ترى عيَانًا كيف تذهب تلك الخيوط وتجيئ، وما يذهب منها طولا، وما يذهب عرضا، وبما يبدأ وبما يثنّي وبما يثلث، وتبصر بالحساب الدقيق ومن عجيب تصرف اليد ما تعلم منه مكان الحِذْق وموضع الأستاذية».[1]

نستنتج من هذا النص الصورة التي عقدها عبد القاهر للتشبيه بين **النظم والنسج؛** فكما تنتظم الخيوط في آلة النسج، فكذلك الشأن بالنسبة للألفاظ وهي تنتظم في النص، وكما تذهب الخيوط طولا وعرضا ويتكون المنسوج من تلاقي بعضها ببعض فكذلك الأمر بالنسبة للألفاظ التي تتعالق وتتقاطع أفقيا وعموديا ليتكوّن النص من محور التركيب ومحور الاختيار أو الاستبدال... لقد سمّى عبد القاهر هذا التلاقي أو هذا التعالق بين المحوريْن بـــ"معاقد الشبكة"[2]، مستفيدا من بيئته التي كانت صناعة النسيج وصياغة الذهب مزدهرة فيها مثل ما شبّه رولان

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، سلسلة الأنيس، موفم للنشر، الجزائر، 1991، ص 81.

[2]– عبد القاهر: أسرار البلاغة، دار المسيرة، بيروت، 1979، ص 127.

بارت R. Barth نظرية النص بشبكة العنكبوت في زماننا وهي نظرية تنسب إليه دون تردّد. ولكن نقول تفكير لغوي عن عبد القاهر وكأننا نستكثر عليه ذلك.

إنّ المنسوج نتيجة الكيفية التي يتم بها النسج، وبواسطة الخيوط التي تذهب طولا وتأتي عَرْضا فيحدث النسيج من التقاطعات الحاصلة بين ذهاب الخيوط ومجيئها، مكوّنة شبكة من العلاقات الترابطية على مستوى محور التركيب والاختيار Axe syntagmatique et axe paradigmatique كما جاء عند دوسوسير في بداية القرن العشرين.

ولسنا نقارن بين ما جاء عند دوسوسير وما هو كامن خفي في التراث اللساني العربي عند عبد القاهر وغيره من أعلام التراث. فمنابع النظريتيْن ليست واحدة والأهداف منهما ليست نفسها حتى وإن كان يوجد تشابه بل وتقاطع أحيانا يعطي للتراث السبق، وما الضير في ذلك !؟ ولسنا ننفي أبدا جهود دوسوسر وفائدته على البحث اللساني من حيث التحليل العلمي المنهجي الموضوعي للظواهر اللسانية والعامة الوجود منها والخاصة... وذلك من خلال الألسنة الخاصة بكل قوم. ويتم ذلك بالوصف العلمي الدقيق وتحاشي التحديد التحكمي للمعايير اللغوية[1]. وإنما حاولنا لفت الانتباه إلى أنّ للتراث اللساني العربي قيمة علمية، وهوية معرفية لا تُستثنى في البحث اللساني، وعلى الباحثين أن يأخذوها بعين الاعتبار، بقراءاتهم له قراءة نقدية موضوعية وازنة. وألّا يستكثروا على أنفسهم أن يصفوا التراث بما فيه من دلائل وعلامات معبّرة عن نسقه العلمي الدقيق في دراسة الظواهر اللغوية في مستوياتها

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان...، ص 174.

المتعددة؛ أصواتًا وصرفًا ونحوا ومعجما ودلالة وبلاغة، ورؤيا فكرية ومنهجا في إجراءات التحليل.

2-اللسانيات العربية عند الحاج صالح:

سبقت الإشارة إلى أنّ بعضا من الباحثين اللسانيين العرب لا يستسيغون استعمال هذا المصطلح "اللسانيات العربية" ويرونها غير موجودة. وأنّ الذين يقولون بها ليسوا موضوعيين أو لم يبلغوا من العلم ما يمكّنهم من ذلك.

وسبقت الإشارة أيضا إلى أن من يتردد في استعمال مصطلح "اللسانيات العربية" بحجة أو بأخرى؛ لأنّ اللسانيات ظهرت مع دوسوسير ولا دخل للعرب فيها. وإنما يوجد تفكير لغوي مبعثر هنا وهناك في مصادر التراث ليس إلّا.

بناء على هذا توجد لسانيات ولا توجد لسانيات عربية، شأنها شأن العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، «وبالجملة هناك علم اجتماع في الوطن العربي، وليس هناك علم اجتماع عربي، وهناك أنثروبولوجيا ولكن لا توجد أنثروبولوجيا عربية؛ لأنّ قيام علم اجتماع عربي وأنثروبولوجيا عربية يتطلب أساسا توفر دراسات حقلية وميدانية لقضايا الوطن العربي»[1] التي لا تهتم بواقع الإنسان العربي واحتياجاته وأهدافه وطموحاته، وبخصوصيات مشاكله ومعاناته.

ولكنّ هذا لا يتعلق بالتراث العربي وبخاصة التراث اللساني؛ لأنه درس واقعه -في نظري- من نواحيه المختلفة.

---

[1]- مصطفى غلفان: اللسانيات العربية: دراسة في الأسس النظرية والمنهجية، ص35.

يعد مصطفى غلفان واحدا من الذين يُقرون بوجود لسانيات عربية أسوة ببعض اللسانيين العرب. كما يظهر ذلك في كتاباته التي اهتم فيها باللسانيات العربية، فتارة يقف عند نشأتها وتكوينها، وأخرى يتتبع مسيرتها وتقويمها بغية فهم العوائق التي تعترض سبيلها. وقد حاول تحديد مفهوم للسانيات العربية مميزا بينها وبين "لسانيات العربية" قائلا: «فالأولى تهدف إلى الاشتغال باللغة العربية ووصفها في نسقها القديم أو الحديث أو نسقها الوسيط، وكذلك العمل على الفكر المتصل بهذه اللغة. **ولسانيات العربية** لا تتحدد باللغة المكتوب بها (إذْ لا يمكن أن تكون غير العربية) بقدر ما تتحدد باللغة موضوع الوصف.

أما **اللسانيات العربية**؛ فهي ذات مجال مختلف وأوسع؛ إذ تشمل كل ما هو مكتوب من اللسانيات الأجنبية، وقد نقصد أيضا باللسانيات العربية ما هو موجود من تصور عربي للظاهرة اللغوية».[1]

نلاحظ في هذا النص استعمال صاحبه لمصطلح "اللسانيات العربية" في عنوان كتابه، بل كتبه ومؤلفاته، الأمر الذي يعني أنه صاحب مشروع محدد يخصه. وقد وصف المصطلح "اللسانيات العربية" **بالحديثة**. الأمر الذي يقرر أنه يعني به مفهوما محددا. فهو لا يعني به –في نظري– تراث الخليل وسيبويه وغيرهما من أعلام التراث العلمي العربي، بقدر ما يعني ما ينتجه اللسانيون العرب المعاصرون كما يظهر ذلك من محتويات كتابه.

كما أن **مازن الوعر** قد دعا إلى محاولة وضع نظرية لسانية عرية حديثة ذات أبعاد فكرية محددة. مبنية على المناهج الحديثة والعربية القديمة، ومستفيدة من التيارات الفكرية اللسانية الغربية المعاصرة

[1]– المرجع نفسه، ص 33–34.

بالنظر إلى الأبحاث اللسانية التي قدّمها بعض اللسانيين العرب أمثال: عبد الرحمن الحاج صالح، والفاسي الفهري، وأحمد المتوكل ومازن الوعر نفسه. مفرّقًا بين التفكير اللساني العربي والتفكير العربي اللساني؛ لأنه ينبغي علينا أن نكوّن ونشكّل ونصوغ فكرا عربيا في اللسانيات، وليس فكرا لسانيا نفرضه على اللغة العربية.[1]

نلاحظ أنه لم يستعمل مصطلح "اللسانيات العربية" واستعمل بدله "التفكير العربي اللساني"، وكأنه يهرب من استعمال "اللسانيات العربية" حتى يتجنب النقد من الرافضين للمصطلح.

وقد سألتُ الأستاذ الحاج صالح عن هذه القضية نفسها:

يقول الدكتور مازن الوعر: «إنّ بإمكاننا وضع نظرية لسانية عربية حديثة انطلاقا من كتابات عبد القادر الفاسي وأحمد المتوكل من المغرب، وعبد الرحمن الحاج صالح من الجزائر، ومازن الوعر من سورية، فهل توافقونه على ما يقول؟»

فكانت الإجابة:

الدكتور مازن من الشبان الذين تشرّفتُ بإلقاء محاضرات عليهم في جامعة دمشق في السبعينات أستاذا زائرا، وهو من أخلص الناس وأكثرهم وفاء. إلا أنني لا أشاطره هذا الرأي، وذلك؛ لأنّ النظريات أو على الأصح الأقوال والآراء التي يقول بها واحد من هؤلاء الذين ذكرهم، يختلف بعضهم عن بعض اختلافا شديدا. بل قد يتعارض، وذلك بسبب اختلاف المنظور الفكري لكلّ واحد منهم. فللدكتور الفاسي الفهري نظرة خاصة، وقد اعتمد بعض آراء تشومسكي. وأما الدكتور المتوكل فهو في وادٍ آخر بعيد من هذا الاتجاه. وفيما يخص الدكتور

[1]– ينظر: مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة...، ص 356–357.

مازن؛ فهو من أتباع النظرية التوليدية. وفيما يخصّني؛ فقد حاولت أن أتأوّل أقوال الخليل وسيبويه، وما زدته من المحاولات ربما يستجيب للعديد من المتطلبات العلمية اللسانية ولا سيما في ميدان التطبيق العلمي والتقني لتدريس اللغات وعلاج اللغة بالحاسوب».[1]

هي إجابة واضحة، شارحة لم يشاطر فيها مازن الوعر رأيَه؛ إذاللسانيون الذين ذكرهم نماذج لتأسيس نظرية عربية مختلفون من حيث المشارب الفكرية، فالفاسي الفهري توليدي تحويلي هضم التوليدية التحويلية وتمثّلها، وأحمد المتوكل اهتم كثيرا بالنحو الوظيفي وبخاصة عند سيمون دايك. ومازن من أتباع التوليديين، والحاج صالح من مشرب فكري مختلف عنهم جميعا. ويبقى اقتراح مازن الوعر مجرّد رأي؛ إذْ لا يكفي الجمع بين آراء مختلفة من منابع فكرية لتأسيس نظرية. ولذلك تحفّظ الحاج صالح عن استعمال "نظرية" واستعمل: "الأقوال والآراء".

إنّ رأي مازن الوعر أقرب إلى القومية العربية والمنظور السياسي منه إلى النظر العلمي العميق.

ويوجد من حدّد مفهوم "اللسانيات العربية" بأنه «العلم اللغوي الذي كتبه وأنجزه هؤلاء الباحثون من تأمّل لساني، وتفكير وكتابة يعد لسانيات عربية. وأصل اللسانيات أنه مصطلح حديث يدل على مفهوم حديث نشأ مع عالم اللسانيات فرديناند دوسوسير، واستعير اليوم من قبل

[1]– بشير إبرير: حوار مع عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة الفيصل، عدد 245، 1997، ص 52.

الباحثين العرب المعاصرين، وأريد به ما كتب حديثا حول مناهج اللغة العربية».[1]

يرتبط هذا التعريف أيضا بالمنجز اللساني العربي الحديث. ويرتكز على دوسوسير بأنه المؤسس الحقيقي لهذا العلم.غير أنّ الدارس الحصيف للتراث وما احتوته كتب العلماء العرب القدامى يجدهم قد أشاروا إلى اللسانيات وهم يدرسون لغتهم، من ذلك ما أشار إليه ابن سيده (ت 458ه) بقوله:

«... ذلك أنه أدام الله مدته وحفظ على ملكه طلاوته وجِدَّتَه لما جمع العلوم النافعة من الديانات **واللسانيات**؛ فسلك مناهجها وشهَّر بمقدماتها نتائجها».[2]

فاللسانيات تعني عنده علوم اللغة العربية، وقد صيغت على منوال كلمات دالة على العلوم في القديم مثل: الرياضيات والبصريات، بإضافة الألف والتاء للفظة "لسان" لتدل على علم اللسان.[3]

فالتراث إذن ينضح بما فيه، ومن هنا جاء الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ليجعله وِرْدا تتناصر الهمم إليه، وبخاصة ما تعلّق منه بالجانب اللساني.

---

[1]– عبد العزيز علي الحربي وآخرون: مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، 2016، ص 1.

[2]– ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج1، ص 31–32.

[3]– مبروك بركات: النقد اللساني العربي، دراسة تقويمية للبحوث النقدية الحديثة، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد المجيد عيساني، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2017، ص 73.

بدأ بتحديد مفهوم "Linguistics/Linguistiques" بأنه يعني "علم اللسان" كما يطلق عليه في البلدان الأوروبية والأمريكية، وأنه صار أكثر نفوذا ونجوعا، لا بالنسبة إلى ما كان عليه في الماضي، بل أيضا ما استفادته العلوم الإنسانية من تجديد عميق بتطبيقها لمناهجه على مواضيع أبحاثها. وذلك بعد أن لاحظ الباحثون المتخصصون في هذه العلوم مدى النجاح الباهر الذي كللت به جهود زملائهم في "Linguistics" في المعلومات والمناهج لدى الباحثين السابقين».[1]

وبخاصة ما تعلّق بالمفاهيم والطرائق والأساليب المتبعة في البحث اللغوي من قبل، والتي لم يكن يجرؤ أحد قديما على مناقشتها أو إبداء رأيه فيها وإنزالها من مستوى التقديس الأعمى إلى مستوى النظر والتمحيص.

لقد اكتسبت اللسانيات صيتا عظيما بفضل ما توصلت إليه من دقة منهجية وتحرٍّ علمي وضبط نظري في فترة وجيزة.[2]

ونظرا لهذه الأهمية وهذا الصيت العالي راح عبد الرحمن الحاج صالح يبحث في هذا العلم مؤكدا على قضية مهمة جدا تجمع بينه وبين "**علم العربية**"، وأعني به كما قال: «علم اللسان العربي الذي وضعه العلماء العرب في أواخر القرن الأول الهجري (السابع الميلادي). وبلغ أشده في زمن أبي عمرو بن العلاء (ت 154ه) واكتملت مادته ووسائله على يد الخليل بن أحمد (ت 175ه) وتلميذه سيبويه (ت 180ه)، فإن هذا التناسب الغريب الذي وجدناه بين الأوضاع النظرية والمنهجية التي

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان...، ص 7.

[2]– ينظر: المرجع السابق، ص 7–8.

امتاز بها فكر الخليل ومن تابعه، وبين الأوضاع العلمية الحديثة وأخصّ منها أحدثها لجدير بالدراسة».[1]

وإذ نؤكّد على وجاهةِ هذا الرأي وقيمته العلمية، فهو مبني على نظرٍ علمي نقدي يخص التراث ويخص الحداثة وبخاصة من الجانب اللساني.

عنما نتأمّل أقوال عبد الرحمن الحاج صالح وآراءه اللسانية نجدها تمثّل قراءة نوعية تحفر في أعماق التراث اللساني العربي، وتعمل على استخراج ما فيه من لطائف ودرر، ومقارنتها بعلم اللسان العربي.

وما كان للدارسين الغربيين في اللسانيات أن يدركوا هذا التناسب الذي تحدّث عنه الحاج صالح؛ لأنهم أخرجوا الفترة العربية من التأريخ لعلم اللسان، وقد فاتهم في ذلك الكثير من الفوائد والقيم العلمية التي ربما كانت تؤثر في كثير من النتائج التي توصلوا إليها.

لا يعني هذا أن عبد الرحمن الحاج صالح ينتصر للتراث العربي هكذا بلا وعي مثلما يُشيع بعض الهامدين الخامدين الذين لم ينتجوا شيئًا. أو الذين يعارضونه لأغراض في أنفسهم يعلمها الله لا علاقة لها بالبحث العلمي؛ وإنما ينفتح على البحث الغربي أيضا، يتجلى ذلك في دعواته المتكررة إلى المزاوجة في الاهتمام بين التراث اللساني العربي والبحث اللساني الغربي، وبقراءتهما قراءة نقدية واعية بخلفياتهما المعرفية. والمقارنة بينهما مقارنة علمية موضوعية.

نقرأ ذلك في قوله:

«وقد أيقنَّا أنّ الدراسات اللغوية لن يكون لها شأن إذا لم يعد أصحابها إلى الخليل بن أحمد، ويحاولوا أن يتفهّموا ما قصده هذا الرجل

[1]– المرجع نفسه، ص 10.

العبقري بتعليلاته لظاهرة اللغة. وذلك بالرجوع أولا إلى كتاب سيبويه وشروحه، وبالرجوع ثانيا إلى من أدرك مقاصده حقّ الإدراك مثل: ابن السرّاج وأبي علي الفارسي وابن جنّي، وذلكم العالم الفذ الرضي الاستراباذي.

ويا حبذا لو درسوا في الوقت نفسه نظريات علم اللسان الحديث؛ لأنه فيها من المعاني والمفاهيم، لو تدبروها، لوجدوها شديدة الشبه بما يجدونه في الكتب القديمة. وربما ساعدتهم على إدراك ما لا يزال غامضا لديهم من نظريات النحو العربي، إذ إنّ المصطلحات العربية القديمة قد تنوسيت معانيها الدقيقة في غالب الأحيان».[1]

بدأ عبد الرحمن الحاج صالح نصه هذا بكلمة "وأيقنا"؛ من اليقين المبني على البحث والتقصي، المفضي إلى الحقيقة العلمية الجديرة بأن تُقال، ويتم تقريرها وتوضيحها.

وهي هنا، تتمثل في العلاقة بين التراث اللساني العربي وبين اللسانيات الحديثة، وما توفره من معطيات علمية مفهومية ومنهجية تمكّن هي، بدورها، من اكتشاف كنوز التراث اللساني العربي، وقراءته قراءة صحيحة، فيوجد تناسب وصفي بينهما واضح لمن يقرأهما بجدّية وموضوعية، فيستفيد استفادة جليلة في البحث اللساني.

كما نلاحظ الإشارة الذكية إلى المفاهيم والمصطلحات القديمة التي صارت تستعمل من لدن بعض الباحثين استعمالاتٍ غريبة في زماننا.

---

[1]– المرجع السابق، ص 10. مع الإشارة إلى أنه أورد أحيانا نصوصا طويلة لأهميتها وللاحتكام إليها.

يعود عبد الرحمن الحاج صالح بعد أو وضّح أهمية "Linguistiques" والتناسب الموجود بينه وبين التراث اللغوي/علم العربية إلى مواصلة تحديد المفهوم فيقول:

«... إنه الدراسة العلمية للسان»[1]، ثم يلفت الانتباه إلى عنصريْن أساسييْن في هذا التعريف هما: «العلم أو الدراسة الموصوفة به، ثم اللسان الذي هو موضوعها»[2]. محاولا التحليل الدقيق والفهم الواضح لمفهوم الدراسة العلمية، محددا مفهومها في نظرية المعرفة الحديثة، مبينا أن أرسطو هو أول من أعطى المعرفة العلمية صفاتها الحقيقية. يظهر ذلك في بيان قوله: «**بأنّ العلم إنما هو العلم الكلي**» في كتابه: "ما بعد الطبيعة، 1087".

وهذا يعني أن الأجزاء ما لم تأتلف في كلٍّ تنتمي إليه لا تُعد علمًا.

كما عمل الحاج صالح على توضيح العلاقة بين "العلم الكلي" وبين "العلم العام"، Générale في "Linguistique générale"؛ لأن "العام" كلمة تقال لوصف الأحداث والوقائع التي تلتقي كلها في حكم من الأحكام، وتتصف بصفة من الصفات، وأحسن كلمة تقابلها في العربية هي كلمة: "**الاطّراد**"؛ فعندما يطَّرد الأمر يصير عاما.[3]

يعني هذا أن علم اللسان علم كلي عام لا يتعلق بأعيان الأشياء بل يتجاوزها إلى القدر المشترك في كل منها؛ أي الأوصاف المستمرة التي يسميها العلماء العرب أصولا».[4]

---

[1]–عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 21.

[2]– المرجع نفسه، ص 22.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

[4]– المرجع نفسه، ص 24.

وأما الوصف الثاني الذي ألفه الناس في المعرفة العلمية، فهو وصفها **بالموضوعية** Objectivité؛ أي الدقة في مطابقتها للواقع؛ فقد يُدخِل الباحث في وصف موضوعه من الأوصاف ما ليس فيه زيادة أو نقصانا. فيكون لذلك تأثيره البالغ في النتيجة المتوصل إليها.

«إن محصول المشاهدات لا يبلغ الموضوعية الكاملة إلا إذا تمكّن كل الباحثين من تصحيحها في أي مكان وأي زمان»[1]، بالتحري العلمي والتقصي الدقيق والمقارنة، والتقليب على جميع الوجوه للحكم الصادر على الموضوع المدروس.

«فإذا كان مجرّد حكم فهو يوافق مفهوم الإجماع عند العرب... وإذا كان أثرا أو خبرا فهو يناسب التواتر... وأما باقي الأوصاف فهي راجعة إلى مصادر العلم وأصول تحصيله».[2]

فيوجد –بهذا– مصدران لهما علاقة بعضهما ببعض هما: رؤية الظواهر ومعاينتها واستقراؤها بشكل مستمر، ثم تنفيذ الإجراءات العلمية على المعطيات المتوفرة من الرؤية والمعاينة والاستقراء والمتابعة.

وهذان المصدران «**يسميهما علماء العرب الحس والنظر**».[3]

يمثّل **التعليل** أيضا عنصرا من عناصر المعرفة العلمية، فلا يكتفي العالم بالملاحظة والوصف؛ وإنما يحاول تعليل ذلك ومحاولة الإجابة عن كيفية خروج النسب والقوانين والأنظمة، وهو أهم سؤال يلقيه على نفسه.[4]

---

[1]– المرجع السابق، ص 24.

[2]– المرجع نفسه، ص 24–25.

[3]– المرجع نفسه، ص25.

[4]– المرجع نفسه، ص 30.

- **التمييز بين اللغة واللسان:**

ميّز عبد الرحمن الحاج صالح بين اللغة واللسان، وهو يتحدث عن مفهوم اللسان بوصفه موضوعا للدراسة العلمية، وفضّل استعمال كلمة "لسان" فتصبح العبارة: "**الدراسة العلمية للسان**". وإنما لها مدلولات متعددة منها:

- مقابلتها لكلمة "نحو" مثل الذي جاء في شرح الكافية للرضي (ت687ه). «إنّ الواضع إما أن يضع ألفاظا معينة سماعية.. وإما أن يضع قانونا كليا.. يحتاج في معرفتها إلى علم التصريف.. وفي معرفة بعضها إلى غيره من علم النحو..» (ص 5/1).
- مقابلتها لكلمة "**اصطلاح**" مثل الذي نجده في الاصطلاحات اللغوية مثلا: النص لغة.. هو الرفع والظهور، وهو من (ن.ص.ص) ينص نصًّا، ومنه المنصة. واصطلاحا هو بنية لغوية ثقافية متنوعة ذات أنماط.
- مقابلتها **للهجة**، لهجة قبيلة ما، مثلا: لغة تميم، ولغة هذيل.
- كما تدل على استعمالات مجازية أخرى مثل: لغة الزهور، ولغة العيون...

يقول عبد الرحمن الحاج صالح: «فهذه أربعة معانٍ.. ترجع كلها إلى مفاهيم لسانية محضة.

أما لفظ "**لسان**" فإنه لا يدل بهذا الاعتبار إلا على معنى واحد وهو: المعنى في تسميته بعلم اللسان».[1]

[1]-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 37-38.

وبناء على هذا فإن موضوع علم اللسان/اللسانيات ليس هو المجاز، وإنما هو الحقيقة التي هي «لفظ بقي على ما وُضع عليه في الأصل».[1]

فهو ثابت متفق عليه من الجماعة اللغوية؛ أي أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة مطابقة، علاقة حقيقية Dénotation، بينما العلاقة بين الدال والمدلول في المجاز مجازية إيحائية Connotation ترتحل بين الدلالات؛ فمن دال إلى مدلول، ومن مدلول إلى آخر. وهكذا. وهذا لا يمثل موضوعا لعلم اللسان/اللسانيات عند دوسوسير وأتباعه الذين عدّوا الدراسة اللسانية «هي دراسة من اللسان وإليه»[2]. وللعلوم الأخرى موضوعاتها الخاصة التي تلتقي فيها مع موضوع علم اللسان من الزاوية التي تتعلق بميدان اختصاصها. وأنهى عبد الرحمن الحاج صالح تحديداته للسان بهذا الرسم التوضيحي الذي يلخّص فيه كلّ ما يتعلق بالمجال المفهومي الدلالي للفظ "اللسان"[3]:

وبناء على هذا، فإن موضوع علم اللسان/اللسانيات ليس هو المجاز، وإنما هو الحقيقة التي هي «لفظ بقي على ما وُضع عليه في الأصل».[4]

---

[1]– المرجع نفسه، ص 40.

[2]– المرجع السابق، ص 40.

[3]– المرجع نفسه، ص 46.

[4]– المرجع نفسه، ص 40.

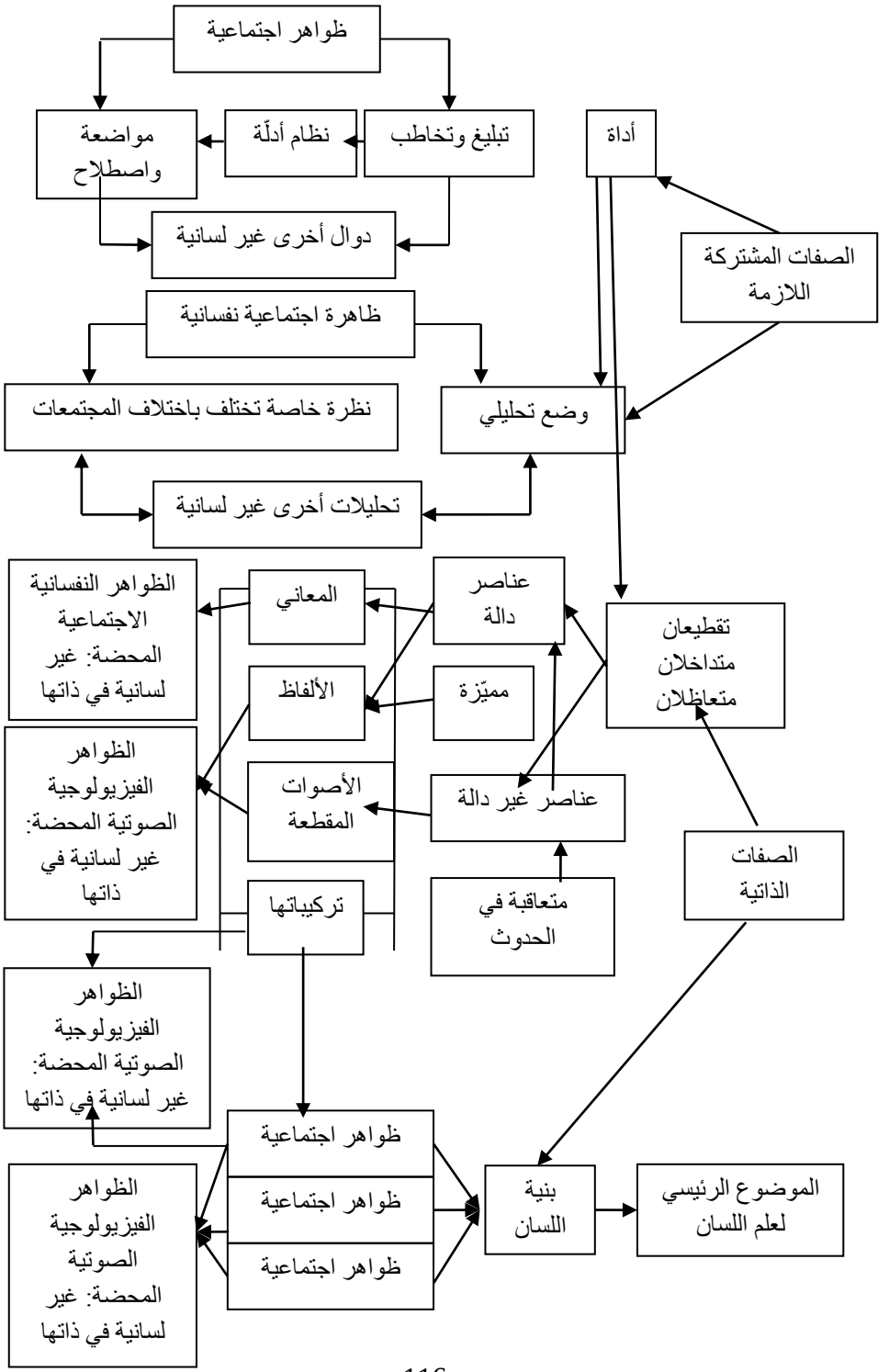
ظواهر اجتماعية
مواضعة واصطلاح
نظام أدلّة
تبليغ وتخاطب
أداة
دوال أخرى غير لسانية
الصفات المشتركة اللازمة
ظاهرة اجتماعية نفسانية
نظرة خاصة تختلف باختلاف المجتمعات
وضع تحليلي
تحليلات أخرى غير لسانية
الظواهر النفسانية الاجتماعية المحضة: غير لسانية في ذاتها
المعاني
عناصر دالة
تقطيعان متداخلان متعاظلان
الألفاظ
مميّزة
الظواهر الفيزيولوجية الصوتية المحضة: غير لسانية في ذاتها
الأصوات المقطعة
عناصر غير دالة
الصفات الذاتية
تركيباتها
متعاقبة في الحدوث
الظواهر الفيزيولوجية الصوتية المحضة: غير لسانية في ذاتها
ظواهر اجتماعية
ظواهر اجتماعية
ظواهر اجتماعية
الظواهر الفيزيولوجية الصوتية المحضة: غير لسانية في ذاتها
بنية اللسان
الموضوع الرئيسي لعلم اللسان

يلاحظ المتأمل لهذا الرسم أن اللسان هو أداة تبليغ وتواصل، وتلك هي وظيفته الأساسية. وهو أيضا ظاهرة اجتماعية لا فردية.

ولكل لسان خصائص من حيث الصورة والمادة. وهو نظام من الأدلة التي تم الاتفاق عليها من الجماعة المستعملة للغة. ويتكون من بِنًى ومجارٍ ظاهرة وخفية، تبرِز منطقه الخاص، ثم إنه وضع واستعمال، ولفظ ومعنى في كل من الوضع والاستعمال، ولبنياته اللغوية مستوى من التحليل مختلف عن مستوى الوضع والاستعمال.[1]

يمكن أن نستخلص من هذا كله أنّ:

اللسانيات العربية هي العلم الذي يدرس اللسان العربي دراسة علمية موضوعية، من حيث الوضع والاستعمال، والألفاظ ومعانيها في كل من الوضع والاستعمال، دون الاقتصار على أحدهما وترك الآخر، أو الخلط بينهما، وإنما لكل منهما مقتضياته وخصوصياته.

إن اللسانيات العربية La linguistique de la Arabya[2] كما سمّاها الحاج صالح لا تنحصر في الشكل أو اللفظ الدال، وإنما موضوعها يتمثل في الحديث وفي فعل التحدث في الوقت نفسه؛ أي دراسة الوضع اللغوي المتعلق بقوانين البنية اللغوية في واق الاستعمال وإجراءاته المتعددة حسب المقام ومقتضياته.

وبتعبير آخر تدرس البنية وتدرس الخطاب حسب الهدف من الدراسة.

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 184-185.

[2]– المرجع نفسه، ص 118.

وهي هنا أشمل من اللسانيات العامة عند دوسوسير وأوسع.

فقد تكلم سيبويه عن الكلام المستغني الذي يحسن السكوت عليه[1]، يقصد الكلام المفيد وهو «أقل ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف»[2]، وأدخل –بذلك– المعنى في الدراسة اللغوية منذ القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي.

ولم يشتغل البنويون الوصفيون في البحث اللساني بالمعنى، ويتعلق ذلك بمرجعيات فكرية محددة، ولم يحفلوا به، وسلّطوا اهتماماتهم على البنية المغلقة والشكل الساكن، ثم راحوا يبحثون عن شيء مجهول، لمّا اضطرتهم مضايق المعرفة وإجراءات التحليل إلى ذلك، هو المعنى. ولم يدركوا أهميته في الدراسة اللغوية إلا في السنين الأخيرة من القرن العشرين مع الدراسات التداولية والمعرفية.

إنّ كلّ شيء في اللغة هو لخدمة المعنى.

وقد ظل هو القدح المقدّس المبحوث عنه «الذي لا تسعى وراءه اللسانيات وحدها، ولكن أيضا الفلسفة وعلم النفس وعلم الأعصاب دون ذكر مجالات أبعد كالنظرية الثقافية والأدبية».[3]

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، 1993، عدد2، ص 10.

[2]– المرجع نفسه، ص 10.

[3]– إرايجاكنوف، ونعوم تشومسكي، ور. فنلدر: دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة: محمدغاليم ومحمد الرحالي وعبد المجيد حجفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1،2012، ص 11.

خلاصة:

وبهذا يكون للسانيات العربية مفهوم وموضوع ومنهج وإجراءات تحليل، وجهاز اصطلاحي ومنظومة مفهومية ميّزت معظم الكتابات اللسانية لدى عبد الرحمن الحاج صالح، ورسمت طريقها المعرفية بين المدارس اللسانية، وأسستها على خلفية معرفية إبستمولوجية متعلقة بـــ "علم العربية" كما سمّاه سيبويه وأستاذه الخليل ومن جاء بعدهما من العلماء العرب الأجلاء.

وجمعت بينها وبين حقول معرفية عديدة أو ما يسمى بتضافر التخصصات وتكامل المعارف في دراسة السيرورات المعقدة للمعرفة اللغوية وفهم أسرارها.

فاللسانيات عند عبد الرحمن الحاج صالح تنفتح على تخصصات علمية تكنولوجية وطبية وحاسوبية وهندسية إلكترونية ورياضية في دراسة اللغة وفهمها وتوظيفها.

هذا ما سنحاول الكشف عنه في الفصول والمباحث الآتية.

الفصل الـرّابـــع:

البعد الإبستمولوجي في اللسانيات العربية

لدى عبد الرحمن الحاج صالح

نخصص هذا الفصل للحديث عن البعد الإبستمولوجي في اللسانيات العربية من خلال كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية.

فمعظم كتبِه وأبحاثِه المنشورة في المجلات، موسومة بأدلة البعد الإبستمولوجي الذي يشكل أساسا مهما فيها. يبرز ذلك في قراءته الناقدة للتراث اللغوي العلمي العربي، الواعية بأسسه المعرفية، وخلفياته الفكرية المؤطرة لخطابه، المنتجة لرؤاه وتصوراته المحددة لأهداف دراسته.

ويبرز أيضا في نقده للمعرفة المتعلقة باللسانيات الغربية ومبادئها باعتبارها علما قائما برأسه.

1- مفهوم الإبستمولوجيا:

تعني الإبستمولوجيا في الاستعمال العلمي المعاصر الدراسة النقدية للمعرفة العلمية وتهتم بالبحث النقدي في مبادئ العلوم وموضوعاتها وفرضياتها، بغية إبراز بُناها ومنطقها وقيمها.[1]

وتعني الإبستمولوجياEpistémologie فيما تعنيه العلم والنقد والنظر والدراسة لمنطق العلوم الذي يعني المعرفة العلمية بها؛ أي الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية.

وإذا كانت **اللسانيات** تتساءل عن أحوال اللغة وطرائق جريانها بغية وصفها وتفسيرها والكشف عن منطقها. فإن **إبستمولوجيا**

---

(1)– artides.www.moncnoun.com

اللسانيات تتساءل عن هذا الخطاب الواصف نفسه بغية الكشف عن أصوله ومنطقه واستلزاماته ومناهج تحققاته.

لقد أفرزت الدراسة اللسانية خطابها الإبستمولوجي الذي يسائل ويفسر ويكشف ويقوّم وينقد.[1]

وجاء في معجم أكسفورد أنّ الإبستمولوجيا تركّز على طبيعة المعرفة وأصلها وحيّزها وتفحّص العناصر المحددة لها ومصادرها وحدودها... إنها دراسة طبيعة المعرفة وآليات تبريرها.[2]

ويمكن الإشارة إلى أنّ التداخل الموجود بين الإبستمولوجيا ومفاهيم أخرى تتقاطع معها وتختلف عنها في الوقت نفسه مثل: فلسفة العلوم، ونظرية المعرفة، والميتودولوجيا، وتاريخ العلوم. فكثيرا ما تتداخل هذه المفاهيم أثناء الممارسة الإبستمولوجية، وتتردد في استعمالات الدّارسين.

وقد نبّه أندري لالاند A. Lalande في موسوعته الفلسفية إلى الفرق بين الإبستمولوجيا ودراسة المناهج العلمية وبينها وبين نظرية المعرفة La méthodologie et le théorie de la connaissance على ما بينهما من علاقات، ويعتبر ميزة الإبستمولوجيا كامنة في كونها تدرس المعرفة بالتفصيل وبشكل بعدي، في مختلف العلوم والأغراض، أكثر مما تدرسها على صعيد وحدة الفكر.[3]

---

[1]–ينظر: حافظ إسماعيلي عليوي وامحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للكتاب، ناشرون، لبنان، ط1، 2009، ص 17–18.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص 21–22.

[3]–ينظر:

وأما الميتودولوجيا؛ فهي خطة عملية عقلية مترابطة منسجمة يقوم بها العالم من بداية بحثه إلى نهايته قصد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها.

بينما نظرية المعرفة؛ تبحث في إمكانية قيام معرفة ما عن الوجود بمختلف أشكاله ومظاهره، وتبحث فيها من حيث أدواتها وحدودها وقيمها.

وأما فلسفة العلوم؛ فهي تفكير في العلم من جوانبه وحدوده ومبادئه أو فروضه وقوانينه وفي نتائجه الفلسفية وقيمه المنطقية والأخلاقية، مع أن التعريف يبقى غير محدّد.[1]

والذي يهمّنا في كل هذا هو: إبستمولوجيا اللسانيات ما هي؟

إنها مقاربة تهتم بصورة المعرفة اللسانية، من أجل تقويمها من جهة أسسها ومبادئها المصرّح بها والمسكوت عنها.[2]

ولقد انصبّ اهتمام عبد الرحمن الحاج صالح على دراسة المعرفة اللسانية العربية القديمة المتمثلة في تراث الخليل وتلميذه سيبويه ومن جاء بعدهما من العلماء، فكشف عن الأسس والمبادئ الواضحة المصرّح بها، والخفية المستورة، الكامنة خلف الخطابات المؤطرة لها.

كما قرأ اللسانيات الغربية وفهمها وقدّم نقدا لها مبيّنا أسسها ومبادئها الظاهرة والمستترة، موضحا الإيجابي والسلبي فيها، مستخلصا

A. Lalande : Vocabulaire technique et critique de la philosophie, 9ème édition, Voir : Epistémologie, 1991. www.mominon.com

[1]–ينظر: حافظ إسماعيلي عليويوامحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 23.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

«العبر المعرفية والقيم الإبستمولوجية للسانيات ما دامت الإبستمولوجيا تقويما لنوع خاص من المعارف العلمية».[1]

ويمكن الإشارة هنا إلى أنّ هذا النوع من القراءة المؤسسة على النظر الإبستمولوجي، والباحثة فيه، وفي الأسس والمبادئ والعلل بمنهج علمي تعد قليلة نادرة، ومتقطعة. بمعنى أنّ الذين يقومون بها أفراد لا مؤسسات تعمل على الربط بين النشاطات الفكرية المختلفة في منظومة متماسكة منسجمة من الناحية الثقافية.

نورد في هذا المقام، هذا الرأي للمفكر الجزائري محمد أركون:

«إنّ الإنتاج الثقافي العربي المعاصر يغيب عنه النظر الإبستمولوجي، هناك إنتاجات بالطبع، من مستويات عدة، ولكن النظر الإبستمولوجي يقوم بالذات على النظر إلى الائتلاف في مختلف النشاطات التي يبلورها الفكر في ثقافة ما. وفي فترة ما. هذا البحث عن الائتلاف والمراقبة لمختلف أنواع الخطاب العلمي التي أنتجها الفكر العربي المعاصر غير موجود.

ومن ثمّ لا نستطيع قول شيء عن الإبستمولوجية العربية الكلاسيكية، وبالمقدار نفسه لا نستطيع الحديث عن إبستمولوجيا للفكر العربي المعاصر [...] وبالمقابل فإن هناك انقطاعا؛ كأن نجد عربيا حقّق تقدما أو سبقا في ميدان الفيزياء مثلا أو ميدان السوسيولوجيا... إنها نشاطات متعلقة بفرد أو متقطعة [...] في حين لا يوجد شيء من

[1]–المرجع نفسه، ص 36. وقد أحال المؤلفان إلى عبد السلام بنعبد العالي وسالم يفوت في درس الإبستمولوجيا، ص8.

هذا في ممارسة الفكر العربي المعاصر، وما نجده مهيمنا هو خطاب من الطراز الإيديولوجي، السياسي القتالي».[1]

لعلنا لا نختلف في وجاهة هذا الرأي المبني على قراءة لها دراية بالفكر العربي الحديث والمعاصر. استطاع من خلالها رصد القطائع وتعددها وخطورتها... وغياب عمل مؤسسي عميق ينشد الائتلاف. والدليل على ذلك أن مفاهيم من مثل: النظر الإبستمولوجي وتاريخ العلم، وفلسفة العلم، وغير ذلك من المفاهيم الفكرية التي تظل مستغلقة على الكثير منا. فلا نعرف الاشتغال بها؛ لأننا لا نعرفها ولا نعرف وظائفها العلمية.

ولأن جامعتنا –مع الأسف– تظل تلوك الجاهز وتحصيل الحاصل ولا تساير زمنها، وغالبا ما تشتغل بخطابات من الطراز الإيديولوجي السياسي القتالي كما قال أركون.

وهذا يُشعر المفكرين والباحثين الأفراد في أنواع المعرفة وفروعها التي يشتغلون بها، بالغربة؛ بل ويعمل على تغريبهم بما يعنيه المصطلح من مفهوم.

ولعل البحث اللساني العربي لا يخرج عن هذا؛ إذ يوجد باحثون لسانيون أفرادا على وعي بكل هذه القضايا المهمة، ولكنهم في حاجة إلى عمل منظومي مؤسّسي مثمر.

---

[1]– محمد أركون، جما الدين بن الشيخ، أندريه مايكل: ثلاث شهادات عن الاستشراق والمعاصرة. حوار أحمد المديني: محمد أركون: التأمل الإبستمولوجي غائب عن العرب، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، الأعداد 20، 21، 22. نقلا عن وائل غالي: تاريخ العلوم العربية وتحديث تاريخ العلوم،سلسلة مكتبة الأسرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2005، ص 30.

كشف عبد الرحمن الحاج صالح في علوم اللغة العربية لدى العلماء العرب القدامى عن التكوين العربي المتقدّم عن الحداثة الغربية في اللسانيات، وقبل أن يعطي الأهمية للتراث اللغوي العربي، فهو لساني حديث ذو معرفة عميقة باللسانيات الغربية وكان على دراية بأمر العلوم اللسانية التي يبحث فيها وفي تاريخها وفلسفتها وأهميتها.

وبإمكاننا القول: إنه أسّس حقيقة للسانيات العربية في إطار العلاقة الوثيقة مع اللسانيات الحديثة. ويُعدُّ واحدا نادرا من هذا الجيل من الذين جمعوا بين المعرفة بالتراث اللغوي العربي والإسلامي وبين اللسانيات العربية الحديثة من حيث جانبها النظري ومن حيث جانبها التكنولوجي الذي بإمكانه أن يغني التراث فتستغني اللسانيات الغربية نفسها.

وهو من الذين يدرسون التراث اللساني بالنظر إلى مدى قربه أو بعده عن الحاجات الأساسية للعلم.

2- منطق العرب في علوم اللسان:

هذا عنوان كتاب من كتب الحاج صالح المهمة في المعرفة اللسانية العربية القديمة والحديثة، وحتى المعرفة اللسانية الغربية.

ملخّصه أنّ للعرب منطقهم الخاص في دراسة لغتهم؛ يختلف تماما عن منطق أرسطو، وبخاصة في القرون الأربعة الأولى من الهجرة التي تمثّل أصالة النظرية النحوية العربية.

يُعد هذا العنوان علامة دالة على النسق الإبستمولوجي الذي يميز الكتاب كلّه: في أبوابه وفصوله ومباحثه. بل إنّ هذا الكتاب: "منطق العرب في علوم اللسان" **ليُعد معرفة إبستمولوجية عميقة وشاملة.**

ارتكز عليها في وصف البحوث اللسانية السابقة عليه وتفسيرها وتقويمها، وفي التأسيس لنظرية لسانية عربية حديثة سمّاها: **النظرية الخليلية الحديثة.**

استهلّ عبد الرحمن الحاج صالح كتابه هذا بمقدمة نصفها بأنها **إبستمولوجية خالصة.** طرح فيها أفكارا عديدةً، بدأها بالحديث عن النحاة العرب الأوّلين. وكيف اعتمدوا في بحوثهم على وسائل تحليلية عقلية، مبيّنا أنّ العقل يستخدم أكثر من طريقة، وأنّ طريقة النظر العقلي لتحصيل العمل تختلف بين الأقوام وبين الأزمنة وبين المنظورات العلمية.

وقد توسّع المؤرّخون للعلوم في إحصاء الوسائل العقلية التي استخدمت عبر العصور، وحلّلوها بدقة، وأثبتوا كيفية تطورها عبر الزمان.

والعجيب الغريب –كما قال– بالنسبة لعلوم اللسان عند العرب أن يكون وأن لا يزال ميدانا محفوفا بالأوهام الخطيرة حتى عند أبرز المؤرخين[1] من ذلك أنّ كثيرا من العلماء العرب يشتكون من هذا الذي يسمّونه غموضا خاصا بالقياس النحوي.

والمعروف عن النحاة العرب «أنهم توصّلوا إلى إثبات مجموعة من الأصول استخرجوها بالنظر في كلام العرب، وحاولوا أن يفسّروا ما خرج عنها... كما صرّحوا عن ذلك (وباصطلاحهم الخاص)».[2]

وقد استدعى المقامُ أن ينبّه القارئَ الباحثَ في مثل هذه القضايا إلى شيئين هما كما جاء في قوله:

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ....، ص 7.

[2]– المرجع نفسه، ص 7–8.

«**الأوّل** يخص ما نعنيه بالمنطق؛ فالذي نعنيه بهذه التسمية يحصر المعنى الضيق والمعنى الواسع. فأما الأول فهو ما يتعلق بالحد والاستدلال وصحتهما وكيفية صوغهما لهذا الغرض. وأما المعنى الواسع فهو مجموع الوسائل العقلية التي يعتمد عليها البحث العلمي، سواء كان ذلك في طرائق المشاهدة وحصر المعطيات وتصنيفها وإحصائها وتصحيحها أو في طرائق التحليل وطرائق اكتشافها. وغير ذلك مما يُعطي الجانب العقلي للبحوث الرامية إلى تحصيل العلم (ويدخل ذلك في إبستمولوجية العلم)».[1]

يلاحظ المتأمل لهذا النص من حيث مفاهيمه ومصطلحاته، مدى الرصانة العلمية والمنهجية التي تميّز تفكيره، ومدى عمق نظره الإبستمولوجي في معالجة الموضوع المتعلّق بعلوم اللسان.

وأما الشيء الثاني الذي نبّه عليه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح فيخص العلماء العرب وعلماء اللسان؛ فهو يعني العلماء المبدعين المؤسّسين لعلوم اللسان وفروعها من القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع الهجري ومن جاء بعدهم من العباقرة. وكثيرا ما يذكر هذا في أبحاثه وكتبه. وكثيرا ما يخص بالذكر الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه في كتابه: "الكتاب" «وهو أقدم ما وصل إلينا من كتبهم وأوفاها، وبالتالي يحتوي على ما عالجه أصحابه وأتباعه، وهو أساسا، الجانب النحوي الصرفي الصوتي للغة ولم يكن هذا الميدان مع ذلك مجرد نحو وصرف؛ لأنه لم يهمل أبدا الجانب الدلالي لأنواع الأبنية والتراكيب العربية من جهة، ومن جهة أخرى المعاني الخارجة عن دلالة اللفظ، كدلالة الحال وغيرها.. ثم اعتدّ سيبويه كثيرا بظواهر الاستعمال ومنها

[1]– المرجع السابق، ص 8.

نظريته في ظواهر التخاطب... وكل هذا يدخل في الميدان الواسع لعلوم اللسان...»[1].

كان للعرب الأولين منطقهم الخاص ولم يكونوا متأثّرين أبدا بمنطق أرسطو، المختلف عن منطقهم جملة وتفصيلا.

«وأن يقتصر الباحث في معرفته للمنطق العلمي على منطق أرسطو وحده، قد يمنعه من فهم كل منطق لا يمتّ بصلة إلى منطق أرسطو»[2].

ومن بين العوامل التي جعلت الباحثين لا يهتمون –على الأقل– بما كان يجري في القديم من البحوث العلمية من الناحية الإبستمولوجية، تأثير المذهب الإيجابي الذي أسّسه الفيلسوف الفرنسي أوغيست كونت A. Conte القائل بأن تطور العلوم يتم في خط مستقيم في ثلاثة أطوار أساسية: الديني والميتافيزيقي والإيجابي.

يعلّق عبد الرحمن الحاج صالح على هذا بقوله:

«فلا يتصور على هذا، أن يكون ظهر مفهوم علمي حقيقي، حسب زعمهم، قبل العصر الإيجابي (وهو عصر النهضة الأوروبية). وهذا أبعد الأقوال عن الحقيقة»[3].

لقد كان هذا مدعاة لتوليد قناعة رسخت في أذهان بعض الباحثين الغربيين والعرب أنّ الحضارة الغربية لها السبق دائما في ميادين العلم ونظرياته وطرائق تحليله.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 8–9.

[2]–عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 9.

[3]– المرجع نفسه، ص 9–10.

وللرد على هذا الادعاء يحيل عبد الرحمن الحاج صالح إلى «أنّ ما اخترعه الغربيون من جديد في الرياضيات كان قد ظهر منذ قرون عند العلماء العرب»[1]، ويقدّم الخوارزمي صاحب كتاب: "الجبر والمقابلة". وألّف له مختصرا حاصرا للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من حاجة إليه في موازينهم ووصاياهم وفي مقسّماتهم وأحكامهم وتجاراتهم وفي جميع ما يتعاملون به من مساحة الأراضي وكري الأنهار والهندسة وغير ذلك.

وكذلك علماء الجبر بعد الخوارزمي وما حققوا من تطوير بتطبيق الحساب على الجبر، وإجراء العمليات على العناصر المعلومة والمجهولة. كما جمعوا بين الهندسة والجبر. وكان ذلك قبل المدرسة الإيطالية في القرن السادس عشر، وقبل الفرنسي "فيات F. Viete" في طريقة حلّ المعادلات الرياضية من الدرجة الثالثة[2].

يحيل عبد الرحمن الحاج صالح في آرائه هذه إلى العالم المصري الجليل رشدي راشد[3]الذي أعاد كتابة تاريخ العلم لا بما هو مجرّد منظومة من القضايا والنتائج، أو بما هو نسق من المسائل ومجال الصراعات الاجتماعية. بل من حيث محدداته وصوره وأشكاله

---

[1]– المرجع نفسه، ص 11.

[2]– ينظر: المرجع السابق، ص 10–11.

[3]– ولد سنة 1936. عالم مصري في الرياضيات، وفيلسوف ومؤرخ، مؤسس استراتيجية جديدة في التأريخ للعلوم بعامة والعلوم العربية بخاصة، مقيم في باريس منذ 1956، وهو أستاذ في جامعة "دوني ديدرو باريس 7"، وجامعات العالم بصفة عامة. ينظر: وائل غالي: تاريخ العلوم العربية، ....، ص 5.

ومحتوياته ومضامين تاريخ الجبر، وفلسفته، ونظرية الأعداد والمناظر الهندسية والفيزيائية... وتطبيق الرياضيات في العلوم الإنسانية والاجتماعية. وهو بهذا الصنيع **استعاد وبصورة أساسية المبادرات العلمية الأولى التي استطاع العرب بواسطتها لا أن يفتحوا الطريق لعلوم الرياضيات وفلسفتها وحسب، بل أن يقيموا أسس الرياضيات الكلاسيكية وفلسفتها نفسها**[1].

أشار وائل غالي إلى فكرة مهمة جدا **عن الريادة في العلم**؛ إذ يعني البحث عنها الخلط بين العلم وتاريخ العلم، بين موضوع العلم وموضوع تاريخ العلم، وعليه فإنّ تصوّر "الرائد" بالنسبة إلى الباحث المؤرخ يضر بتاريخ العلم، لأنّ تاريخ العلوم يصدر عن الفكر باعتباره تاريخا للمسائل وحلولها؛ وهو بذلك، يقبل الانقطاعات الإبستمولوجية وتحوّل المنظورات وتغيّر زوايا النظر. وبذلك استغنت الإبستمولوجيا المعاصرة في العالم الغربي عن تصوّر مفهوم الريادة بالنسبة لتاريخ العلوم[2].

وبناء على هذا، فإن مفهوم الريادة يسقط الموضوعية لا عن العلم فحسب، بل عن التاريخ أيضا.

بعد أن أشار عبد الرحمن الحاج صالح إلى هذه الخبايا الإبستمولوجية قرّر أنّ الخليل بن أحمد قد سبق الغربيين فيما ابتكره في التحليل التركيبي CombinatoryAnalysis للغة. والاختصاصيون في الرياضيات واللسانيات يعرفون ذلك.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 11.

[2]– ينظر: المرجع السابق، ص 34.

ويسمى في الرياضيات الحديثة في زماننا بـــ "الـــ عاملي" Factorial ويسميه المصريون بـــ "التباديل والتوافيق". ولم يظهر هذا الحساب قبل الخليل، ولم يستعمله أي باحث بعده في تحليل اللغة. وهو طريقة خاصة لجأ إليها الخليل في تحليل الكلم العربية.

وأهم ما فيه هو ما يسميه العلماء بعد سيبويه بـــ "**قسمة التركيب**" أي الـــ "Combinatory" ويعبّر عنه الخليل بمفهوم يخصّه هو: "**وجوه التصريف**". وهو باب من أبواب الرياضيات، وكما قال ليبنيتزLeibniz: «إنّ للرياضيات لبنة أساسية هي: الـــ "Combinatory"» وهو أوّل من استعمل هذا اللفظ من الغربيين.[1]

يؤكّد هذا ما قاله الخليل في القرن الثاني الهجري:

«اعلم أنّ الكلمة الثنائية تتصرّف على وجهيْن نحو: قد، دق... والكلمة الثلاثية تتصرّف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهي نحو: ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب، ربض... والكلمة الرباعية تتصرّف على أربعة وعشرين وجها وذلك أنّ حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه، فتصير أربعة وعشرين، يكتب مستعملها ويلغى مهملها... والكلمة الخماسية تتصرّف على مائة وعشرين وجها، وذلك أن حروفها وهي خمسة أحرف تُضرَب في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون وجها يُستعمَل أقله ويُلغى أكثره».[2]

يؤكّد هذا خصائص العربية في الاشتقاق والتحويل والإبداع حسب سنن العرب في كلامها، وما تقتضيه أوضاعها ومعاييرها اللغوية

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 13.

[2]– الخليل بن أحمد: العين، ج1، ص 65–66.

الضابطة، والقدرة على التمييز بين "المستعمل" الصالح للتخاطب، وبين "المهمل" غير الصالح بالنظر إلى مقتضيات التخاطب ومقاماته.

لقد احتوت المقدمة الخاصة بكتاب: "منطق العرب في علوم اللسان" بالإضافة إلى ما رأيناه، عدة قضايا أخرى منها: النحو العلمي والنحو التعليمي، ومشكلة التحديد الزمني لنشأة النحو العربي، وقضية نقط المصاحف وأصالته، والنحو العربي بعد نشأته، وتسمية علم العربية بالنحو ومصدرها. وغيرها من القضايا الأخرى التي توسّع فيها في كتابه: "منطق العرب في علوم اللسان"، وفي كتبه الأخرى، وبخاصة في: "السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة والبنى النحوية".

إنّ أهم ما يمكن الاستدلال به عن البعد الإبستمولوجي في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية هو حضور المصطلحات اللسانية ومفاهيمها المتأصلة في التراث اللغوي العربي من ناحية، وحضور المفاهيم اللسانية الغربية، كل بالقدر اللازم له من ناحية أخرى.

وبمدى إحاطته الكلية أو الجزئية بالتعبير عن المقصود، فهو فقيه بالمصطلحات ومفاهيمها، وبالبيئة المعرفية التي أنتجتها في اللغتيْن والثقافتيْن: العربية والأجنبية، الأمر الذي جعله يدرك كُنْهَ المفاهيم وقِيَمها العلمية والمنهجية في بناء الفكر والتعبير عنه.

يجد القارئ لكتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، استعماله لعدد معتبر من المصطلحات ذات الحمولة الدلالية التي ميزت خطابه وصنعت هويته وحققت أصالته مثل:

الحس – النظر – السماع – القياس – مراتب اللغة – الاستقامة – البناء – المجرى – الحد – مجاري الكلام – الإجراء على الموضع –

الموضع – النظر المفهومي– النظر الإجرائي – القياس الأعلى – اللزوم – الاستمرار – الأصل – الفرع – الاستقراء – التجريد – الاعتبار التجريدي – الاستدلال – المنطق – الفصاحة – البنية – البنى النحوية – السليقة – اللهجة – اللسان – الكلام – البناء – التركيب – وجوه التصريف – الاسم – الفعل – العامل – الابتداء – الانفصال – التمثيل – المثال – الباب – الخطاب – التخاطب – الوضع – الاستعمال – اللفظة – الكلمة – الاستحسان...

نلاحظ أنّ هذه المفاهيم معظمها موجود عند الخليل وسيبويه بصفة خاصة، وتلتقي كلها بكيفية أو بأخرى عند مفهوم أساسي هو: «**علم العربية**» ، وهو مفهوم جامع عند سيبويه تأتلف حوله عناصر المنظومة اللغوية العربية بما هي تصور منظم عن اللغة ونحوها وصرفها تؤثر في طريقة رؤية أهلها للعالم. وفي كيفية تقطيعهم وتفصيلهم له، وبالتالي في طريقة تفكيرهم[1].

ومن بين المفاهيم ذات الحمولة الإبستمولوجية مفهوم:

3- الأصالة:

يعد هذا المفهوم من المفاهيم المهمة لدى الحاج صالح، فهو بمثابة المفتاح الذي أسس عليه دراسة التراث اللغوي العربي الأصيل، إذ الفرق بين التراث الأصيل عند العلماء الأوّلين في القرون الأربعة الأولى من الهجرة، وبين الذين جاؤوا بعدهم من المتأخرين الذين عملوا

[1]– ينظر: إدريس مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه،عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2006، هامش (1)، ص3.

على «تطوير المختصرات واختصار المطوّلات، ونظم المتون شعرا، وكثرة الشروح والحواشي على المتن الواحد».[1]

وقد غلب ذلك على كل العلوم الإسلامية، التي تميّزت بالتقليد وهو ضد الأصالة. «فالأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره».[2]

إنّ الأصالة هي جملة الخصوصيات المميزة للباحث عن غيره من الباحثين في مجال تخصصه. ويعني بها الحاج صالح الخصوصيات المميزة للسانيات العربية من حيث مبادئها النظرية ومناهج تحليلها ومفاهيمها الخاصة التي تأسست عليها، وما نتج عن ذلك من نتائج.

ينبّه عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن مفهوم الأصالة لا يعني القِدم، ولا يقابل مصطلح حداثة La modernité فذلك طرح سطحي «وبدون ما تقتضيه الموضوعية العلمية...». [3]

إنّ الأصيل هو المبدع الذي يأتي بالجديد سواءً تعلّق الأمر بالتراث اللغوي العربي القديم أم تعلق باللسانيات الغربية.

يقول: «والأصالة في زماننا هذا هي الامتناع عن تقليد الغربيين خاصة».[4]

لأنه شائع في وقتنا وفي كل خطاباتنا حتى لا نقول فيما ننتج، لأننا لا ننتج. وإنما نحن منبهرون بالغرب، مندهشون به إلى حد الغيبوبة مع التقليل من شأن العقل العربي وبخاصة العقل العربي القديم. بل واحتقاره أحيانا من لدن مَنْ لهم تعالٍ في الفهم، الذين يُصنّفون أنفسهم في مصاف

---

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 24.

[2]– عبد الرحمن الحاج صالح: الأصالة والبحوث اللغوية الأصيلة، ضمن كتابه: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 11.

[3]– المرجع نفسه، ص 11.

[4]– المرجع نفسه، ص 11.

«**النخبة**»... وهم يتبنّون النموذج الآخر، حتى وإن كان تافها عند الغربيين أنفسهم، «ويضعون في أعزّ مكان في الصالون، ما يلقيه الغربيون على جانب الطريق».[1]

تحتاج الأصالة في تحقيقها إلى التجريب العلمي الدقيق، وعدم القبول المسبق والاطمئنان إلى النماذج المقدمة، وإصدار الحكم عليها بالجودة والتميّز، واتخاذها نموذجا للتقليد.

ولكن كنا –وما يزال الكثير منا– نقلّد القدامى من علمائنا، ثم جاء منا من يقلّد الآن الغربيين، فاستبدلوا تقليدا بتقليد كما قال احاج صالح[2].

إنّ هذا التقليد للقدامى وبخاصة المتأخرين منهم، أو للغربيين يقوم على عدم الدراية الإبستمولوجية للمرجعيات الفكرية بمبادئ العلم ومفاهيمه المؤسِّسة، التي من شأنها أن تكشف عن المقاصد الصحيحة لعلوم اللغة العربية.

ونتيجة كل هذا يسلّمون بما يرونه عند غيرهم على أنه حقائق صادقة.

لا يعني عبد الرحمن الحاج صالح في ذلك النظريات والأقوال فحسب، بل يعني أيضا:

بعض التصوّرات التي روّجها اللغويون الغربيون مثل: مفهوم المقطع ومفهوم المصوّت القصير والطويل، وغير ذلك، فيعتقد أكثر الباحثين العرب في الصوتيات أن ذلك صحيح، وأحدث ما تمّ التوصل إليه. مع أنّ أكثره قد توارثه الغربيون من اليونان.. وقد أثبتت مخابر

---

[1]– ينظر: عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، رقم 272، 2000، ص 47.

[2]– ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 12.

البحث الصوتي أن المقطع لا وجود له في الكلام العادي إلّا في حالة انعزال المقاطع بعضها عن بعض، أي في حالة الإفراد، بين وقفتيْن. ولا وجود له داخل مدرج الكلام في السلسلة الكلامية.[1]

إنّ التقليد يغلق باب الاجتهاد وما يحتاجه من كدّ للعقل وبذل للجهد، في القراءة العميقة الواعية المؤسسة على النقد العلمي الموضوعي الذي يستهدف كشف الحقيقة.

وهنا يلتقي «هؤلاء المقلّدون للغربيين مع المقلدين للشيوخ المتأخرين من النحاة ممن ينتمي إلى عصر الانحطاط الفكري العربي»[2]، فعليهما معًا استغلقت تصورات الخليل وسيبويه ومن سبقهما وجاء بعدهما من العلماء الأجلاء، فراحوا يسقطون بين ما قالوه وبين ما قاله الذين جاؤوا بعدهم بدءا بالقرن الخامس الهجري.

إنّ تصورات ابن مالك (ت672ه) للنحو وأتباعه تختلف عن التصورات الأصيلة للخليل وسيبويه على سبيل المثال لا الحصر.

وللكشف عن ذلك يقتضي المعرفة الدقيقة بالتراث، والارتقاء إلى لغة التراث لفهمها والاستفادة منها، والمعرفة باللسانيات الحديثة معرفة معمقة، واستثمار كل ذلك في إيجاد الأدلة الاختبارية المفرقة بين ما هو حقيقة وما هو ادّعاء.

انطلاقا من هذا المفهوم الذي يعني التميّز والتفرّد راح الحاج صالح يدافع باستماتة**عن أصالة النحو العربي في القرون الأربعة الأولى من**

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص 12-13.

[2]– المرجع السابق، ص 14.

الهجرة وعدم تأثره بمنطق أرسطو، بواسطة بحثه المهم: **النحو العربي ومنطق أرسطو**. الذي كتبه سنة 1964 ونشره في مجلة كلية الآداب بجامعة الجزائر، العدد الأول، سنة 1965، ردّا على "أدالبير مركس Merx Adelber" الذي كتب بحثا برهن فيه –كما زعم– أنّ النحو العربي متأثر بالمنطق الأرسطي.

وكان لذلك تأثيره في الدراسة النحوية العربية، فقد نسج على ذلك بعض النحاة المشهورين.

لقد أضاف الحاج صالح إلى بحثه المذكور وتوسّع فيه وحوّله بابا كاملا في كتابه: "منطق العرب في علوم اللسان"، هو الباب الأول ويتكوّن من الفصول الآتية:

فصل أول بعنوان: "**افتراض تأثير منطق أرسطو في النحو من أوّل نشأته وقيمته العلمية**". وقد قام في هذا الفصل بالنظر عن كثب فيما قاله مركس الذي أطال الحديث عن الموضوع وأراد تقديم أدلة عما قاله يزعم أنها علمية. بالإضافة إلى ما قاله الدكتور إبراهيم مدكور بيومي.

وفصل ثانٍ بعنوان: "**أرسطو وأقسام الكلام ومسألة عددها**"، تكلّم فيه عن النص الأصلي لأرسطو الذي اعتمده مركس، والذي يحتوي على أحكام تقسيم الكلام، وما حدث بعد اكتشاف نسخ مخطوطة لتلخيص عبد الله بن المقفع للكتب الثلاثة الأولى لمنطق أرسطو، بوصفها شاهدا تاريخيا لأن عبد الله بن المقفع عاصر النحاة العرب المؤسّسين.

وفصل ثالث بعنوان: "بعد سيبويه. متى حصل تأثير المنطق في النحو بالفعل؟ وكيف كان ذلك؟

وقد بحث عن التأثير المنطقي بعد سيبويه متى حصل؟ وكيف حصل؟ وجملة الظروف التي أحاطت بذلك.

فقد بيّن الحاج صالح أن مقولات "مركس" وأفكاره غير صحيحة، مقدما قراءة ناقدة مُفنّدة بالأدلة التاريخية والعلمية.

فالنحو العربي في جوهره، لغوي محض؛ ولهذا فإن **مفهوم الإفادة** في الجملة المفيدة، هو أقرب إلى علم الإعلام منه إلى المنطق. وهنا يكمن الغلط في التخليط بين جانبين اثنين هما:

الجانب الأول: ويتعلق باللغة بوصفها أداة تبليغ بلفظ وضع لمعنى؛ أي بنية متعارف عليها، واللغة كأداة للتحديد والحكم والبرهان. فاللغة تؤدي هذه الوظيفة أيضا، وأغراض النحاة الأولين هي دراسة البنى المتعارف عليها وتمييزها عن غير المتعارف عليها وكيفية تأديتهم لها.

أما زعمهم أنّ العرب قد اقتبسوا التقسيم الثلاثي للكلام من أرسطو، فيجب أولا أن نعرف أين؟ وفي أي كتاب صرّح أرسطو بذلك؟ ثم غرض النحوي من لفظي الاسم والفعل يختلف عن غرض أرسطو منهما؛ لأنه يرى فيهما ما يسميه الموضوع والمحمول والمجموع يكون دائما حكما عقليا، ولم يهتم أرسطو بالجانب اللغوي.

وأما الجانب الثاني: فتاريخي، فإنّ أوّل تأثير يمكن ملاحظته يعود إلى زمان المبرّد (ت 285ه) وتلاميذه وبخاصة ابن كيسان (ت299ه) وابن السرّاج (ت 316ه).[1]

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 11-12.

أشير أيضا إلى أنني قد استفدت من البحث الذي كتبته عن الحاج صالح بعنوان: "علم المصطلح وأثره في بناء الخطاب اللساني العربي الحديث: المنجز اللساني لعد الرحمن الحاج صالح مثالا"، منشور بمجلة "المجمع الجزائري للغة العربي"، عدد25، 2017.

استعرض عبد الرحمن الحاج صالح الآراء المختلفة التي تناولت علاقة النحو العربي بالمنطق الأرسطي بأمانة ومن ذلك ملخّص قوله:

ولقد أجاب غير واحد من المستشرقين في أواخر القرن العشرين بأجوبة متفاوتة وإن اتحدت أحيانا مناحيها، متوافقة الغاية في أكثرها وإن اختلفت سبل تحصيلها؛ فمن مُقلّ في احتجاجه لا يذكر إلا بما يظنه كافيا لإثبات تأثير اليونان، ومن مكثرٍ في البرهنة وذكر الشواهد.

والغريب المقلق أنّ أشهر هذه الآراء التي أُلبِست لباس البحث النزيه هي التي تنفي كل طرافة للمناهج العربية في النحو، وتنكر أن يكون النحاة العرب أخرجوا شيئا جديدا لعجزهم، أو عجز البيئة الاجتماعية العربية عن الإتيان بمثل هذ الصنيع المفتعل.[1]

وقد ذكر "إينياس جويدي I. Guidi" الذي لم يأتِ ببرهان شافٍ وافٍ يؤكد تأثّر النحو العربي بالمنطق اليوناني.

وذكر "أدالبير مركس A. Merx" الذي طرق الموضوع وأفاض فيه كاسيا بحثه بأبهى الأكسية العلمية، كما يدعي، مما أدى إلى التأثير على الذين جاؤوا بعده. نذكر على سبيل المثال، «"دي بور De Boer" الذي اهتم بالتأريخ للفلسفة مؤكدا على أن الفلسفة اليونانية هي مرجع النحو العربي»[2]، ويعود كل ذلك إلى أرسطو في رأيه.

وذكر "جورج سارطونG. Sarton" صاحب المدخل إلى تاريخ العلم الذي عدّ تلك الأقوال حقائق ظل يرددها في أبحاثه.

كما عرض الحاج صالح آراء المنصفين من الدارسين الغربيين لهذه القضية مثل رأي: "إينو ليتمان E. Litman" الذي أورده أحمد أمين

---

[1]– المرجع نفسه، ص 43–44.

[2]– إدريس مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص 15.

في إحدى محاضراته. وقد ذهب مذهبا وسطا وهو أن العرب قد أبدعوا علم النحو في البداية وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدّموه.[1]

دون أن ننسى جهود "لويس ماسينيون L. Massignon" النزيهة.

ولم ينس آراء بعض اللغويين العرب المشهورين من أمثال الدكاترة:

إبراهيم بيومي مذكور في مقاله: "**منطق أرسطو والنحو العربي**"[2]، وإبراهيم أنيس في كتابه: "**من أسرار اللغة**". ومهدي المخزومي في كتابه: "**مدرسة الكوفة**". وأنيس فريحة في كتابه: "**من أسرار العربية**". وغيرهم من الدارسين العرب الذين يُعدّون أعلاما لهم تأثيرهم في الناشئة بعدهم. وبخاصة من الذين استغلقت عليهم النصوص باللغة الأجنبية، فتعذّر عليهم أن يقرؤوا بأنفسهم.

ونتيجة لهذا التوجه «فقد بدأ يظهر في الأفق شبه إجماع أنّ النحو العربي ما هو إلا ظل من ظلال الفلسفة اليونانية».[3]

فقد تسابق نفر من المثقفين والدارسين العرب إلى هذا الرأي، وبخاصة إخواننا في المشرق العربي، وراحوا يرددونه في أبحاثهم ويؤمنون به على أنه حقيقة علمية لم يسبق إليها.

وإذا كان هؤلاء قد أكّدوا العادة المتأصلة في أكثرهم، وهي الانبهار بالآخر، وترديد مقولاته دون بذل جهد القراءة، ودون تأنٍّ وتروٍّ وإعمال

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 43.

[2]– في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 1953.

[3]– إدريس مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية...، ص 16.

فكر مسلّمين بصحتها مع **أنّ المتأمّل فيها يجدها قد أصابت الفكر اللغوي العربي في المقتل**، فإن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قد شذّ عنهم، وقدّم قراءة نوعية عميقة للفكر النحوي العربي منذ قرابة خمسين سنة ولّت، تتبّع فيها آراء مركس رأيا رأيا، وفنّد حججه حُجّة حُجّة، مقدّما الأدلة والبراهين الدامغة التاريخية والعقلية ومنها الرجوع إلى كتاب أرسطو نفسه كما سبقت الإشارة.[1]

يمكن أن نقدّم في هذا المقام بعض الأمثلة الدالة على ذلك منها:

قال الدكتور إبراهيم بيومي مدكور:

«إنّ من واضعي النحو السرياني والمشتغلين به مترجمون اتصلوا بالعرب ونحاتهم وعاشوا معهم. فيعقوب الرهاوي له شأن في وضع النحو السرياني، وهو معروف في الأوساط العربية، وحُنين بن إسحاق مترجم آخر معاصر للخليل وسيبويه؛ بل وصديق الخليل... ومن اليسير أن نتصور أنه تبادل فيما تبادل مع الخليل بعض القواعد النحوية، خصوصا وهو يُعْزِي إليه بعض كتب الآجرومية اليونانية... (ص 341 في مجلة المجمع)».[2]

---

[1]– ندعو القارئ الكريم أن يقرأ بحث الحاج صالح بنفسه، بل كتابه: "منطق العرب في علوم اللسان"، فهو كتاب متميّز، ويفتح كثيرا من الآفاق في البحث اللساني، ويصحح كثيرا من الأخطاء.

[2]– عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 39.

وقال أيضا: «... لعلّ في هذا ما يفسر تلك المفاجأة التي أحدثها كتاب سيبويه بظهوره في تلك الصورة الجامعة دون أن تصل إلينا سوابق ممهدة...».[1]

وكان رد عبد الرحمن الحاج صالح على كلام إبراهيم بيومي مدكور واضحا صريحا، فقد أشار إلى أنّ المستشرقين قد خالفوا رأي مدكور في تأثير النحو السرياني والمنطق اليوناني على النحو العربي. وذلك بتصريحهم أن النحاة العرب قد اقتبسوا من كتب أرسطو المترجمة إلى السريانية أو العربية لا من النحو اليوناني ولا مما ترجمه يوسف الأهوازي (ت 508ه) من فن "القراماطيقي" لدينيسيوس التراقي (توفي نهاية القرن الأول بعد الميلاد)، فهذا الكتاب يشتمل على مفاهيم من النحو اليوناني، ولا يوجد –كما ذكر– ما يقابلها في النحو العربي.

وذكر إبراهيم بيومي مدكور، المترجم حُنين بن إسحق وزعم أنه كان صديقًا للخليل ومعاصرا لسيبويه...

وهذا كلام غير صحيح كما قال الحاج صالح؛ لأنّ حنين بن إسحق قد ولد سنة (192ه)؛ أي بعد وفاة الخليل سنة (175ه)، وبعد وفاة سيبويه (180ه) فكيف التقى بهما وعاصرهما واتخذ الخليل صديقا، وقد توفيا قبل ميلاده؟![2]

وما يقال عن تأليف حنين بن إسحق لكتاب في النحو على الطريقة اليونانية، فإن الحاج صالح يقول: "لم يرد ذكر ذلك عند ابن النديم في الفهرست باسم: كتاب أحكام الإعراب على مذاهب اليونان"، وأضاف ابن النديم هذه الملاحظة: "مقالتان".

---

[1]– المرجع نفسه، ص 39.

[2]–عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 40.

ويرجّح الحاج صالح أنّ حنينا لم يؤلف وإنما ترجم "فن القراماطيقي" وقد نقل تقسيم الكلام الذي ذكره ابن المقفع وأدخله فيما نقله عن كتاب "العبارة" لأرسطو. ولم يكن هذا الكتاب موجودا زمن الخليل وسيبويه. ولم يذكره أحد بوصفه مرجعا نحويا عربيا من الذين عاصروا حُنينا والذين جاؤوا بعده حتى النحاة الذين عُرِفوا بتأثّرهم بالمنطق.[1]

وبخصوص مفهوم الإسناد، وهو أساس تكوين الجمل الفعلية والاسمية، فإنّ أرسطو –كما قال مدكور– قد عرض بإسهاب لنظرية الإسناد في كتابيْ"المقولات والعبارة".. وسيبويه تحدّث في "الكتاب" عن المسند والمسند إليه. وعقد فصلا سمّاه: "المبتدأ والمبني عليه" كأنه يريد أن يقول: الموضوع والمحمول عليه. وواضح أنّ الإسناد دعامة كل نحو عربيا كان أو غير عربي (مدكور ص 340).[2]

يرد عبد الرحمن الحاج صالح قائلا: «إنّ مثل هذا الكلام يحتاج أن يُنظر فيه بإمعان. إن تحليل العرب للكلام المفيد إلى عنصريْن: المسند والمسند إليه لا يعني أبدا أنهم نظروا إلى الجملة على أنها حكم منطقي. ويورد قول الزجاجي (ت340ه) الذي يوضّح غرض العرب الذي قصدوه، وهو الجانب اللغوي الصرف للكلام؛ وهو مختلف عن غرض أرسطو المنطقي الذي يحذّر من أن يُتّخَذ الكلام الذي لا يوصف بأنه

---

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص 40.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 40.

صدق أو كذب مثل: الطلب والأمر، موضوعا من موضوعات المنطق.

وأما النحاة العرب فإنهم يهتمون بالكلام بوصفه خطابا مهما كان ولو أخذوا من المنطق وتأثروا به لفعلوا ما فعل أرسطو...[1]

ما قاله أدالبير مركس:[2]

ركّز مركس على ثلاثة افتراضات كأنها مسلّمات وهي:

- لا بد من مرور زمان طويل عدة قرون حتى تكتمل القواعد النحوية.
- لا بد من اعتماد النحو على المنطق وعلى المفاهيم الفلسفية.
- لا بد من اعتماد النحاة العرب على غيرهم في وصفهم للنحو، ويكونون قد اقتبسوا ذلك من اليونان. وما كتبوه عن النحو لا يمكن أن يصدر عنهم وحدهم في نظره.

ومما قال: «إنّ المؤلفين العرب الذين اشتغلوا بتاريخ الدراسات اللغوية وجدوا أنفسهم أيضا أمام مشكل كان لا بد من إزالته، وهو الكشف عن مصدر الدراسات اللغوية العربية... إلا أنهم كان ينقصهم روح النقد والمعلومات التاريخية التي لا بد منها... نحن مدينون لهم بما جمعوه من كلام العرب... إلا أنه ينبغي ألا نتوقع منهم حتى الطرح الواضح لهذا المشكل». و«من المؤسف أن يلتزم صاحب الفهرست السكوت المطلق حول المنابع التي استقى منها النحاة العرب؛ فليس له أي فكرة عمّا يعنيه التكوين للقواعد النحوية للغة وما يلزمه من الكفاءة.

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص 41.

[2]– رجع الحاج صالح إلى بحث مركس الموسوم بـــ: Historia Attis Gramaticaليشيك 1989. وفي بحث نُشر في لائحة المعهد المصري Institue Égyptien في سنة 1891.

ولا يهم ابن خلدون عند كلامه عن ذلك أنه لا بد لتسطير الأسطر الأولى للنحو اللجوء إلى المنطق وإلى معارف فلسفية»[1]. «... والسيوطي عند كلامه عن الإلهام والتواضع لا يقول شيئا أبدا بهذه المناسبة عن قضية المستقى الذي استقى منه العرب المقولات النحوية (القُبُل النحوية مثل الاسم والفعل) هي نفسها... فتناوله لهذا الأمر من زاوية عربية ليس غير، تشغله إلى درجة عدم الاكتراث تماما بمصدر هذه المقولات...»[2]

وقال أيضا: «إنّ معرفة أقسام الكلام والإعراب وأجزاء الجملة البسيطة كان كل ذلك نتيجة لتحليل فلسفي. وقد احتاج الفكر اليوناني إلى قرون من العمل المجهد حتى يفرّق بين أحوال الكلمة الإعرابية والأزمنة وأحوال الفعل. ويتفطن إلى ما يحصل من تطابق بين أجزاء الجملة.

فأفلاطون لا يعرف أقسام الكلام. ولم يتوصل اليونانيون إلى تحرير نظرية النحو اليوناني إلا في القرن الأول قبل الميلاد...».[3]

وقال: «... إنّ المؤلّفين العرب الذين تحدّثوا عن تاريخ النحو لم يدركوا أبدا أنّ ما هو أساسي لا مناص منه في وضع النحو للغة من

---

[1]– ص 14 في مركس. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 42.

[2]– ص 15 في مركس. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 42.

[3]– ص 16 في مركس. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 42-43.

اللغات هو اكتشاف أقسام الكلام؛ لأنهم كانوا يجهلون أن النحو مبني على المنطق».[1]

هذه مقتطفات قدّمها الحاج صالح تمثل شواهد نصية تاريخية موثقة على ما قاله "مركس" عن العرب ولغتهم وكيف تأثروا بالمنطق في رأيه.

وهي لا تخرج عن رأي جالينوس الذي وصف اللغة اليونانية بأنها أفضل اللغات وغيرها إما نباح الكلاب أو نقيق الضفادع.

وقد ردّ عليه ابن حزم الأندلسي بأن كلّ منْ لا يعرف لغة قوم ظنها كذلك. ووصفه بالجهل الشديد. وقد سبقت الإشارة إلى هذا في هذا الكتاب. ونضيف إلى ذلك الشّحن الإيديولوجي الذي يتميز به "مركس" في معالجة الموضوع، فقد أعماه عن رؤية الحقيقة.

فإنّ هذا الذي قال مركس أبعد ما يكون عن الحقيقة كما قال الأستاذ الحاج صالح. إنّ مركس يوجّه ضربةً في المقتل للحضارة العربية؛ فلا فلسفة ولا منطق ولا نحو. وبناء على ذلك لا حضارة للعرب. فهو يتهمهم بعدم الكشف عن مصادر الدراسات العربية التي قاموا بها، ويسائلهم وكأنه يحاكمهم، وأنّ روح النقد تنقصهم كما يزعم، ولا يتوقع منهم وضوح الطرح.

ثم يوجه اللوم لصاحب الفهرست وابن خلدون والسيوطي على سكوتهم وعدم كشفهم للحقائق، والكتابة من زاوية عربية فقط، وكأنه هو قد كتب من زاوية غير اليونانية؟!

---

[1]– ص 17 في مركس. ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 43.

ثم ينفي كل إبداع. وإنّي والله لأستغرب أن يفكر بهذه الطريقة من يضع نفسه في مصاف العلماء ويتصف بصفاتهم.

وقد رد الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على هذه الافتراضات جميعا وفنّدها بالحجة والدليل.

الافتراض الأوّل:

أنّ النحو العربي قد انبثق من علم انبثق من اجتهادات المسلمين للتكيف مع الأحوال الجديدة بعد الفتح الإسلامي. وقد نشأت علوم العربية وترعرعت مع علم القراءات وتدوين أصول اللغة الأولى، وظهور علوم إسلامية أخرى مثل: التفسير والفقه، واتخاذ السنة النبوية أصلا من أصول الشريعة.[1]

نشير هنا إلى أن نهاية القرن السابع الميلادي المقابل للقرن الثاني الهجري قد شهدت تطورا ملحوظا للدراسات اللغوية، بما فيها تأليف المعاجم ووضع نظرية تامة في علوم الفقه، ووضع علم الكلام الذي كان ممثلوه يحلّون مسائل فلسفة الطبيعة بكيفية متميزة. وكانت هذه الممارسات المكثفة في اللغة والفقه والكلام وعلم التاريخ والنقد التاريخي تميز اهتمامات العلماء التي تداخلت في علوم العربية... نشأت العلوم العربية في ضوء الإسلام. دينا ولغةً ومجتمعا مدنيا.[2]

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 43.

[2]– ينظر: وائل غالي: تاريخ العلوم العربية وتحديث تاريخ العلوم، بحث في إسهام رشدي راشد، ص 19.

يرى "ميخائيل كارتر M. Carter":

«أنّ النحو العربي من حيث نشأته وتطبيقه مرتبط أحكم ارتباط بالدين الإسلامي، وعليه فهناك أمران أساسيان يلفتان نظريته: أولا: الفكرة الأصلية لدى المسلمين القائلة بأن الكلام نوع من السلوك الاجتماعي وعليه لا يمكن الحكم عليه إلا بالمقاييس الأخلاقية.

وثانيا: أن العبارات الدالة على تصرف المسلم في أي مجال من مجالات أعماله تنحصر –بغض النظر عن مفردات قليلة– في مترادفات بمعنى: الطريق والمسلك والحسن والقبيح... إلخ.

وبالنظر إلى كثرة هذه المصطلحات المترادفة بمعنى الطريق والواردة في النحو وفي علوم إسلامية أخرى، حاول كارتر تأويل الصراع بين النحويين والمناطقة على أنه صراع بين الموقف لتقليدي القائل بأن اللغة نوع من السلوك وبين الموقف الإغريقي الذاهب إلى أن اللغة نوع من التفكير».[1]

إن هذه الأحداث كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، لها خصوصياتها ولا يمكن الرجوع فيها إلى القياس على ما حدث عند اليونان.[2]

إنّ اللغة هي الأعجوبة التي أطل العرب من خلالها على العالم، وهي معجزتهم الربانية التي يختلفون بها عن اليونان في ظروفهم وأحوالهم وأساليب حياتهم ومعاشهم.

---

[1]– إدريس مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية، ص 6، هامش 3.

[2]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص43.

الافتراض الثاني:

ويتعلق بنشوء النحو العربي نشأة منطقية أرسطية برأي مركس، ولا نحو إلا باللجوء إلى المنطق والفلسفة عند اليونان.

يقول الحاج صالح: «إنّ مركس لا يعرف منطقا آخر غير منطق اليونان وخاصة منطق أرسطو، وهو يجهل تماما أن هناك أنواعا أخرى من المنطق وفي زمانه بالذات قد نشأت مدارس جديدة تماما في المنطق مثل مدرسة "بول Boole وكانتور Contor".

ثم إنه يجهل تماما على أي أساس بُني منطقُ النحاة والفقهاء».[1]

وهكذا تتحقق في مركس مقولة: من جهل شيئًا عاداه.

الافتراض الثالث:

وهو أن يكون العرب قد اقتبسوا أصول النحو من غيرهم، ويقصد مركس أنهم أخذوه من اليونان الذين احتاجوا إلى قرون طويلة لكي يعرفوا أقسام الكلام والإعراب وأجزاء الجملة...

ولم يدرك العرب أبدا أن وضع نحوٍ للغة من اللغات يقوم على اكتشاف أقسام الكلام... وذلك مبني على المنطق الذي يجهلونه.

يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن هذا شيء متوقع من رجل عاش في نهاية القرن التاسع عشر، وفيه تغلبت النظرة التاريخية على الجوانب العلمية في أوربا الناهضة. وقد صار ذلك قانونا عاما عند الأوربيين حين يبحثون عن اقتباس الأفكار أيًّا كانت ومهما كانت أصالتها.

---

[1]– المرجع السابق، ص43.

ولكنّ الذي يدعيه مركس هو أخطر بكثير؛ لأنه ينفي القدرة على الإبداع عند العرب. وهم لا يستطيعون إعمال العقل في زعمه. ولا يتصور مركس على إبداع ما أبدعوه في النحو العربي إلا أن يكونوا أخذوا ذلك عن غيرهم.

إنّ هذا عرقية محضة –كما يقول عبد الرحمن الحاج صالح– عهدناها منذ زمان الاستعمار لبلداننا إلى يومنا هذا.[1]

هذه بعض الردود من الحاج صالح على افتراضات مركس الخاطئة. وتوجد أمثلة أخرى مفصلة ومدعمة بالأدلة والحجج الدامغة، كمفهوم الحدث ومفهوم الصرف ومفهوم المقطع والمصوت والصامت، ومفهوم المذكر والمؤنث وغيرها في كتابه: "منطق العرب في علوم اللسان"، نترك أمرها للقارئ ليتدبّرها.

4– تحديده لمكانة علم اللسان العربي وعلم اللسان العام:

نعد هذه المسألة مهمة جدا في البحث اللساني العربي، وفي التأسيس للسانيات العربية، لها علاقة بمفهوم الأصالة وأبعاده الإبستمولوجية، كما سبقت الإشارة.

يرجع عبد الرحمن الحاج صالح في حديثه عن علم اللسان إلى الفارابي (ت 339ه) في كتابه: "**إحصاء العلوم**"؛ فهو أول من استعمل "علم اللسان" مفهوما ومصطلحا كما في زماننا.

ويورد الحاج صالح قول الفارابي:

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص43–44.

«**علم اللسان** في الجملة ضربان، **أحدهما**، حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدل عليه شيء منها، **والثاني**، علم قوانين الألفاظ.

وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم إلى سبعة أجزاء عظمى: علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تُرَكَّب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين تصحيح الأشعار...».[1]

وقد فصّل الفارابي في هذه القضايا كلها المتعلقة بعلم اللسان، في كتابه إحصاء العلوم، موضحا أنّ «في لسان كل أمة أحوالا تخصّه».[2]

فهنالك ظواهر لسانية عامة مشتركة بين الألسنة مثل وظيفة التبليغ والتخاطب، وقضاء الحاجة في قلب الحياة الاجتماعية، وقد ركّز العلماء العرب كثيرا على هذه الظواهر.

وهناك خصوصيات يتفرد بها كل لسان ويتميز بها عن غيره من الألسنة تبعا لقومه، كامنة في أصواته وصرفه وتراكيبه ومستويات أدائه وطرائقها. «وما وقع في علم النحو من أشياء مشتركة لألفاظ الأمم كلهم فإنما أخذه أهل النحو من حيث هو موجود في ذلك اللسان الذي عُمِل النحو له».[3]

وهكذا عندما نقرأ تقسيم الفارابي لعلم اللسان، فإنّ ذلك يدل بوضوح أنه لا يقتصر على لسان قوم محددين، وإنما النظرة عامة لجميع الألسنة

---

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 83.

[2]– ص 3–8 في "إحصاء العلوم"، طبعة القاهرة، 1931. وفي بحوث ودراسات في علوم اللسان للحاج صالح، ص80.

[3]– ص 61 في "إحصاء العلوم"، و ص 86 في بحوث ودراسات في علوم اللسان.

عند الأمم الأخرى، وإنما «علم النحو في كل لسان إنما ينظر فيما يخص تلك الأمة وفيما هو مشترك له ولغيره...». [1]

ولنتأمّل العبارتيْن:

«في لسان كلّ أمة» و«فيما هو مشترك له ولغيره»

يقول عبد الرحمن الحاج صالح: «هذه نظرة لم يسبق لنا أن رأيناها عند النحاة المتقدمين من غير العرب، ولا من جاء بعدهم من النحاة الأوربيين في القرون الوسطى حتى القرن الثالث عشر حيث تمكنوا من الاطلاع على تآليف العرب وخصوصا هذا الكتاب»[2] يقصد "إحصاء العلوم". مشيرا إلى أن الفارابي قد عاشر مدة طويلة ابن السراج (ت 316ه) وأفاد منه المعلومات التي استخرجها النحاة من العربية مثل: المعلومات اللغوية التي جاء بها المبرد (ت 285ه) شيخ ابن السراج[3]. ولم يتوقف عبد الرحمن الحاج صالح عند هذا الحد؛ وإنما حاول أن يوضح تأثير النحو العربي وفلسفة اللغة عند العرب في النظريات اللغوية الغربية، خلافا لما افترضه مركس كما سبقت الإشارة.

ومن ذلك إشارته إلى بعض المفاهيم اللغوية العربية التي ظهرت عند الغربيين ولا أثر لها في التراث اليوناني اللاتيني.

فقد دخلت تلك المفاهيم أوربا بواسطة الفلسفة العربية التي نُقلَت إليهم مع الكثير من كتب العلوم ابتداء من القرن العاشر والحادي عشر الميلاديين بفضل المترجمين في الأندلس وصقلية وأوربا.

---

[1]– ص 18–19 في "إحصاء العلوم، وص 86 في بحوث ودراسات في علوم اللسان.

[2]– بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 86.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 87.

ومن هؤلاء المترجمين كما ذكر الحاج صالح "أديلور أوف باث Adelord of Bath" المولود في 1070م، و"ج. داسيفييياJ. Desévilla"، و"هرمان Herman" "الدالماتي"، وغوندي سولفيSolvi Gundi"، و"ر. أوف شاسترR. of Chester"، و"ر. بايكون R. Bacon" الإنجليزي، و"غريمونينسيG Gremonensi" و"سكوت M. Scott" وغيرهم وأكثرهم كانوا من العلماء.[1]

ذكرهم بهذه الصفة وأثنى عليهم لمعرفتهم باللغات.

ولم ينس الحاج صالح الإشارة المهمة وهي: **إهمال علماء عصرنا هذه الترجمات** التي تركها هؤلاء العلماء المترجمون. وإنما أسقطت من الدراسة، ولا أحد حاول حصرها، ويعرف بذلك ماهية الأفكار والنظريات والمناهج العلمية العربية بالدقة العلمية المطلوبة، التي دخلت أوربا، ومتى وقع ذلك بالضبط، وغير ذلك مما هو مهمل إهمالا كاملا.

ومن بين المفاهيم العربية التي انتقلت بواسطة الترجمة إلى أورباه ما أبان عنه الحاج صالح، نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر:

4-1- مفهوم علوم اللسان:

كان السبب الرئيسي في انتقال هذا المفهوم إلى أوربا اطلاع "روجر بيكون" R . Bacon" المتوفى في عام 1214م على ما جاء في

---

[1]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 272/2، هامش 12.

كتاب الفارابي: "إحصاء العلوم" الذي ترجمه إلى اللاتينية " G. Germonenca" في القرن الثاني عشر الميلادي.

ومن بين أقوال بيكون: «إنّ النحو في جوهره واحد في جميع اللغات وإن كانت تتنوع تنوعا عرضيا».[1]

وقال الفارابي قبله، كما سبقت الإشارة، « فيلسان كلّ أمة أحوال تخصه». و«فعلم النحو في كل لسان ينظر فيما يخص الأمة وفيما هو مشترك له ولغيره...» وانطلاقا من هذا جاءت فكرة الكليات اللغوية التي انتشرت في أوربا وشكّلت النواة لما سمي بـــ "النحو العام" Garammaire générale أو UniversalGrammar الذي ألّف فيه "جيمس هاريسHarris .J"[2] كتابه:

Hermes of Philosophical Inquiry Comering Universal Grammar, London, 1751.

أما الفلاسفة الفرنسيون فقد ألّفوا موسوعتهم. أما التسمية الحديثة المشهورة Science of Language فما هي إلا ترجمة للعبارة العربية المشهورة "علم اللسان"، وكان الفارابي أول من استعملها وانتقلت بواسطة الترجمة اللاتينيةScientia lingue، وانتعش هذا الميدان بكثرة في تحول اللغات التاريخي في القرن التاسع عشر بشكل جديد واستعمل

---

[1]– ذكره Gilson في كتابه: تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط، ص 405، نقلا عن عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 273/2.

[2]– ليس هو زيليغ هاريس Z. Harris اللساني الأمريكي صاحل تحليل الخطاب Discours Analysis.

لفظة Linguistique التي تعادل "علم اللسان" أو "اللسانيات" أول مرة في أوربا سنة 1826، ثم جاء دوسوسير بعد ذلك واستعملها هو أيضا.[1]

4-2- مفهوم العامل:

يعد العامل مفهوما مأنوسا عند النحاة العرب، وهو أساس النظرية النحوية العربية، وقد ظهر -كما أورد الحاج صالح- في تاريخ أوربا في القرن الثالث عشر الميلادي. فقد تم استعمال: العامل والعمل واستُعمِل في ذلك اللفظ الأجنبي Reger ويعني التدبير والتحكم في الشيء وتم تطبيقه على الفعل الذي جعل سببا في ظهور الإعراب. يقول الفرنسي "بيار هيلياسPierre Helies":

«العمل معناه أن تتحكم كلمة في أخرى في داخل تركيب حتى يكتمل هذا التركيب».[2]

وقد شاع هذا المفهوم بلفظه هذا، وصار مطردا في الاستعمال فيما كتبه النحاة باللغات الأوربية، وبظهور البنوية ترك ولم يلتفت إليه إلى أن أعاد إحياءه "تشومسكي" بمفهوم "Goverment" باللغة الإنجليزية.

ويتساءل عبد الرحمن الحاج صالح: هل أخذ النحاة الغربيون هذا المفهوم من العرب؟ وكيف تم ذلك إذا كان ذلك كذلك.[3]

---

[1]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 273/2-274.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 274/2.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص 274/2.

إنّ **العامل** تقنية لسانية صرف يجب مقارعتها ومقارنتها باللغة الموصوفة والنحو المنظم لها –كما قال حافظ إسماعيلي وامحمد الملاخ–[1]

ويعالق مفهوم العامل مفهوم القياس في وظائفهما المشتركة، إذ يحدد القياس علاقات العناصر اللغوية بما يمكن الجهاز الواصف تنظيم المواد اللغوية في **أصول وفروع**، حيث تتقدم الإبستمية المنظمة للعلوم العربية، وهي منظومة الأصل والفرع التي تعد أساس الفكر العربي الإسلامي برأي أحمد العلوي[2].

وبدون «العاملية يستعصي الإمساك بالمبادئ الإبستمولوجية المستبطنة في تحاليل النحاة العرب».[3]

تؤكد هذه الأمثلة التي أوردها عبد الرحمن الحاج صالح قدرته اللغوية بالعربية وباللغات الأجنبية[4] ومدى استيعاب المصطلحات والمفاهيم اللغوية، وتقليبها على أوجهها المختلفة قبل الاطمئنان إليها واستعمالها، ومدى معرفته بالجانب التاريخي المتعلق بنشأة المفاهيم اللسانية عند العرب وعند الغرب وكأنه يضعنا أمام المقولة الشهيرة

---

[1]– في كتابيهما: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 43.

[2]– أحالا إلى أحمد العلوي: الطبيعة والتمثال، ص 261.

[3]– قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 43.

[4]– ليس شرطا أنّ من يعرف اللغات الأجنبية إلى جانب العربية بإمكانه أن يقر أ قراءة نوعية، وإن كان ذلك ضروريا، فإنني أرى أن المسألة تكمن في العقل الوقّاد/النقّاد الذي يشتغل إيجابيا لخدمة قضاياه المصيرية، ومنها القضية اللغوية، فكثيرون هم الذين يعرفون اللغة الأجنبية إلى جانب العربية، ولكن لا يملكون هذه العزيمة، بل وأكثر من ذلك يكرّسون التخلّف.

للعالم الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم: «اقرأوا التاريخ يا شماريخ»[1].

خلاصة:

لقد تميّز النظر الإبستمولوجي في الكتابة اللسانية لدى عبد الرحمن الحاج صالح بالتأسيس على التراث العلمي اللغوي العربي القديم في القرون الأربعة الأولى من الهجرة. وكان للخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه ومن تبعهما من العلماء نصيب وافر في ذلك.

فقد قرأهما الحاج صالح بالاستناد إلى منهج علمي صارم، انطلق فيه من النصوص التي انبنى عليها الكتاب. فاستقرأها وعاينها وتتبّعها كيف عالجت الظاهرة اللغوية، وكيف تحدث عنها سيبويه,، وكيف عاد فيها إلى الخليل، وكيف تجلى في نصوص الكتابة المكوّنة لأبوابه وفصوله، ثم وصفها وتصنيفها وتحليلها بالنظر إلى سياقاتها اللغوية، وبالنظر إلى مقاماتها الاستعمالية، وبالنظر إلى المنظومة المفاهيمية والجهاز الاصطلاحي الذي يعبّر عنها.

وهكذا يشكّل الكتاب المدونة العلمية اللغوية الأساسية للنظرية اللغوية العربية في أبعادها الإبستمولوجية والمعرفية التي عليها تأسس منطق العرب في علوم اللسان. على مستوى البنية وعلى مستوى الخطاب. على مستوى الوضع ومستوى الاستعمال. وميزت خطاب عبد الرحمن الحاج صالح اللساني وحققت أصالته، وصنعت هويته، ورسمت حدوده الفارقة، وخريطته المعرفية بين الخطابات اللسانية الأخرى.

---

[1]– الشماريخ أغصان طرية على الأغصان الكبيرة.

لقد حضر كتاب سيبويه في خطاب عبد الرحمن الحاج صالح اللساني، إلى جانب الخليل بن أحمد، مرجعًا أساسيا ومصدرا أولا. وحضر مرجعية فكرية.، وبُعْدًا إبستمولوجيا مهما. كما حضر دارسا وصفيا للغة العربية من حيث وضعها واستعمالها في أداء الوظائف الاجتماعية المختلفة وممارستها. وما تحتاجه البيئة العربية، والمجتمع العربي آنذاك من تدبير لغوي. فحضر بذلك، سيبويه كأنه عالم من علماء اللسانيات الاجتماعية وتحليل الخطاب في زماننا.

لا يحضر الخليل وسيبويه وحدهما؛ وإنما يحضر علماء آخرون بكثافة مثل: ابن السرّاج وابن جني وغيرهما...

ولكن تمّ التركيز على الخليل وتلميذه؛ لأنهما يمثّلان الرمز الجامع لكل علماء التراث اللغوي العربي، فإذا أخذنا سلسلة كتب عبد الرحمن الحاج صالح الأربعة في علوم اللسان عند العرب، وتتبعناها كتابا كتابا، وكيف حضر فيها كل من الخليل وسيبويه فإننا نجدها كما يلي:

1- الكتاب: السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة:
   - حضر الخليل بن أحمد: 26 مرة.
   - حضر سيبويه: 95 مرة.

2- منطق العرب في علوم اللسان:
   - حضر الخليل بن أحمد: 78 مرة.
   - حضر سيبويه: 189 مرة.

3- الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية:
   - حضر الخليل بن أحمد: 24 مرة.
   - حضر سيبويه: 142 مرة.

4- البنى النحوية العربية:

- حضر الخليل بن أحمد: 53 مرة.
- حضر سيبويه/ 176 مرة.

ومجموع ما حضر الخليل في الكتب الأربعة هو 181 مرة، ومجموعو ما حضر سيبويه في الكتب الأربعة هو 602 مرة.

مع الملاحظة أن سيبويه يذكر الخليل مرات كثير ة في الكتاب.

يمثل هذا الإحصاء للكتب الأربعة فقط دون الأبحاث الأخرى مدى ما يمثله هذان العالمان في الفكر اللساني لعبد الرحمن الحاج صالح، ومدى ما يشكّلان من بعد إبستمولوجي في اللسانيات العربية لديه.

الفصل الخامس:

البعد العلمي المعرفي في اللسانيات العربية

لدى عبد الرحمن الحاج صالح

نقصد **بالبعد العلمي المعرفي** ما تعلّق **بالعلوم المعرفية** Les sciences cognitives وهو حقل علمي جديد يجمع بين معارف وتخصصات علمية عديدة مثل: فلسفة اللغة وعلم النفس المعرفي واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلوم الأعصاب والرياضيات والفيزياء والبيولوجيا وعلوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي.

ويتخذ من **التفكير المفهومي** أرضية خصبة له. ينطلق منها في دراسة العقل الإنساني بوصف استعداداته وقدراته مثل: الاستدلال والإدراك والتحليل وجملة القدرات التصورية العقلية وفضاءاتها المتنوعة؛ ومنها **النشاط اللغوي**، وكيفية اشتغاله بالنظر إلى **النشاط الذهني للإنسان وتصوراته عن الأشياء، ورؤيته للعالم، وما يمكنه من التلاؤم مع محيطه.**

يتم كل ذلك في اللغة بوصفها خصيصة إنسانية مركبة معقدة، لها خصوصياتها في تكوين التصورات النظرية عن اللغة في حد ذاتها، وعن الكلام وعن اشتغال عملية الفهم مثلا وقدراته، التي تعد نشاطا ذهنيا في أساسها، وعن المعرفة كيف تتكون وكذلك التعلّم.

وتعد اللسانيات من هذه الناحية مثالا لتضافر التخصصات وتكاملها وتآزرها وتداخلها في دراسة اللغة من جوانب عديدة منها البعد المعرفي La dimension cognitive الذي يعد هو أيضا توسيعا وتطويرا للسانيات.

يلاحظ القارئ –في هذا المقام– لكتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية حضور البعد العلمي المعرفي فيها بوضوح، وذلك من خلال العوامل الآتية:

1- تضافر التخصصات L'interdisciplinarité:

يعد هذا المفهوم مفهوما نوعيا في العلوم المعرفية، وأساسا من الأسس التي قامت عليها، **فالمعرفة** يُبنى بعضها على بعض، وتتبادل فيما بينها الأخذ والعطاء، وتحقق الانتفاع والجدوى منها. ولذلك تكون الحاجة إلى الاستعانة بعلوم أخرى أصلية أو فرعية لها علاقة بالتخصص.

فليس يمكننا –كما قال ابن سينا (ت 427ه)– في تعلّم العلوم كلها أن نتحرر من مصادرة على مقدمات تتبين في علوم أخرى، «فإن مبادئ العلوم وخصوصا الجزئية تتصرف إما من علوم جزئية غيرها، أو من العلم الكلي الذي يسمى فلسفة أولى، فليس يمكن أن يبرهن على مبادئ العلوم من العلوم نفسها».[1]

يستعمل الإنسان اللغة للتعبير عن أغراضه وتبليغ مقاصده، والاحتجاج لآرائه والبرهنة عليها. والهدف من كل ذلك تحقيق التواصل مع غيره بكفاية وفاعلية، وهو في ذلك يطوّع جهازه اللغوي ليجعله مرناً يمتد نحو وظائف متعددة تتعلق بقدرته على صياغة معرفة منظمة تتعلق برؤيته للعالم من حوله، ويعد الإدراك في ذلك وسيطا مهما[2].

وإذا عدنا إلى الكتابات اللسانية لعبد الرحمن الحاج صالح فيما يخص تضافر التخصصات وتكاملها وتلاقحها في دراسة الظاهرة

---

[1]– ابن سينا: عيون الحكمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ص 17. وينظر أيضا: عبد السلام المسدي: في العلم اللغوي، الدار التونسية للنشر، ط1، 1994، ص 111-112.

[2]– ينظر: حافظ إسماعيلي عليويوامحمد الملاخ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 28.

اللغوية، مما نراه يندرج ضمن العلوم المعرفية، فإننا نجده واضحا جليا في كثير من الأبحاث والدراسات والندوات العلمية والمجلات العلمية المتخصصة. وذلك في الفترة الممتدة من 1964 إلى 2006، وقد طبع ذلك في مجلّديْن اثنيْن[1] تناول فيهما جملة من القضايا نذكر منها على سبيل المثال[2]:

- الدراسات والبحوث الخاصة **بعلم العربية** وعلاقتها باللسانيات الحديثة وتكنولوجيا اللغة.
- في قضايا اللغة العربية ووسائل ترقيتها.
- النظرية الخليلية الحديثة.
- قضايا الترجمة والمصطلح.

تعد هذه قضايا كبرى، وكل قضية منها تدرج تحتها قضايا أخرى صغرى، تناولها الحاج صالح بالدراسة والتحليل.

واللافت للنظر في هذه الدراسات والأبحاث معالجتها لقضايا متعلقة بميادين لها قيمتها في البحث العلمي بصفة عامة والبحث اللساني واللغة العربية بصفة خاصة من ذلك مثلا:

1-1- العلاج الآلي للنصوص العربية على الحاسوب:

مما يستلزم توسيع دائرة الاهتمام بالبحوث التي تخص اللسانيات الحاسوبية، وما يترتب على ذلك من وضع للبرمجيات اللغوية، واصطناع الكلام المنطوق الآلي، ومعالجة أمراض الكلام. ومدى ما ينجر من فائدة على علم تدريس اللغات/التعليمية La didactique des

---

[1]- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء 1و2، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، وبحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007. وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

[2]- بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 437.

langues وعلى دراسة اللغة العربية وسبل ترقيتها في مجالات حيوية متنوعة.

يتعلق كل هذا بما سمّاه عبد الرحمن الحاج صالح **النظرية الخليلية الحديثة** في دراسة اللغة دراسة علمية. تتفاعل فيها تخصصات علمية متنوعة؛ فإلى جانب اللسانيات يوجد الإعلام الآلي أو اللسانيات الحاسوبية، وعلم أمراض الكلام وكيفية معالجتها وتعليمية اللغات... وهي ميادين وتخصصات تحتاج إلى الترجمة والمصطلح والصناعة المعجمية، والمعرفة الكافية **بعلم العربية ونظامه المنطقي.** وما وصلت إليه الأبحاث الحديثة في علوم اللسان وتكنولوجيا اللغة.

يتجلى مبدأ تضافر التخصصات لدى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بالإضافة إلى كتاباته، **في المشاريع العلمية** التي أسسها ودافع عنها وعمل قصارى جهده على تنفيذها ومنها:

1-2- معهد العلوم اللسانية والصوتية:

وقد سبق أن قدّمنا عنه نبذة مختصرة في الفصل الثاني من هذا الكتاب. سواءً تعلق الأمر بمعهد العلوم اللسانية والصوتية الذي أُوكِل إليه إثارة الموضوعات المهمة في اللسانيات وفروعها باعتبارها **معرفة بينية**، وتطبيقاتها، والتنسيق بينها حسب مجالاتها وميادينها مثل: الدراسات الوصفية والصياغة الرياضية للغات، وإحصاء المفردات والتراكيب والصوتيات الآلية، وتجويد الصوت وعلم أمراض الكلام، وعلم اللسان التربوي، وجغرافية اللغة وغير ذلك[1].

[1]- ينظر: محمد يحياتن، اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، المجلة العربية للدراسات اللغوية، مجلد6، عد1، 1988، ص 35.

أو ما تعلق بالتكوين في الماجستير والدراسات العليا في اللسانيات والتبليغ اللغوي، وكان ينتمي إليها الطلبة الحاملون لشهادات في اللغويات والرياضيات والطب والهندسة وعلوم الحاسوب واللغات الأجنبية. بعد إجراء مسابقة. ويدرسون لمدة سنتيْن قبل اختيار موضوع البحث في مجال تخصصهم، الموادَّ الآتية:

- الصوتيات التطبيقية.
- العلاج الصوري للغة والإعلاميات اللسانية.
- علم أمراض الكلام.
- صناعة المعاجم وإحصاء المفردات.
- اللسانيات التعليمية.
- واللغتان الإنجليزية والفرنسية.

والملاحظ أنّ هناك تضافرا واضحا بين هذه المواد في تكوين تخصص بيني واحد، هو اللسانيات كما يتصورها عبد الرحمن الحاج صالح. فهي عنده علم معرفي تتضافر فيه تخصصات عديدة. فقد ركّز على ميادين بحثٍ ذات علاقة باللسانيات من حيث كونها تشكّل مدخلاتٍ ومخرجاتٍ خاصة مثل: الصوتيات وعلم التركيب وعلم الدلالة وعلم التخاطب. ولم يكتفِ بهذا؛ وإنما انفتح على مجالات وتخصصات أخرى لها تقاطعات مع اللسانيات مثل: اللسانيات الحاسوبية، والعيادية والمعجميات، والصناعة المعجمية، وعلم المصطلح كما سبقت الإشارة. ويظهر وعيه في تطبيقاته المتعددة على اللغة.

1-3- مشروع الذخيرة اللغوية العلمية العربية:

لعل أهم مشروع تتضافر فيه التخصصات وتتكامل وتتبادل الأخذ والعطاء بينها وبين بعض، وفي الوقت نفسه يتميز بذاته وقيمته المعرفية هو مشروع الذخيرة اللغوية.

يظهر من هذا المشروع كيف يفكر هذا الرجل الذخيرة في الذخيرة. وينظر من خلالها إلى اللغة على أنها:

1-3-1- منظومة علمية واجتماعية وتربوية واقتصادية وسياسية:

في إطار ثقافة المعلومات، وفي علاقتها بمنظومات المجتمع برمته. فاللغة تتبوأ موقعا بارزا على خريطة المعرفة الإنسانية، فلها علاقة وثيقة بالفلسفة والعلوم الإنسانية والطبية والفنون بأنواعها. ولها أيضا علاقة وطيدة مع الهندسة من خلال هندسة الذكاء الاصطناعي التي تساهم فيها اللسانيات الحاسوبية **Computational Linguistic** بقسط كبير.[1]

لا ينظر مشروع الذخيرة اللغوية العربية إلى اللغة العربية وآدابها فقط، ولا إلى العلوم الإنسانية وحدها؛ وإنما ينظر إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الأساسية والتكنولوجيا على حد سواء؛ لأن اللغة هي الوسيلة بالنسبة للباحث في أي علم من العلوم أو معرفة من المعارف، وهي لسان حاله المعبّر عن نتائج علمه، المبلّغ لأفكاره عبر الزمان والمكان، الشارح الواصف لمتغيرات المعرفة على اختلافها في العلوم والآداب والفنون جميعا. كما أن الإبداع العلمي مرتبط أشد

---

[1]- ينظر: نبيل علي، اللغة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي المغربي، ص239.

الارتباط بإتقان اللغة والتمكن منها في التحصيل والاكتساب، وفي التبليغ أداء شفويًّا وتحريرًا كتابيًا، ذلك أن الكتابة التقنية الجيدة هي التقديم المختص والمركز لمعرفة معلومة متعلقة بموضوع ما، وهي تُبرِز تتابعا منطقيا أو تأطيريًّا للفكر، بحيث تحقق الهدف المرغوب منها.

كما تبلغ المعلومة أو الخبر بوضوح ودقة وفاعلية، باستعمال الاستراتيجيات اللسانية والتنظيمية الضرورية لبلوغ الهدف المسطر مسبقا، وكذا تكون الكتابة العلمية الجيدة فرعا من أصل علم هو الكتابة الجيدة مطلقا؛ إذ تعكس الدقة اللغوية قيمة الخطاب العلمي وما يتطلبه من دقة في القياسات والملاحظات والحسابات والتنبؤات التي تعدّ عاملا هاما في النقد والتقدير العلميين، وبهذا فإن التحكم في ناصية اللغة من حيث صفاؤها وخلوها من الأخطاء النحوية أو من اللحن ليس حكرا على المتخصصين في اللغة والأدب فحسب؛ وإنما تحتاجه الكتابة العلمية كذلك.[1]

وإنّ ما تعانيه الجامعة الجزائرية في وقتنا هو عدم إتقان اللغة بصفة عامة ناهيك بإتقان اللغة المتخصصة المتعلقة بعلم من العلوم La langue de spécialité.

وتعد هذه المسألة إشكالا قائمًا بذاته، بالغ الخطورة في تحصيل العلم والمعرفة ووصفها وفهمها وتحليلها ونقلها، ولا بد من الالتفات إليه ومعالجته وتوظيفه في البحث العلمي والأداء التربوي.

[1]– ينظر: بشير إبرير: في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، عدد8، 2001، ص 79–80.

ونرى الذخيرة العربية توفر للباحث وللمدرّس وللطالب جملة من المعطيات المتعلقة بالمخزون اللغوي الذي يمكن أن يستثمره في منتوجه العلمي والتربوي.

هذا ما كان يخطط له الحاج صالح منذ بداية السبعينات، وسعى إلى تحقيقه بكل الوسائل العلمية والبيداغوجية وغيرها. ولكن كان كل مرة يواجه حُزَمًا من الصعاب والمشكلات من لدن العاجزين عن التفكير السليم المثمر المفيد للبلد.

1-3-2- الذخيرة اللغوية العربية وتكامل المعارف: الجمع بين المعرفة اللغوية والأدبية والمعرفة العلمية:

ينظر مشروع الذخيرة إلى اللغة في إطار تكامل المعارف وتضافر التخصصات، والمتأمل لهذا المشروع الضخم يلاحظ **سعة النظرة إلى العلم والمعرفة** بمختلف فروعها واختصاصاتها سواء ما تعلق بالعلوم الإنسانية والاجتماعية أو بالعلوم التقنية. وهي أيضا إشكالية خطيرة تعانيها الجامعة الجزائرية التي كثيرا ما همشت المحتوى الثقافي للمعرفة العلمية والمحتوى العلمي للمعرفة اللغوية والأدبية؛ مما تسبب في إحداث فجوة بين المعرفتين أو الثقافتين وقطع حبل التواصل بينهما: **نتجت عنها حصيلة مروعة لمخرجات العملية التعليمية.** تتمثل في خريجين يبعدون بعدا كاملا عن الفهم الواعي لمجريات الحياة والمجتمع وقد تسبب ذلك في إفشال منجزات مشروعات التنمية، وطرائق

تخطيطها وإدارتها؛ لأن القائمين عليها **يعانون من التخلّف الثقافي** على رأي سليمان العسكري[1].

فمن الثقافتيْن أو المعرفتيْن العلمية التكنولوجية والإنسانية والاجتماعية بما في ذلك اللغة والأدب تتكون **ثقافة ثالثة**، وهو مصطلح يكاد يكون مجهولا في الساحة الثقافية العربية على خطورته لمفهوم الثقافة[2]، وتعريف المثقف ومن ثمة النخبة التي تقود عملية التعريف بهذه الثقافة[3].

إن الباحث في ميدان العلوم الصارمة في حاجة إلى معطيات العلوم الإنسانية والاجتماعية، واللغات والآداب، والباحث في هذه الميادين الأخيرة في حاجة إلى معطيات الثقافة العلمية بما يصنع **رأس المال الثقافيCultural Capital**[4].

---

[1]– ينظر: سليمان العسكري: التعليم والثقافة، أبعاد جديدة في علاقة غائبة، مجلة العربي، عدد497، 2000، ص 8 وما بعدها.

[2]– لا أرى مفهوم الثقافة واضحا في خطابنا الرسمي الجزائري إلا قليلا، وكثيرا ما يبدو متعلقا بالمهرجانية وبعض المظاهر المنبتة عن جذورها.

[3]– ينظر: سليمان العسكري: الثقافة الثالثة ولكن، مجلة العربي، العدد544، مارس 2004، ص 8 وما بعدها.

[4]– انتشر هذا المصطلح كثيرا في كتابات المفكر الأمريكي: فرنسيس فوكوياما، بعد صدور كتابه "نهاية التاريخ" سنة 1989، وكتابه "الثقة: دور الثقافة والفضائل الاجتماعية في تحقيق الازدهار الاقتصادي" عام 1995، وطوّرها لتصبح كتابا ضخما عنوانه: "الانفراط الكبير: الطبيعة البشرية وإعادة بناء النظام الاجتماعي". ينظر: سليمان العسكري، رأس المال الثقافي: مفهوم جديد وتناقضات عابرة، مجلة العربي، عدد596، مارس 2009، ص 18 وما بعدها.

وهو مفهوم فكري يؤكد على مدى تأثير المعنوي في المادي والمردود الاقتصادي والاجتماعي للثقافة، فكما يقول سليمان العسكري:

«يدور الحديث كثيرا حول تأثير الأصالة اليابانية في دفع تقدّمها لتتبوّأ مركزا عالميا متقدما، كما يدور حديث مماثل عن قيم العمل لدى الصينيين وتأثير هذه القيم في نهضة النمور الآسياوية ارتكازا على مبادرات الأقليات الصينية في انطلاق العملاق الصيني نفسه».[1]

وإذا كانت هذه قيم غيرنا فما هي قيمنا نحن؟

يقول في شأن التواصل بين الثقافتيْن "لورنتلافورجL. Lafforge"[2]:

«إني مسرور بوجه خاص لهذا اللقاء بين رياضي؛ أي مختص في العلوم، ولفيف من أساتذة الآداب؛ لأنني أعتقد أن مدرستنا الجمهورية (يقصد فرنسا) التي نحن جميعا مدانون لها بما نحن فيه من نعمة، هي في خطر. وليس لنا إذا ما أردنا إنقاذها وتصحيحها سوى أن يشكل رجال الأدب والعلم جبهة مشتركة، إذ من الواضح في ذهني أن جميع التخصصات متأثرة تأثرا كبيرا بنقص الاعتبار الذي تحظى به الدراسة والمعرفة من قبل مجتمعنا برمته، ومصابة بانخفاض عام في المستوى التحصيلي ومصابة بتشوه وزوال هيكلة المحتويات التعليمية...»[3]

توجد إذًا علاقات ترابطية بين المعرفتيْن، فكلتاهما تستفيد من الأخرى بل إن المعرفة اللغوية والأدبية لجد ضرورية للمعرفة العلمية.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 18.

[2]– حائز على جائزة الرياضيات التي تمنحها الصين مقابل جائزة نوبل وهو فرنسي.

[3]– أبوبكر سعد الله: هل إتقان اللغة مرتبط بالإبداع العلمي؟، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد2، 2005، ص 118–119.

فعندما لا يمتلك العالم الكلمات أو الألفاظ اللغوية فإنه لا يستطيع التعبير عن موضوعات علمه وخصائصها وأوصافها، بل ويعجز على صياغة نتائجها واستثمارها في واقع الحياة. وتكون تلك الصياغة من وحدة نصية مترابطة منسجمة مسبوكة محبوكة لغويا وفكريا لتعبّر عن المقصود وتبلّغ الغرض.

هنا تكمن إشكالية التعليم بصفة عامة والتعليم الجامعي بصفة خاصة في بلادنا في كل التخصصات العلمية والإنسانية والاجتماعية، فلا يوجد اهتمام بالعلاقة الثقافية بين التخصصات، ولا يلتفت إطلاقا إلى العناية بالقواعد اللغوية من نحو وصرف وإملاء وما يجب أن يتوفر من معايير ضابطة للغة المكتوبة من حيث الصياغة. بالرغم من كونها تشكل قسطا معتبرا من مكونات رجل العلم. فكل شيء يتم ويتحقق بواسطة اللغة. ومَنْ لا يعرف اللغة لا يعرف شيئا.

وإن السائد في تعليمنا الجامعي وفي معظم تخصصاته لخاطئ جد خاطئ.

1-3-3- الذخيرة اللغوية العربية والمعرفة اللسانية:

نسجل أيضا أنّ الذخيرة اللغوية العربية تتأسس على معطياتٍ لسانية خليلية في الوصف والتحليل والبحث، من مثل: الأصل والفرع والباب والمثال والوضع والاستعمال واللفظة. وفي التركيز على **المخزون التراثي الاستعمالي** كما تبرزه النصوص المكتوبة، **وفي التركيز على المنجز الحداثي** كما تبرزه النصوص المعاصرة في شتى

ميادين المعرفة. والعمل على جعله ذخيرة عربية يتم استثمارها وتوظيفها في البحث العلمي والتربوي بصفة عامة.

ونرى أنّ هذا سيمكّن الباحث من **النظر الإبستمولوجي للعلوم والمعارف.** وإدراك السياقات المعرفية والفكرية والبيئات الثقافية التي نشأت فيها المفاهيم والمصطلحات العلمية ومعرفة الترابط المنطقي بينها. وهي مسألة أساسية في البحث العلمي والتربوي في بلادنا وفي الوطن العربي.

ولهذا فإن الذخيرة العربية بما أنها ستكون مدونة نصية كبرى ستمكّن الباحث من الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية ولا يكتفي بما في القواميس ولا في كتب القواعد، وأن يمسح هذا الواقع كما يشاء ويستقريه كما ورد في سياقاته الاستعمالية الأصيلة ومقاماته التبليغية وأحوال الخطاب التي تخصه.[1]

إنّ إدراك مثل هذه القضايا المعرفية والمنهجية مشروطة بمعرفة اللغة العربية معرفة علمية عميقة في أصولها ومصادرها التراثية وأحوال خطابها وظروف إنتاجها.

ومشروطة أيضا بالقناعة بأن وعينا الحالي لا تشكله الثقافة العربية وحدها خالصة، وإنما تساهم الثقافة الأجنبية أيضا في تشكيله وتوجيهه بمستويات مختلفة، ودرجات متفاوتة بما تنتجه من فكر وثقافة وتقنية. ونذهب إلى القول بأن الثقافة الغربية لم تعد ثقافة خاصة بأهلها فحسب بل صارت عنصرا أساسيا في البنية الثقافية العربية الحديثة كذلك.

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد2، ديسمبر 2005، ص 267.

1-3-4- الذخيرة العربية مصدر معلوماتي:

تعد الذخيرة العربية مصدرا معلوماتيا مُهِمًّا يحاول بناء قاعدة علمية معلوماتية ذاتية متطورة في ضوء الانفجار المعرفي، فعصرنا – هذا بحق- هو عصر المعرفة، ولا مكان فيه لمن لا يعرف. والسؤال المهم هو: كيف نعرف؟ وكيف نتكيّف مع هذه المعرفة؟ وكيف نستفيد منها؟

لقد تطوّرت وسائلها وأساليبها، فلم تعد مقتصرة على استخدام الكتب والمراجع وما صاحبها من إنشاء للمكتبات التقليدية، وإنما أصبحت أهمية استخدام الحاسوب في تخزين المعلومات لما تتميّز به من قدرة عالية على بلورة الرأي وتشكيل العقل. وعليه كيف نستفيد من الثقافة العالمية على تنوعها واختلاف مناهجها وتشابك علاقاتها؟ ,كيف نعمل على التعريف بثقافتنا وإنتاجنا الفكري، ونقله إلى الآخر في ضوء بروز مفاهيم جديدة مثل العولمة؟

إنّ محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة تحتاج منا إلى إدراك خصوصيات المشكلات الاجتماعية المطروحة على مجتمعنا وتفهم الآليات المحركة للثورة الإعلامية داخل المجتمعات الصناعية[1]. وبخاصة أنّ «منافع ثورة تكنولوجيا المعلومات ليست موزعة توزيعا

[1]- ينظر: منذر عافي: الفجوة الرقمية ورهانات التنمية، قراءة سوسيولوجية في النموذج التونسي، مجلة الحياة الثقافية، عدد167، نوفمبر 2005، ص 10-11.

متساويًا في الوقت الحاضر بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية أو في داخل المجتمعات...»[1]

للذخيرة العربية المحوسبة فوائد عديدة من الجوانب الثقافية واللغوية والتربوية والعلمية من ذلك: «تمكين أي باحث أو طالب أو تلميذ أو مواطن من أن يتحصل وفي وقت وجيز على المعلومات التي يحتاجها في أبحاثه ومشاريع اختصاصه.

ويمكن للباحث من الجانب اللغوي أن يتحصل على معلومات لغوية وتجاوز الجانب اللفظي المعجمي إلى المجالات السياقية التي يتواتر فيها اللفظ والقدرة على إحصائها واستنطاق ذلك».[2]

ومن شأن هذا أن ينعكس على النواحي التربوية والتعليمية، فالمتعلم مهما كان مستواه، يحتاج إلى ما يثير ذهنه ويشوّقه إلى المعرفة والبحث عن الحقائق.

إنّ أكبر ما يمكن أن تحققه الذخيرة العربية ما يتعلق بالبحث العلمي، الذي يعد في عصرنا هذا جزءا فاعلا في الحياة الثقافية والعلمية، وسلاحا قويا يقتحم به الباحث ماضي أمته ويحلل حاضرها، ويستشرف مستقبلها ويخطط له. وهو الخطوة الأولى إلى الحقيقة العلمية، وعنصر أساسي في التقدم الاقتصادي والتربوي والثقافي الحضاري. **إنّ المعركة حاليا هي معركة البحث العلمي**، ولا معنى

---

[1]– مصدق الجليدي: على مشارف المرحلة الثانية من القمة العلمية لمجتمع المعلومات، تونس، الديمقراطية المعرفية، العوائق والفرص المتاحة، الحياة الثقافية، عدد 167، 2005، ص 31.

[2]– عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة اللغوية العربية...، ص 266 وما بعدها.

للجامعة إذا لم تكن البحوث فيها نشطة ومرتبطة بالتدريس وبحاجات المجتمع.

وإنّ الدول المتقدمة علميا تعتمد على الجامعات في حل المشكلات التي تعترض نموها وارتقاءها، ويمكن في هذا الإطار أن تقدّم الذخيرة العربية عدة حلول للبحث العلمي لعل أهمها:

إشكالية المصطلح في الجامعة الجزائرية سواء ما تعلق بالبحث أو التدريس، إذ توجد فجوة حقيقية في توليد المصطلح واستعماله، الأمر الذي أدّى إلى اختلاف وجهات النظر، وأثّر على نتائج البحث والمردود التربوي وولّد لدينا **تبعية مصطلحية**؛ فالغرب ينتج ونحن نترجم دون إدراك أصول الترجمة والتحكّم في اللغة المنقول منها والمنقول إليها، وإدراك الخلفيات الثقافية والأسس الفكرية الكامنة خلف المصطلحات، والموجهة لها نحو تحقيق أهداف محددة. وقد أثّر هذا على صيغ الخطاب العربي إعلاما واقتصادا وتربية وبحثا علميا وسياسة وثقافة ورؤيا مستقبلية.

ونرى أن الذخيرة العربية ستمكّن الباحثين والمؤسسات العلمية من وضع المصطلح الأكثر موضوعية الذي يتّسم بالوضوح والإحاطة بالمفهوم إحاطة كافية. لأن الحاسوب يمكّنهم من حصر كل السياقات والمعاني التي تدل عليها الصيغ اللغوية. وقد يؤدي ذلك إلى الإسهام في تضييق الفجوة بين الباحثين العرب بما يوحّد المصطلحات بينهم بالرجوع إلى واقع الاستعمال.[1]

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص 267–268.

1-3-5- محاولة إعداد محتوى علمي معرفي محوسب متعلّق بالذخيرة:

إعدادا رقميا بتحويل النصوص والأشكال والأصوات لتصبح قابلة للمعالجة الآلية وترميزها وتهيئة وثائق المحتوى لعملية تبادله عبر الأنترنيت باستخدام رموز لغات خاصة مثل: "HTMC". بالإضافة إلى التشكيل الآلي للنصوص تحاشيا لحالات اللبس، وإعرابها آليا؛ لأنّ ذلك يُعدَّ شرطا أساسيا للتحليل العميق لمحتواها الذي ينبني على تحليل بنيتها التركيبية، وكذلك ترقيم النصوص العربية آليا لكشف البنية السردية للجمل والمقولات النحوية وتحديد فواصلها.[1]

وانطلاقا من كل ذلك يتم **توصيل أوجه الفهم الوظيفية للعلوم والمعارف،** والعمل على حسن توظيفها والاستفادة منها، وبخاصة في البحث العلمي والتدريس بالجامعة لما لها من نفع في مشاريع تنمية المجتمع.

وهكذا يتبيّن من مثل هذه المشاريع **فراسة العلماء الذين ينظرون إلى المستقبل غير المحدود للعلم والتكنولوجيا.** وبالطبع لا يمكن للفرد الواحد أن يصنع مستقبلا، فهنالك موضوعات متراكمة تشكّل مادة أولية حية للبحث والتقصي. بشرط ألّا تبقى جامعاتنا ومؤسساتنا للبحث تغط في نوم عميق، إذ غالبا ما تغلق أو تغلّق أبوابها مباشرة بعد انتهاء ساعات الدوام يوم الثلاثاء أو الأربعاء قبل نهاية الأسبوع بيوم أو

---

[1]- للمزيد من التفاصيل المفيدة جدا، الرجوع إلى: نبيل علي ونادية حجازي: الفجوة الرقمية رؤية عربية لمجتمع المعرفة، عالم المعرفة، رقم4318، 2005، ص 134-135 وما بعدهما.

يومين. وكذلك المكتبات الجامعية التي تغلق أبوابها من شهر ماي أو جوان إلى أكتوبر مضافا إلى ذلك العطل الفصلية وغيرها.

بينما الجامعات في الغرب مثل خلايا النحل لا تهدأ، تفتح أبوابها حتى ساعات متأخرة من الليل، وتكون منبرا للعلم والثقافة والحوار الفكري والبحث العلمي.[1]

هكذا إذن تعد الذخيرة اللغوية العربية مثالا حيا لتضافر التخصصات والمعارف وتقاطعها وتجاورها في مفاصل عديدة، في مقاربتها لموضوع واحد.

ولقد كان للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح نظر معرفي عميق بالتخطيط اللغوي، وبالإجراءات العلمية والمنهجية والأبعاد الاستراتيجية والاستشرافية التي من خلالها استطاع **استبصار** الحلول المختلفة للمشكلات اللغوية في علاقاتها المختلفة من خلال مشروع الذخيرة. ولكن دائما يجد مواجهةً وعراقيل في تنفيذ مشاريعه وأهمها هذا المشروع.

2-الاشتغال بالمفاهيم:

من يقرأ كتابات عبد الرحمن الحاج صالح يجد الرجل له قدرة عجيبة في هذا المجال؛ **فهو يشتغل على المفاهيم بالمفاهيم**، بنظر منهجي عميق لها وللمصطلحات المعبّرة عنها. فهو يرجع بها إلى سياقاتها اللغوية التي قيلت فيها بتتبّع الأمثلة المتعددة داخل النسيج اللغوي الخاص ومعرفة موضعها من السياق، وتتبّع ترتيبها التاريخي

[1]- رأي لمحمد كنعان: التربوي الإنمائي الفلسطيني، غزة، نقلا عن سليمان العسكري: مجلة العربي، عددّ497، أبريل 2000، ص 11.

متى قيلت؟ وكيف قيلت؟ ولماذا قيلت؟ ومن قالها أول مرة؟ وماذا يقصد بها؟

دون أن يغفل في كل ذلك، الكلام عن **المقام** الذي قيلت فيه ومجمل الظروف والسياقات المعرفية والفكرية التي تشكلت فيها المفاهيم، ووضعت لها المصطلحات الدالة عليها.

ويعد هذا نظرا معرفيا عميقا للظاهرة اللغوية كيف نشأت وترعرعت في بيئتها العربية الأصلية الخالصة، وكيف استوت على سوقها وأتت أكلها، وعبّرت عن مقصودها حقيقة. مع مقارنتها بما جاء به علماء اللسان الغربيون، بوعي نقدي موضوعي.

فإذا تحدث عبد الرحمن الحاج صالح عن "وليم فون هومبولت" و"وايتني" و"بلومفيلد" و"هاريس" و"دوسوسير" و"تشومسكي، تحدث حديث العارف المتمكن بما جاء به هؤلاء العلماء، ووضعه في مكانه وأحله محله العلمي الصحيح.

وإذا تحدث عن الخليل بن أحمد وسيبويه والجاحظ وابن جني والمبرد والمازني وعبد القاهر الجرجاني وابن خلدون... تحدث أيضا حديث العارف المتمكن القارئ الجاد للتراث اللغوي العربي ومعرفته به في مصادره ومضانه الأساسية، وقراءته قراءة عميقة **أسس من خلالها للسانيات عربية** حقيقة لا مجازاً، مقدما الدليل والبرهان والحجة المؤكدة على ذلك.

ويبدو لي أنه أوّل من استعمل مصطلح "**لسانيات عربية**" ووعى مفهومه وبرهن على وجوده وعمل على تحقيقه وتطويره بدءا برسالته في دكتوراه الدولة عن علم اللسان العام وعلم اللسان العربي وهي عمل

ضخم في جزءين باللغة الفرنسية، تدل على عالم متبحر في علوم اللسان عند العرب والغرب في آن واحد.

إنّ الحاج صالح –رحمه الله– فقيه بالتراث وبالمفهوم والمصطلح، وبالمنجز اللساني الغربي.

وإن الاشتغال بالمفاهيم وبكيفية تشكّلها هي مسألة أساسية في النظر المعرفي والإبستمولوجي لدى عبد الرحمن الحاج صالح، فقد عمل على معرفة الأسس المعرفية المتنوعة للمفاهيم ومصطلحاتها الواصفة في اللسانيات العربية وفي اللسانيات الغربية على حد سواء.

وذلك لأنه متجذر في اللغة العربية، ومتحكم في اللغات الأجنبية: الإنجليزية والفرنسية بخاصة.

إضافة إلى أصالته وغيرته على التراث اللغوي العربي الذي تجلى في كتابات العلماء العرب الأجلاء. وقد انتصر لهم بموضوعية علمية واضحة[1]. وإنما **الرجل قد وعى وعيا عميقا منطق العرب في علوم اللسان**[2]والوسائل العقلية التي اعتمد عليها النحاة العرب الأولون في دراستهم للغة وتحليلها واستنباطهم لضوابطها من ذلك هذه الأمثلة:

---

[1]– يرى بعض الدارسين أن الحاج صالح ينتصر للتراث بغثه وسمينه، وهو بذلك تقليدي لا يملك نظرة تجديدية، ولكن هذا غير صحيح، وهم مخطئون في وصفهم له بذلك؛ لأنهم ببساطة لم يقرأوا التراث ولم يقرأوا ما يدّعون أنه حداثة.

[2]– هذا عنوان كتاب للحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2010، ط1، والكتاب جدير بالقراءة.

2-1-التعرّف على المعنى أو التعريف المفهومي:

فقد عرّفه بقوله: «إن التعريف الموضوعي للمفهوم يخضع لأصول معينة؛ فهو مجموع الصفات التي يتميز بها عن غيره، فلا بد إذًا، من الاعتداد بها في تعريفه...».[1]

فبناء على معرفة الصفات المرتبطة بالمفهوم والمميزة له عن غيره يتم إدراكه، ومن ثمة تسهل عملية التصنيف.

فسيبويه مثلا -كما أورد الحاج صالح-[2] في تصنيفه للأسماء قد انطلق من هذه المعطيات النظرية المتعلقة بالتعريف المفهومي أو التعريف على المعنى، وأدرك بذلك مراتب اللغة العربية بالنظر إلى التعريف على المعني وبالنظر إلى التعريف على اللفظ,

وقد لخص ذلك الحاج صالح في الرسم الآتي:[3]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 115.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 120/113.

[3]- عب الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 120.

أصناف الأسماء عند سيبويه

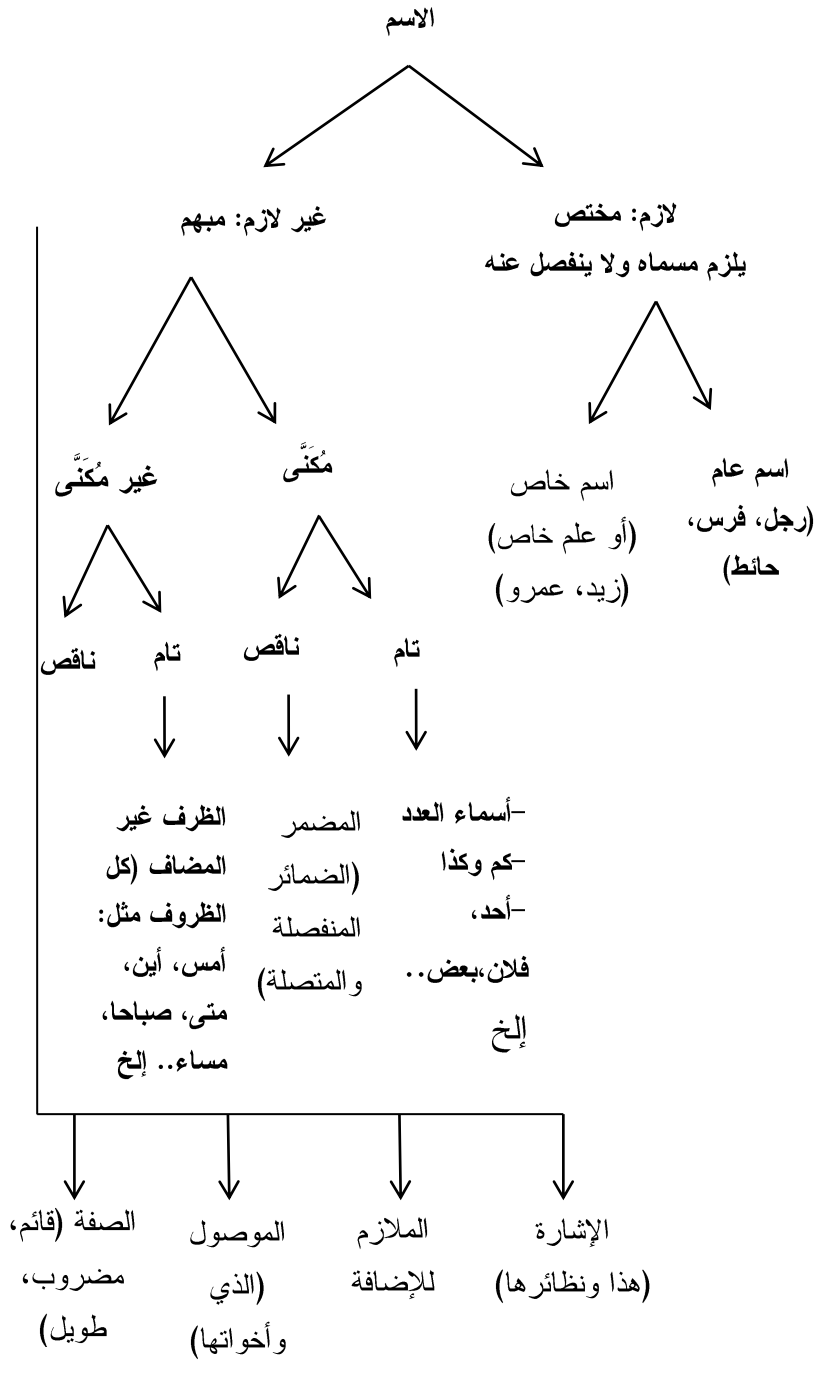

ثم يستنتج الحاج صالح من كل هذا أن «الاسم عند سيبويه هو: "علامة تقع على شيء ليعرف بها، إما هو بعينه (كالعلم والمحلّى بـ "أل" وغيرهما)، وإمّا كواحد من سائر أمته (كاسم الجنس)". فهذا تعريف دقيق؛ لأنه يبين أن الاسم يدل على الفئة والجنس في اللغة وهو الأمة خاصة عند سبيويه، وعلى فرد من هذا الجنس في الكلام معينا تارة وغير معين تارة أخرى، فهذا التعريف على المعنى بهذا اللفظ، وهذا الأسلوب لا يوجد ما يماثله لا في المنطق ولا في كتب النحو غير العربية ولا عند العرب المتأخرين».[1]

هكذا يقول الحاج صالح محتجا لخطابه بتقديم الدليل العلمي الوجيه الذي يثبت أصالة العلماء العرب الأولين، ملاحظا أنّ اهتمامهم كان منصبا على الوظيفة أو الدور الذي تؤدّيه الوحدة اللغوية في واقع الخطاب لا في حدّ ذاتها، ولم يتناسوا–مقابل ذلك– أن للخطاب بنية؛ بمعنى أنهم يراعون أيضا الوحدة اللغوية من التركيب.

فكما يوجد في التعريف على المعنى أو التعريف المفهومي، يوجد التعريف على اللفظ، أو الحد النحوي، ويتأسس على معنى: **البناء والمجرى والحد**[2]. وهي عناصر أساسية في النظرية اللغوية العربية.

يورد الحاج صالح في هذا الشأن، جملة من الأقوال لسيبويه تضمنت **مفهوم الحد** ومنها:[3]

- «ألا ترى أن **حد الكلام** أن تؤخر الفعل فتقول: "أيّهم رأيت"» 64/1.

---

[1]– المرجع السابق، ص 120.

[2]– المرجع نفسه، ص 119 وما بعدها.

[3]– المرجع نفسه، ص 121.

- «**وجه الكلام وحده الجر**، لأنه ليس موضعا للتنوين.» 87/1.
- «فهو على ذلك **الحد** متمكن... وفي هذه الحال متمكن» 119/1.
- «وعلى هذه الطريقة **فاجرِ** هذا النحو.» 273/2.
- «وليس ذا طريقة **يجرين** عليها في هذا الكلام.» 194/2.

فالملاحظ لهذه الأمثلة التي قدمها الحاج صالح من كتاب سيبويه يجد مفهوم الكلام من حيث اللفظ، فيكون **الحد** مع مفاهيم أخرى هي: **الوجه والحد والطريقة** وهي تخص الكلام من حيث اللفظ، فيكون **الحد**، بذلك، وجها من أوجه الكلام وحالا من أحواله تتتجه طريقة محددة أو إجراء الناطقين له في واقع الخطاب. فهو كما قال الحاج صالح: «نمط من الإجراءات التي تفضي إلى نتيجة، وهي النحو أو الضرب من الكلام الذي يحده الحد، وفي نفس الوقت هذا النمط من الكلام بعينه».[1]

بناء على هذا فإن **الحد** يرتبط بتعريف الإجراءات المتحكمة في صياغة ضروب الكلام وإجرائها مجراها أو مجاريها اللازمة التي تخصها على مستوى البنية اللغوية. **فلكل حد إجراءات تخصه.**

يقول في هذا المقام: «... فالحد عند النحاة الأولين لا يحدد المعاني والمفاهيم بل يختص بضبط الإجراءات أو العمليات التي تتولد منها العبارات ولا يكون للحد عند سيبويه ومعاصريه أي وظيفة أخرى إلا هذا التحديد الضابط الإجرائي.» [2]، ولقد أقام سيبويه عملا تحليليا علميا موضوعيا لمجاري كلام العرب كما ورد على ألسنتهم وجمعه العلماء قبله وفي زمانه؛ فوصف هذه المجاري وصنفها وفسّرها، وحاول

---

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 121.

[2]– المرجع نفسه، ص 121.

ضبطها بضوابط علمية دقيقة، ميّز فيها بين الجانب الاستعمالي والاجتماعي؛ أي اللغة بوصفها ظاهرة، وبين الجانب المتعلق بتوليد الوحدات اللغوية المتعلق بالحدود وهي ضوابط العربية.[1]

2-2-القياس الفقهي والقياس النحوي:

يقيم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المقارنة بين هذين النوعين من القياس: **الفقهي والنحوي** من حيث المفهوم والغرض والأصل والمعنى لأهمية ذلك عند علماء الأصول في الفقه والنحو. باحثا في الأسس المعرفية للقياس، مستخلصا مميزات القياس العربي المختلفة عن السلوجسموس الذي بني كله على علاقة **اندراج شيء في شيء.** وهو بعيد عن القياس العربي في الفقه والنحو على حد سواء, ففي القياس الفقهي **تثبت الموافقة** إذا ثبت أن **الفرع كان في معنى الأصل فيحكم بحكمه**؛ أي قياس الفروع على الأصول. وأما القياس النحوي فتخص الموافقة اللغة **فتثبت الموافقة بثبوت التكافؤ بين أفراد الفئة اللغوية من حيث المجرى أو البنية.**[2]

لقد أورد الحاج صالح كثيرا من اللطائف في كتابة منطق العرب في علوم اللسان جديرة بأن يطلع عليها القارئ الباحث المتخصص ليفهمها ويعرف كنهها ويكتشف كثيرا من أسرارها المخبوءة.

ويعد القياس مفهوما من المفاهيم المفاتيح في أصول الفقه وأصول النحو، لفهم أسرار اللغة العربية والنظرية النحوية بصفة خاصة. إن

---

[1]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، 4، ط1، 2016، ص 4/3.

[2]- المرجع السابق، ص 337.

الفقيه في النحو هو في الأصل فقيه في الفقه، وأن الفقهاء في الحقيقة هم نحاة.

2-3-تحديده لمفهوم الفصاحة:

خصص الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح كتاباً مستقلا لتحديد مفهوم الفصاحة رابطا إياه بالسماع اللغوي عند العرب، وهو مفهوم أساس في بناء النظرية اللغوية العربية وجمع مدونتها الضخمة.

فقد تناول **مفهوم الفصاحة** مُصطلحا نحويا لغويا، متتبعا تطور مدلوله عند اللغويين في القرن الثالث الهجري وما بعده، مبيناً معنى اللغة الفصيحة، واللغة الجيدة أو العالية عند العلماء في القرن الثالث من الهجرة، مستقرئا تحول العربي الفصيح، موضحا المفهوم الوضعي للفصاحة، وتطوره عند البلاغيين، وكيف فهم كلام الجاحظ في الفصاحة والبلاغة في القرن الرابع الهجري، مستخلصاً حقيقة مقياس الفصاحة اللغوية وقيمة ذلك من الناحية العلمية، مركزا على المقاييس المكانية والزمانية للفصاحة السليقية، منبّها على أن الفصاحة لم تكن مقصورة في القرنين الأول والثاني على أهل البدو، ولا على القدامى من العرب، ولا على الأعراب الأقحاح الخلص، مشيرا إلى الشعراء الأوائل، وأقدم ما وصلنا من الشعر بالعربية الفصيحة ابتداء من زمن المهلهل، مستنتجا بعد كل ذلك المقاييس الصورية اللسانية للفصاحة. وقد وضح الأستاذ المجال المفهومي للفصاحة بواسطة الرسم الآتي:[1]

[1]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2007، ص58.

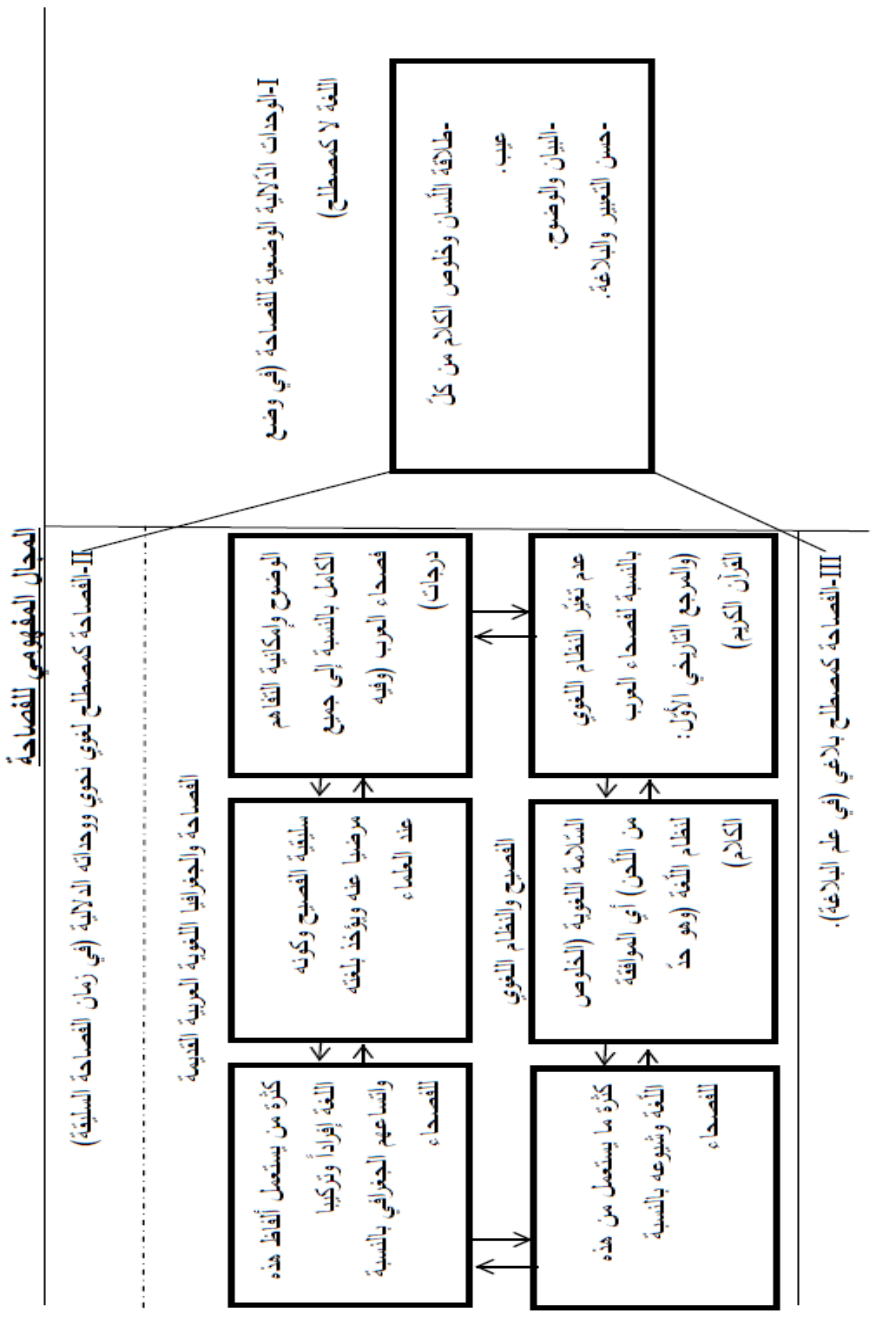
المجال المفهومي للفصاحة
II-الفصاحة كمصطلح لغوي نحوي ووحداته الدلالية (في زمان الفصاحة السليقية)
الفصاحة والجغرافيا اللغوية العربية القديمة
I-الوحدات الدلالية الوضعية للفصاحة (في وضع اللغة لا كمصطلح)
-طلاقة اللسان وخلوص الكلام من كلّ عيب.
-البيان والوضوح.
-حسن التعبير والبلاغة.
الوضوح وإمكانية التفاهم الكامل بالنسبة إلى جميع فصحاء العرب (وفيه درجات)
سليقية الفصيح وكونه مرضيا عنه ويؤخذ بلغته عند العلماء
كثرة من يستعمل ألفاظ هذه اللغة إفراداً وتركيبا وانتماءهم الجغرافي بالنسبة للفصحاء
الفصيح والنظام اللغوي
عدم تغيّر النظام اللغوي بالنسبة لفصحاء العرب (والمرجع التاريخي الأول: القرآن الكريم)
السلامة اللغوية (الخلوص من اللحن) أي الموافقة لنظام اللغة (وهو حدّ الكلام)
كثرة ما يستعمل من هذه اللغة وشيوعه بالنسبة للفصحاء
III-الفصاحة كمصطلح بلاغي (في علم البلاغة).

يُعد **مفهوم الفصاحة مفهوما مفتاحاً** في بناء النظرية اللغوية العربية وفهم أسرارها، ومستوياتها وضعا واستعمالا. يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: «... ونعتبر هذه اللفظة والمفهوم الذي تدل عليه بالمفتاح الذي سيفتح لنا أبوابا كثيرة فيما يخص المفاهيم العلمية الخاصة بتصور العرب للعربية ولعلوم اللسان عامة».[1]

شأنه شأن السماع اللغوي وهما مرتبطان بعضهما ببعض. فهما مفهومان لغويان ولكن لهما خلفيات وأسس اجتماعية مما يمكن أن ندرجه في زماننا تحت مسمى اللسانيات الاجتماعية La Sociolinguistique.

وظّف الحاج صالح في تحديده لمفهوم الفصاحة والسماع وما اقتضياه من نظر علمي ووعي إبستمولوجي، كلا من سيبويه بـ 96 مرة، وأبي عمرو بن العلاء 65 مرة، والأصمعي بـ 54 مرة، والجاحظ بـ 28 مرة. وغيرهم من العلماء الأجلاء الذين وَعَوْا النظرية اللغوية العربية في أسسها المعرفية ومفاهيمها العلمية، وممارستها التطبيقية العلمية، وَوَعَوْها في مستواها الوضعي البنوي ومقتضياته المتنوعة، وفي مستواها الاستعمالي الخطابي ومقتضياته المتعددة.

ووعاه أيضا الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وعيا علميا معرفيا ومنهجيا وممارسة تطبيقية، وعمل على تقديمه للأجيال.

2-4-كتابة الأسماء والمصطلحات العربية باللغة الأجنبية:

تمثل هذه المسألة **اختيارا منهجيا** من لدن الحاج صالح؛ لأنّ له هدفاً رسمه لنفسه من زمان بعيد، منذ أن بدأ ممارسة البحث العلمي، وهو **التعريف بالعلم اللغوي العربي** الأصيل، ونقله إلى الآخر؛ الدارس

---

[1]-عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 28.

الغربي الذي لا يعرف العربية وتراثها العلمي الضخم وبخاصة في القرون الأربعة الأولى من الهجرة، ومن **ثمة التأسيس الحقيقي للسانيات عربية** لها أسسها المعرفية ومفاهيمها العلمية وممارساتها وإجراءاتها العملية. ولذلك راح يشرح المفاهيم ويوضح الأسس ويعرّف بالعلماء باللغة الأجنبية، فاتخذ من **الكتابة الصوتية العالمية وسيلة** لجعل القارئ الأجنبي يقرأها بلغته كما تنطق باللغة العربية، من ذلك هذه الأمثلة[1]:

«On peut prononcer un phonème isolément mais suivi d'un autre phonème car la continuité [sonore] est en matière de langage.»

يعلّق الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قائلا: أنهذه الحقيقة معروفة منذ القرن الرابع الهجري، ويورد قول علي بن عيسى الرماني:

«أقل ما يمكن أن ينطق به وهو الحرف الواحد»

«aqallu ma yumkinu'an yuṅṭaqabihî… wa-huwa L-ḥärfu L-wahid».

ويورد أيضا قول المبرد مكتوبا هكذا:

«Là yağùzu Li ḥarfin an yanfasila bi-nafsihi Li-annahümustahil»

«لا يجوز لحرف أن ينفصل بنفسه لأنه مستحيل.»

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح:

La notion de syllabe et la théorie cinetico–impulusionnelle des phonéticiens Arabes.

في كتاب: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 1و2. ويعد هذا البحث أساسيا في البحث الصوتي.

ويتحدث عن الحركة:

«… **La ḥaraka** permet au ḥarf de se produire (tumakkinu min iḫrâğa L-ḥarf)»[1]

«تمكّن من إخراج الحرف».

«**La ḥaraka**est une cause nécessaire à la production du ḥarf» [2]

ولابد من الإشارة إلى بحثه الموسوم بـــ:[3]

«Linguistique et phonétique Arabe»

فهو بحث مهم –في هذاالمقام– في التعريف بالنظرية اللغويـــة العربية عند العلماء العرب القدامى، والعمل على نقلها إلى الآخر، بغية تصديرها بوصفها معرفة علمية أصيلة دقيقة لها تميّز، ولها سبق علمي في الكثير من الأحيان. وهذا هدف سامٍ نبيل من لدن عبد الرحمن الحاج صالح، ورؤيا علمية تحمل مشروعا حضاريا له أبعاده المعرفية الجليلة.

يجد القارئ لهذا البحث أنّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صـــالح وبعد أن فصّل في مختلف القضايا العلمية المتعلقـــة بـــالتراث اللغـــوي العربي في مستوياته المتنوعة، خصّص ملحقاً[4]، من ثمانية وعشـــرين

---

[1]– المرجع نفسه، ص 5.

[2]– المرجع نفسه، ص 5.

[3]– نشره بالإنجليزية في مجلة:

AppliedArabicLinguistics and Signal and Information Processing.

وقد ضمّنه كتابه: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، من ص 69 إلى ص 138 بالفرنسية.

[4]– من الصفحة 121 إلى الصفحة 136، شمل أكثر من مائتين وعشرين مفهوماً، ويصلح أن يكون هذا في حد ذاته دراسة مستقلة.

صفحة للمفاهيم العلمية العربية وشرحها وتحليلها من ذلك مثلا المفاهيم الآتية:

- أصل: AṢL[1]
- أوضاع اللغة: AÃḌ ‘ AL-LUGA[2]
- باب: BÃb[3]
- بيان: BAYÃN[4]
- إدغام: IDĠÃM[5]
- إدراج: IDRÃĠ[6]

---

[1]-AṢL : (plur. uṣül) opposé à far‘ (plur. furü‘) : Elément (ou classe), trait ou comportement de base considéré comme premier et antérieur par rapport à d’autres éléments (ses furü‘) qui en procèdent, en raison soit : de son caractère constant et invariable ou caractérisant (= capable de générer : lois, règles, schèmes générateurs) soit du fait qu’il constituent le point de départ d’une transformation (grammaticale ou sémantico-logique : racine, noyau syntaxique, axiome, etc.). Dans ce dernier cas, le aṣl est nécessairement : 1° non marqué (marque zéro : ses furü‘ en procèdent par l’ajout d’une marque : masculin → féminin, par ex.), 2° autonome : il peut se rencontrer seul (le ism dans le discours).

[2]- AWḌÃ ‘ AL-LUĠA : les items particuliers de la langue non technique opposé à : awḍã ‘ al-naḥw qui est le vocabulaire technique de la grammaire.

[3]- BÃB : ensemble ou classe structurée (en- semble des items ayant une même structure) (≠ gins, qabïl= classe simple, ex. : schème, racine, schéma de réalisation, paradigme).

[4]-BAYÃN1**:**

-acte de communication en général**.**

-communication efficace : expression claire (non ambiguë) d’où : expressivité (syn. balãġa). ‘Ilm al-Bayãn : rhétorique et plus tardivement science traitant des transfers de sens et de la comparaison **.’**

BAYÃN2**:**

Opposé à fã‘ida : information référante = simplement identifiante (≠inf. référée).

[5]-IDĠÃM : contraction de deux consonnes en une géminée avec ou sans assimilation préalable.

[6]-IDRÃĠ : intégration transitionnelle ou en chaînement cinétique (ou séquentialisation) des sons articulés dans la chaine parlée (=darğ al-kalãm).

لقد قدّم هذه المصطلحات كما تستعمل في العربية ويجريها الناطقون بالعربية في واقع الخطاب، ولذلك بعد معرفي مهم يتعلق بخصوصيات المفاهيم العربية ومصطلحاتها، فلعلّها تستعصي على الترجمة ولا يتم فهمها كما ينبغي لها أن تفهم، فاختار أن ينقلها بهذه الطريقة ليحافظ على حمولتها المعرفية في سياقاتها اللغوية ومقاماتها اللازمة. وليمكّن المتلقي الأجنبي من قراءتها والتلفّظ بها كما هي.

لقد كان يهدف الحاج صالح إلى **تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي**[1]، بغية تخليصه من التخليط الذي اتصف به بعض الدارسين له من ذلك مثلا: تقسيم المصوتات إلى قصيرة وطويلة بالاعتماد على جانب واحد فقط وهو الجانب الصوتي الفيزيائي (الأكوستيكي) دون الالتفات إلى الجانب المُحْدِث للصوت ولتسلسل الأصوات ومن ثم مفهوم المقطع.[2]

ويقدّم جملة من الاقتراحات التي توصل إليها بعد قراءة علمية جادة للسانيات الغربية وللتراث اللغوي العربي، بغية تحقيق هدفه نذكر منها:[3]

- **ضرورة الرجوع إلى ما قاله القائل نفسه؛ أي إلى نص قوله،** دون الاكتفاء بالرواية عنه مع وجود نصه.
- الرجوع إلى مصادر متعددة تنتمي كلها إلى عصر واحد، وليس منقولا بعضها عن بعض.
- ضرورة التمييز بين المصادر وما وقع الإجماع على توثيقه.

---

[1]– عنوان بحث للحاج صالح في مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد 4، 2006.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

[3]– ينظر: المرجع السابق، ص 14 وما بعدها.

- تقديم النظر في النص الأصلي على التأويلات والشروح التي تناولته.
- التصفح الكامل للنص مهما بلغ طوله.
- الاعتداد المستمر بعامل الزمان والمكان في تحـــوّل التصـــور العلمي والمفاهيم والمصطلحات من عصر لآخر.
- النظر في جميع النظريات اللســـانية الحديثـــة نظـــراً نقـــديا موضوعيا.

هذه بعض الاقتراحات العامة وقد فصّل القول فيها الحاج صالح في جلّ كتاباته اللسانية. وبخاصة في رسالته للدكتوراه حيث اتبع الطريقة نفسها في كتابة المصطلحات، والمنهج نفسه في تحديد المصطلح والمفهوم.

خلاصة:

تجلى البعد العلمي المعرفي في كتابات عبد الرحمن الحاج صـــالح اللسانية في نظرته للسانيات الحديثة، وفي نظرته للتراث اللغوي العلمي العربي الموسّعة، والمؤسَّسَة على مبدئين أساسيين في العلوم المعرفيـــة هما:

مبدأ تضافر التخصصات، ومبدأ التفكير المفهومي، والقارئ لأعماله يجد هذين المبدئين من أهم الصفات المميزة لخطابه اللساني، إلى جانب جهازه الاصطلاحي في الوصف والتحليل.

الفصل السادس:

البعد المنهجي في اللسانيات العربية

لدى عبد الرحمن الحاج صالح

يتمثل البعد المنهجي في ممارسات التحليل وطرائقه وإجراءاته التطبيقية للقضايا اللسانية المختلفة. عندما نتحدث عن البعد المنهجي في اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح فإننا سنتحدث بالضرورة عن النظرية الخليلية الحديثة. وهي نظرية لسانية عربية مثلت هدفا أساسيا دائما في كل ما كتبه الحاج صالح. بدءا برسالته في دكتوراه الدولة.

فماهي النظرية الخليلية الحديثة؟ وماهي أسسها العلمية التي استندت عليها؟ وماهي منظومتها المفاهيمية المميزة لها؟ وجهازها الاصطلاحي الواصف الناقل لها؟ وماهي إجراءاتها في التحليل ومستويات ذلك؟

سبق أن تحدثنا عن البعد الإبستمولوجي والبعد العلمي المعرفي في اللسانيات العربية، التي هي لسانيات خليلية، وفصلنا في الحديث عنهما. ونؤكد في هذا المقام أن البعد المنهجي يرتبط بهما ويتأسس عليهما، ويراعيهما في الممارسات التحليلية للغة.

1-النظرية الخليلية:

وقبل التفصيل فيها نشير إلى أن النظرية الخليلية نظرية لسانية جديدة تمثل امتدادا لنظرية النحو العربي الأصيلة.

فلقد قرأ عبد الرحمن الحاج صالح الفترة الزمنية التي سبقت **الخليل** و"**سيبويه**" على تعدد مذاهبها وتنوع مشاربها. قرأها بصبر وتبصّر ونقد. ميّز بواسطته الغث من السمين. واستأنس بآراء "**عبد الله ابن أبي إسحق الحضرمي**" (ت117ه) و"**عيسى بن عمر**" (ت149ه) و"**أبي**

عمرو بن العلاء" (ت154ه) وكان كثيرا ما يصفه بعالم الجغرافيا اللغوية وغيرهم.

ثم قرأ بعمق الفترة التي عاش فيها "**الخليل بن أحمد**"؛ ففيها تبلورت التصورات الذهنية والأفكار العميقة المتعلقة بالنحو العربي، وشهدت كثيرا من الاجتهادات من علماء مختلفين في الوصول إلى عمق التفكير النظري في النحو.

وكان "**الخليل بن أحمد**" خير من مثّل هذا النوع من التفكير بالنسبة للحاج صالح؛ فهو شيخ التراث اللغوي العربي بلا منازع.

والمتتبع لكتابات عبد الرحمن الحاج صالح؛ يجده قرأ أيضا وبتعمق أكثر، ومداومته على القراءة والاستمرار فيها لكتاب "**سيبويه**" الذي مارس حضورا لافتا في خطاب الحاج صالح اللساني.

إن ما يحسب للحاج صالح ويتفرد به عن الكثير من اللسانيين العرب من الذين قرأوا المتن النحوي العربي القديم، أنه استطاع أن يستخلص المفاهيم المتناثرة في ثنايا خطابات أعلام التراث بصفة عامة، وخطابي **الخليل**و**سيبوية** بصفة خاصة. ويقوم بتجميعها والتأليف بينها وإعادة تنظيمها في بناء نظري متماسك يستجيب لما تقتضيه الدراسة اللسانية الحديثة مثل: القابلية للصورنة والتطويع للحواسيب.[1]

[1]– ينظر: يوسف منصر: قراءة التراث في الفكر اللغوي لدى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد 25/ سنة 2017، ص 306.

ويؤكد الحاج صالح على أن«النظرية اللغوية المتماسكة... هي الغاية المنشودة التي يجب أن يحققها اللغويون الذين يتعاونون مع الحاسوبيين في العلاج الآلي للغة».[1]

ويعتقد من ناحية أخرى، أن هذه النظرية في مفاهيمها الأساسية وطرائق تحليلها موجودة في التراث اللغوي الأصيل عند **الخليل** و**سيبويه** ومن جاء بعدهما من العلماء الأجلاء ممّن شافهوا العرب الخلّص الأقحاح، ابتداء من القرن الثاني الهجري. وهي الفترة الخصبة في الفكر اللغوي العربي الأصيل المبدع.

فقد انتهت الفترة الخاصة بالفصاحة العربية العفوية بالنسبة للمدن والأمصار، نهاية القرن الثاني الهجري، وانتهت بالنسبة للبوادي نهاية القرن الرابع الهجري.

وقد قال "**ابن جني**" (ت392ه) في هذا الشأن «...وكنا في وقتنا يقصد عصره... لا نكاد نرى بدويا فصيحا، وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه وينال ويغض منه».[2]

هذا الرأي **لابن جني** مبني على المشاهدة والاستقراء والمعاينة المباشرة الميدانية للعرب كيف يتشافهون. وكيف تُبرزُ أداءاتُهم اللغة في واقع الاستعمال والسماع إلى ذلك وتدوينه ثم وصفه وتصنيفه.

ولم يفضلوا –في ذلك كما قال الحاج صالح– لهجة على لهجة أخرى، أو كيفية في الأداء على أخرى لسبب من الأسباب غير العلمية، وإنما اكتفوا بالوصف الموضوعي له كما ورد.[1]

---

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 1– 317.

[2]– ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، دار الكتاب العربي، ص 2–5.

إن السماع هنا سماع علمي مبني على منهج، وربما لذلك خصّص عبد الرحمن الحاج صالح له كتابا بأكمله هو السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة لمعالجة هذه القضايا المهمة...

وقد يقول قائل أنهم اختاروا اللغة الفصحى بناء على تفضيلهم هذا المعيار (الفصحى) وتركوا غيره.

يقول عبد الرحمن الحاج صالح:«نعم هناك أسباب دينية اجتماعية وهو الاعتناء بلغة القرآن، وهي خارجة عن العلم لأنها دوافع ولكل حركة علمية دوافع»[2]. ولا يعني هذا أنهم وقفوا من اللغة موقفا غير علمي. لأن العلم يتحدد بمقياسين اثنين هما:

«المشاهدة والاستقراء والاختيار من جهة والصياغة العقلية من جهة أخرى».[3]

وقد قام العلماء العرب القدامى بهذا الإجراء العلمي على اللغة، فلم يفاضلوا بين اللهجات ولا بين أداءات المتكلمين، بقدر ما كانوا يستحسنون منها ما استحسنته العرب. ويجرونه كما أجرّته.

ويعدُّ الاستحسان "Acceptabilité" هو المقياس الوحيد في ذلك. وأما الكيفية التي تصدر عن القليل منهم فكانت تُحفظ وتدوّن ويُنبّه على قلتها واجتناب أكثر العرب لها.[4] وتتمثل في "**الشاذ**".

ويعد هذا نظرا لغويا علميا في جمع اللغة ووصفها ودراستها قبل "**سيبويه**".

---

[1]– ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 213/2.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 213/2–214.

[3]– المرجع نفسه، ص 214/2.

[4]– المرجع السابق، ص 214/2.

وتعمّق أكثر مع **الخليل** و**سيبويه** ومن جاء بعدهما من العلماء العرب مثل: "**الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة**" (ت215ه). و"**المازني**"(ت247ه). و"**ابن السراج**" (ت316ه) و"**أبي على الفارسي**" (ت377ه) و"**الرماني علي بن عيسى**" (ت384ه) و"**الزجاجي**" (ت340ه) ثم "**ابن جني**" (ت392ه) وبعدهم بكثير "**الرضي الاستراباذي**" (ت687ه) وهو من أرصن العلماء وأكثرهم أصالة وتفردا.

يصفه الحاج صالح «**بالشاذ في عصره**» و«**خليل عصره**».[1]

وبناء على هذا فإن النظرية الخليلية الحديثة، هي نظرية لسانية عربية، انبنت على ما استخرجه صاحبها عبد الرحمن الحاج صالح من مبادئ ومفاهيم لسانية كانت مخبوءة في التراث اللغوي قبل **سيبويه**، ثم مع **الخليل** وتلميذه **سيبويه**. ومن العلماء الذين جاؤوا بعدهما إلى القرن الرابع الهجري.

وهي نظرية لسانية حديثة واصفة ناقدة لنظرية عربية قديمة هي نظرية **الخليل** و**سيبويه**، فهي –بهذا– **نظرية على نظرية** "Métathéorie"[2].

سميت النظرية الخليلية وهي لا تعني الخليل وحده، وإنما نسبت إليه لأنه هو الذي سبق غيره إلى استعمال المفاهيم الرياضية لضبط نظام اللغة. ووضع علم العروض، واقتراح الشكل ووضع الحركات على الحروف، ووضع معجم العين.

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، حوليات جامعة الجزائر، العدد6، ج1، 1992/ 1993، ص 33–41.

[2]– ينظر: الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 226.

يقول عبد الرحمن الحاج صالح:«لابد من ملاحظة هامة. فإن الخليل ليس هو وحده المسؤول عن كل ما أبدعه عباقرة العلماء الأولين، فهناك من عاصره وكان عبقريا مثله. وأذكر من هؤلاء الإمام **الشافعي محمد بن إدريس** (ت204هـ)؛ فهو في أصول الفقه بمنزلة **الخليل** في النحو وعلوم اللسان».[1]

2- المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة:

يتأسس البعد المنهجي في اللسانيات الخليلية على منظومة مفاهيمية تخصها متجذرة في فكر "**الخليل بن أحمد**" من خلال توظيف الحاج صالح **لكم مصطلحي كيفي** يميز خطابه ومن ذلك:

2-1- مفهوم الاستقامة:

تعد الاستقامة مفهوما علميا أساسيا في بناء النظرية الخليلية الحديثة، فقد عقد **سيبويه** بابا سمّاه:" **الاستقامة من الكلام والإحالة**" وصف فيه مستويات الكلام من حيث الحسن والقبح والاستحالة. وقال:«... فمنه [يقصد الكلام] مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وماهو محال كذب».[2]

فقد عرض القضية هنا ووصفها، وبيّن مستوياتها، بتقديم أمثلة موضّحة مفسرة، شارحة واصفة من أجل تفهيم المخاطب.

قال **سيبويه**:«**فأما المستقيم الحسن** فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا.

---

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 10، 1996، ص 80.

[2]- الكتاب، ص25/1، تحقيق: عبد السلام هارون.

وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره؛ مثل: أتيك غدا، وسآتيك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكَي زيدا يأتيك وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول، سوف أشرب ماء البحر أمس».[1]

يلاحظ القارئ لهذه الأمثلة التي قدمها **سيبويه**، قدرته على الاستقراء والوصف وإفهام المخاطب بالحديث إليه ومخاطبته وكأنه يراه رؤية العين المباشرة، وهو يتعامل مع السياق اللغوي الصحيح من حيث التركيب ومن حيث المعنى، أو من حيث التركيب وحده، أو من حيث الاستحالة تماما.

فقد سار **سيبويه** على أثر **الخليل** في التمييز بين السلامة اللغوية المتعلقة باللفظ والسلامة اللغوية التي يقتضيها القياس؛أي النظام العام الذي يميز لغة من لغة أخرى. والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين باللغة.

يرتبط هذا بما يستحسنه الناطقون أنفسهم من اللغة. وعلى هذا يكون التمييز هكذا:

- **المستقيم الحسن:** هو السليم في القياس والاستعمال.
- **المستقيم القبيح:** وهو القليل غير الحسن الخارج عن القياس.

[1]– الكتاب، ص 26/1، تحقيق: عبد السلام هارون.

- **المحال:** وهو السليم في القياس والاستعمال، لكنه غير سليم من حيث المعنى.

وبالتأمل الدقيق في هذه الأمثلة التي قدمها **سيبويه** وغيرها ممّا له علاقة بالموضوع، يتبين أن **سيبويه** يراعي اللغة من حيث سياقاتها البنوية التركيبية ومن حيث مقامات استعمالها في الواقع الاجتماعي ومقتضياته المتعددة. ونعد هذا نظرا تداولياتميز به كتاب **سيبويه**.

2-2- مفهوم الباب:

يتعلق باللفظ والمعنى إفرادا وتركيبا في مستويات اللغة كلها، فقد أطلق **سيبويه** هذا المفهوم على المجموعات المرتبطة من الحروف الأصلية للكلمة الثلاثية مثل:(ض.ر.ب) وغيرها.

وكذلك على مستوى أبنية الكلمة؛ أي أوزانها، والأمر نفسه بالنسبة للمستوى التركيبي، فقد ذكر أن **سيبويه** سمّى أبوابا مثل: "**باب حسبك**"[1]و"**باب لقيا وحمدا**"[2].

وإن الباب عبارة عن مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف وتجمعها بنية واحدة.[3]

إن الباب هو ماتقتضيه قسمة التركيب في كل احتمالاتها، فمثلا: باب "فَعُلَ" من تراكيب الثلاثي المجرد التي تنحصر في 12 تركيبا

---

[1]- سيبويه: الكتاب، طبعة بولاق، ص 30، نقلا عن: الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والآداب، عدد 10، 1996، ص 90.

[2]- المرجع نفسه، ص 90.

[3]- المرجع نفسه، ص 90.

تقتضيه قسمة التركيب، وهو مفهوم رياضي محض اصطلح عليه العرب بعد **سيبويه** ولم يعرفه الفلاسفة القدامى من غير العرب.

والباب بوصفه مفهوما رياضيا يعادل ما يسمى المجموعة في الرياضيات.

يمثل باب "**فِعْلَ**" مجموعة خالية. فلا يوجد أي عنصر على وزنه في الاستعمال. وباب "**فِعِلَ**" يساوي مجموعة وحيدة العنصر، فلا يوجد على وزنه إلا كلمة "إِبِلْ".[1]

تحتوي الأبواب على الضروب من الكلام أو "**النُّحُو**" بمعنى ضروب الكلام وأنواعه من حيث ميزته التركيبية كما يتصور عالم الرياضيات في زماننا. ويزيد اعتقادنا يقينا –كما يقول الأستاذ الحاج صالح– فيما يخص ماهية الباب الرياضية، وقربه من مفهوم المجموعة، استعمال النحاة لكلمة نظير وتجمع على نظائر، مع كلمة "**باب**" في كثير من النصوص.

ومن ذلك مثلا: هذا الكلام من شرح الرماني لكتاب **سيبويه**:

هو كثير	في نفسه أ	لا	جد في باب ه ونظائره ب

فالمقابلة الدلالية بين كل من "أ" و"ب" تدل على أن "ج" و"د" متكافئتان. ومن ثمّ يعرف الباب على أنه مجموعة من النظائر. فكل

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 135.

الكَلِمَ التي هي على بناء واحد تكوّن بابا. والجامع بينها هو هذا البناء الممثل بتلك الحروف الرمزية المركبة مع غيرها من الأصوات.[1]

2-3- المثال:

يعد المثال حدا صوريا إجرائيا تتحدد به العناصر وترتسم العمليات التي يتولد بها العنصر اللغوي في واقع الخطاب. إنه مفهوم رياضي محض ينطبق على جميع مستويات اللغة في أدناها، مثل مستوى الكلمة. وفي أعلاها مثل مستوى التركيب.

فمثال الكلمة«هو مجموع الحروف الأصلية والزائدة مع حركاتها وسكناتها، كل في موضعه، وهو البناء أو وزن الكلمة مثال الكلمة، وفي **مستوى اللفظة:** مجموع الكَلِمِ الأصلية والزائدة، مع مراعاة دخول الزوائد، وعدم دخولها العلامة العدمية كل في موضعه. وهو مثال اللفظة اسمية كانت أو فعلية».[2]

إن المثال هو تصوير ورسم للكلام ووحداته، وعلى هذا الأساس فهو وسيلة لتوضيح البنى اللغوية بتصويرها مجردة من جزء من الحروف التي صيغت عليها، وإظهارها مجرّدة ومن ثم تفسيرها. ويتم ذلك فيما يخص الغامض من التراكيب بإلحاقها بتركيب أوضح وإن كان لا يقوم مقامه أحيانا، في الاستعمال بالمعنى نفسه.[3]

---

[1]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 137- 138.

[2]- عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأداب، العدد 10، ص 95.

[3]-ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 280.

قال **سيبويه:**«فهذا تمثيل وإن كان لا يستعمل في الكلام كما كان "**براءة الله**" تمثيلا لـــ "**سبحان الله**" ولم تستعمل».[1]

لا يعني هذا أنّ التمثيل يخص البنى الغامضة وحدها، وإنما يتعلق بكل البنى الواضحة وغير الواضحة. وليس من عبارة في العربية إلا ولها تمثيل يضعه النحوي، ويمثل فيه كل العبارات التي تشاركها البنية أو تقاسمها التركيب.

يوضع المثال لكل ماهو على صورته. ولقد أبدع العلماء العرب طريقة علمية للتمثيل في النحو تفردوا بها تتمثل في حصر العدد الكبير من المفردات في نمط واحد يمثل لا الفئة وحدها وإنما كل البنية المشتركة بينها.[2]

ويورد عبد الرحمن الحاج صالح هذين المثالين:

- **المثال الأول:** يتعلق بعمليّتي التكافؤ والترتيب بتجريد مثال "فَعَلَ" من الكلمات: كتَب– ضرَب– عَلِمَ– حَسُن...

ويرسمه كمايلي:

---

[1]– سيبويه: الكتاب، طبعة بولاق، ص 177/1. نقلا عن: الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص280–281.

[2]–ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 281.

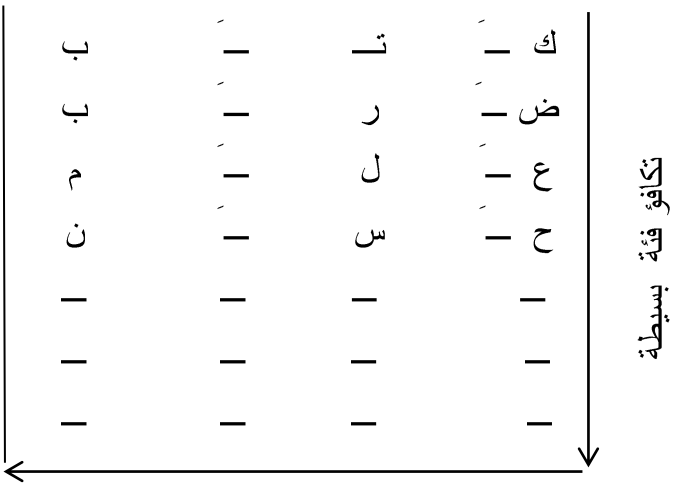

فَعَلَ: وهو نتيجة لتركيب العمليّتيْن:
التكافؤ + الترتيب

فكل حرف أصلي بتحويله إلى حرف يرمز إليه حسب المرتبة فيصير بذلك متغيرا **له موضع**. وكل ما ليس أصليا يبقى على ما كان عليه في موضعه فيصير بذلك ثابتا **له موضع**.

يعد التركيب هنا بناءً. وإن التكافؤ والترتيب يعدان محورين إحداثيين بالمفهوم الرياضي ينشأ منهما مجموعة ذات بنية.[1]

- **المثال الثاني:** يخص اسم المكان في الثلاثي

أ= مكتب ب= ملعب ج= مجلس المثال الجامع = مَفْعِل.

ورسمه كمايلي:

[1]–ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 289.

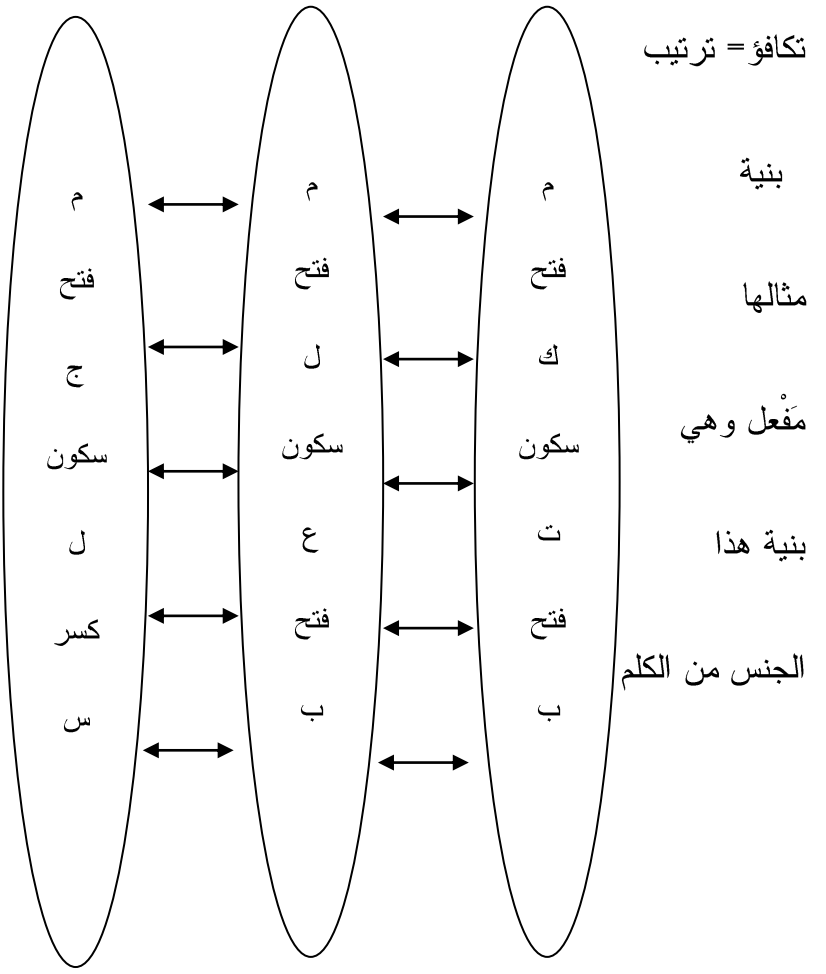

يتمثل المثال هنا في الانتماء الحاصل لكل من: مكتب وملعب ومجلس إلى جنس واحد من الكلم وهو اسم المكان من الثلاثي: كتب ولعب وجلس. وفي الوقت نفسه من تواجد عناصر مرتبة على هيئة ترتيبية واحدة. ولولا الترتيب الواحد ما كان يوجد قياس واحد. ويؤدي هذا إلى تجريد رياضي... بل إلى بنية مجردة. وهي الموجودة في مثال

الكلمة وتمثل فيها المتغيرات برموز (ف.ع.ل) والعناصر الثابتة بالبقاء على أصلها.

وأهم من كل هذا كما قال "الرضي الاستراباذي":«**كل في موضعه**»؛ لأن البنية في النحو العربي تمثل مجموعة من المواضع. ولا موضع إلا بترتيب يندمج في الفئة المثال.

هذا فيما يخص الكلم ويوجد تجريد آخر يخص مستوى آخر من الكلام هو مستوى التركيب.[1]

2-4-مفهوما الوضع والاستعمال:

مفهومان أساسيان في بناء النظرية اللغوية العربية، فالوضع هو جملة القوانين والمعايير التي اتفقت عليها الجماعة المتكلمة باللغة، وهو عبارة عن مجموعة من الدوال والمدلولات مترابط بعضها ببعض، مكوّنة بنية لغوية عامة ذات بنيات جزئية أخرى من الأصوات والصرف والنحو والمعجم؛ أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغوية وعلاقاتها الرابطة، وبين العمليات المحدثة لتلك العناصر في شكل تفريعات أو في شكل توليدي من الأصول والفروع.

وأما الاستعمال فهو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب. فيستثمر المتكلم هذا الوضع أو الأوضاع في مقامات الاستعمال الخاصة للتعبير عن المعاني والمقاصد والأغراض التي يؤمها. والتي يقتضيها المقام.

---

[1]- ينظر: لمزيد من التفاصيل والأمثلة، عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 289- 290.

ويعد هذا نظرا تداوليا للغة في التعبير عن المقاصد والتعبير عن الأغراض، وقضاء الحاجات تميزت به اللسانيات العربية منذ **الخليل** و**سيبويه** ومن قبلهما ومن جاء بعدهما. ولم يكن ملتفتا إليه في اللسانيات البنوية الوصفية منذ **دوسوسير** واتباعه إلى أن جاءت اللسانيات الاجتماعية مع "**فيرث** Furth" وتلاميذه، ثم تبلورت أكثر مع الأبحاث اللسانية التداولية**pragmatique Linguistique** بعد ذلك.

يوظف المتكلم في هذا الاستعمال المعطيات التي يوفرها الوضع ويميز فيها بين ماهو راجع إلى **القياس** وبين ماهو راجع إلى **الاستعمال.**

ويعني ذلك أنه يستعمل اللغة حسب مقتضيات أحوال الخطاب. لأن قوانين الاستعمال ليست هي قوانين الوضع أو القياس.

وكذلك يختلف اللفظ والمعنى في الوضع عنه في الاستعمال.[1]

2-5- مفهوما الأصل والفرع:

تأسيس التحليل اللغوي عند العلماء العرب القدامى على مفهومي الأصل والفرع. والتمييز بينهما.

فالأصل: ما يُبنى عليه ولا يبنى على غيره. ويمثل النواة أو العنصر الذي يستقل بنفسه ولا يتغير؛ أي إنه يوجد في الكلام وحده ولا يحتاج إلى علامة أخرى تميزه عن فروعه فله **العلامة العدمية**؛ وتعني أن الكلمة موجودة بمعناها ولكنها مختفية غائبة في مظهرها اللفظي

[1]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، عدد 4، 1974، ص 26.

المحسوس. وتظهر كذلك عند مقابلتها بغيرها في الاستبدال؛ إذ يظل موقعا فارغا يرمز له بالعلامة العدمية (Ø).[1]

وأما **الفروع** فمتغيرة متعددة يتعلق وجودها بالأصل وبصفاتها الذاتية.[2]

ويمكن الإشارة هنا إلى أن مفهومي الأصل والفرع لهما علاقة وشيجة ببقية المفاهيم، في إطار منظومة مفهومية مترابطة منسجمة في انتمائها إلى نظامها المعرفي. ومن ذلك التعالق مع **مفهوم القياس ومفهوم العامل** ومجالاته.

« **فالقياس** يحدد العلاقات الموجودة بين العناصر اللغوية، وبدونه لا يمكن للجهاز الواصف أن ينظم المواد اللغوية في أصول وفروع، حيث تتقدم الإبتسيمية المنظمة للعلوم العربية. وهي منظومة الأصل والفرع التي تعد أساس الفكر العربي الإسلامي.وبدون **العاملية** يستعصي الإمساك بالمبادئ الإبستمولوجية المستنبطة من تحليل النحاة العرب».[3]

---

[1]–ينظر: خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات،دار القصبة، 2000، ص 92.

[2]–ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية في العالم العربي في تقدم اللسانيات في العالم العربي، الرباط، 1987، ص 6. وينظر: رسالته في الدكتوراه:

Linguistique générale et linguistique arabe,Tome2, p240.

[3]– حافظ إسماعيليعليويوامحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 43. وقد أحالا إلى أحمد العلوي: الطبيعة والتمثال، ص 261.

يبين هذان المفهومان وغيرهما من المفاهيم الأخرى ذات العلاقة، بهما منطق العرب في علوم اللسان، فقد قسموا ضروب الكلام ومستوياته وعناصره إلى أصول وفروع.

وقد يكون العنصر الواحد فرعا للأصل وأصلا لعنصر آخر كما قال عبد الرحمن الحاج صالح. وهما مفهومان أساسيان في علوم العربية. فللغة عند النحاة مراتب، بعض صفاتها وعناصرها في فئة من فئاتها أو في مرتبة من مراتبها هي أسبق من الأخرى.ويورد الحاج صالح في هذا أقوال **سيبويه** شاهدا.

قال **سيبويه**:«الواحد أشد تمكنا وهو الأول»(ص2-15)« وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكر لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم يختص بعدُ... فالتذكير أول وهو أشد تمكنا... كما أن النكرة هي أشد تمكنا من المعرفة. لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرّف... فالتذكير قبل... فالأول أشد تمكنا والشيء يخرج بالتأنيث فيخرج من التذكير كما يخرج المنكور إلى المعرفة» (ص1-22-23). وقال:« النكرة أخف عليهم من المعرفة وهي أشد تمكنا لأن النكرة أول ثم يدخل عليها ما تعرّف به».(ص 1-76).[1]

والمتأمل لهذه الأقوال المهمة **لسيبويه** يجد أن الأصل عنده هو الأول وهو السابق في كل الأشياء الأخرى. وإذا أردنا أن نقف عند مفهوم "الأول" من الناحية الإبستمولوجية عند العلماء العرب النحاة وفقهاء وعلماء الكلام والفلاسفة... فإننا سنذهب بعيدا من هذه النواحي ولا داعي لذلك هنا. وإنما نركز على أن الأصل هو الذي يؤخذ منه

[1]-ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 140. ملاحظة: يستعمل الحاج صالح نسخة الكتاب، طبعة بولاق.

غيره، وهو الأقوى الذي له الأسبقية، والأشدّ تمكنا الذي يقبل الزيادة أكثر من فروعه. وهو المنطلق للزيادة التفريعية.

ومما قال **سيبويه** عن هذين المفهومين: الأصل والفرع قوله:«واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء؛ لأن الأسماء هي الأولى، وهي أشد تمكنا فمن ثمّ لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم. ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم وإلا لم يكن كلاما والاسم قد يستغني عن الفعل».[1]

« والاسم أبداله من القوة ما ليس لغيره».[2]

فقد ربط في هذا المقام بمبدأ آخر مهم في النظرية اللغوية العربية وهو **الخفة في مقابل الثقل** في أداء اللغة حسب مقامات استعمالها.

وهو أيضا نظر تداولي عميق بالمفهوم الحاضر، وبلاغي بالمفهوم القديم.

ثم إنّ قوة الاسم لا تكمن فقط في الاستغناء عن الغير، وإنما في قبوله التصرف على عدد كبير من الصيغ، وتحمّلُه الزوائد مثل: علامات الإعراب والتنوين والإضافة والوصف والألف واللام وحروف الجر، وقد ينفرد عنها كلها.

وهذا التمكن الحاصل من هذه القوة وهذا التصرف جعله "**أخف**" من الفعل الذي وإن كان يتصرف هو أيضا ويقبل الزوائد. ولكنّ الفاعل –

---

[1]– الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، ص 6/1.

[2]– المرجع نفسه، ص 304/2.

الاسم يلازمه ولو على صيغة ضمير، وهو بهذا يكون أثقل من الاسم.[1]

وقد وضح الحاج صالح أن تفريع الفروع من الأصول في النحو يتم على:

- تفريع معنوي غير لفظي.
- وتفريع لفظي ومعنوي في الوقت نفسه وهو الاشتقاق.

أما الأول: فتكون التبعية فيه غير لفظية فمثلا، أسماء الشرط وحروفها فروع على "إنْ" لثبوت "إنْ" على المجرى الكلامي وخروج غيرها إلى مجار كلامية أخرى. فأدوات الشرط ليست مأخودة من "إنْ" لفظا.

أورد الحاج صالح قول **المبرّد:**«فحرفها في الأصل "إنْ" وهذه كلها دواخل عليها». (2- 46).

وأما الصنف الثاني: ويتمثل في الاشتقاق فهو ظاهرة لغوية عامة تنطبق على وحدات اللغة كلها إلا الجامدة منها. قال **الرماني:**«الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريف الأصل».(أورده السيوطي في الأشباه والنظائر، ص 1-56). إن المبدأ في التعرّف على الأصول من الفروع هو الكشف عن الحروف الثابتة في جميع الكلّم.[2]

ومحصول الحديث من كل هذا أن **الأصل** يمثل المنطلق لعملية تحويلية أو عدة عمليات ترتب ترتيبا خاصا. وأما **الفرع** فهو ما تنتهي

---

[1]-ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 140-141.

[2]-ينظر: المرجع السابق، ص 147- 148- 149-150 إلى 154.

إليه هذه العمليات التحويلية من بنية إلى بنية أخرى. مع إمكانية رجوع الفرع إلى حالته الأولى؛ أي رد الشيء إلى أصله كما يقول النحاة.[1]

وقد بيّن الحاج صالح الأساس الذي تم استنباط الأصول بناء عليه وتمييزها من الفروع. وهو الإحصاءوسلم الكثرة.

فقد اعتنى العرب عناية كبيرة جدا بدراسة الظواهر اللغوية واستقرائها وحصرها وتحديدها وإحصائها بما يسمى حساب التعاقب.

فأحصوا الوحدات اللغوية من المفردات والصيغ والتراكيب والبنى اللغوية المختلفة. فأحصوا ما يتعلق بالمستويات اللغوية إحصاء كاملا. وكذلك ما تعلق بالنصوص؛ شعرها ونثرها، وبينوا ما احتوى عليه من أسماء وأفعال؛ وأدوات أصولا وفروعا ومعانيها المقصودة. ولم يكتفوا بذلك وإنما تتبعوا أيضا الظواهر التحويلية الرابطة للفروع بأصولها.[2]

وقد مكنتهم هذه الطريقة الميدانية من إحصاء الظواهر اللغوية وضبطها بموضوعية علمية بواسطة الوصف والاستقراء والسماع العلمي اللغوي. وبذلك ميزوا الكثير من القليل والمطّرد من الشاذ والمستعمل من المهمل والأصل من الفرع... ومختلف أضرب الكلام.

«ولا يمكن أن يخبرنا عن ذلك إلا من نزل إلى الميدان هو بنفسه وتتبع استعمال العرب لكل كيان لغوي».[3]

وتسميه التسمية اللازمة التي تعطيه هويته الاصطلاحية ومحتواه المفهومي، وتحدد وظيفته في التحليل اللغوي.

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص 155.

[2]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، ص 203.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 203.

يؤكد هذا أن العلماء العرب القدامى كانوا وصفيين في دراسة لغتهم وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

3- مستويات التحليل في النظرية الخليلية الحديثة:

تحدث عبد الرحمن الحاج صالح في مختلف مقالاته وأبحاثه وكتبه عن مستويات التحليل في النظرية الخليلية الحديثة وبخاصة في كتابه: **البنى النحوية العربية** ثم **منطق العرب في علوم اللسان**، وهي مؤسسة على المفاهيم الأصيلة بالنظر إلى المستويات أو المراتب الآتية:

المستوى 6	↑	الحديث أو الخطاب
المستوى 5	↑	أبنية الكلام (البنى التركيبة)
المستوى 4	↑	اللفظات (جمع لفظة)
المستوى 3	↑	الكلم أو الكلمات
المستوى 2	↑	الدوال
المستوى 1	↑	الحروف
المستوى 0	↑	الصفات المميزة

يشمل هذا الجدول مستويات التحليل اللساني ومراتبه في النظرية الخليلية الحديثة على مستوى الوضع من المستوى (0) إلى المستوى (5)، وعلى مستوى الاستعمال في المستوى (6) المتمثل في الحديث أو الخطاب ويقوم بدراسة النصوص والخطابات فيما يتجاوز الجملة إلى وحدة لغوية أكبر منها قابلة للتحليل.

تمثل اللفظة La lexie الوحدة الأولى التي يُنطلق منها التحليل اللغوي. واللفظة هي:«المستوى الذي تتحدد فيه الوحدة اللفظية والوحدة الإعلامية أو الإفادية».[1]

يبدأ التحليل من:

3-1- المستوى (0):

يخص الصفات المميزة المتمثلة في المخارج من الحلق إلى الشفتين والصفات مثل: الجهر والهمس والغنة وغيرهما.

ثم يندرج التحليل إلى:

3-2- المستوى (1):

كما تدل العلامة (↑) ويتمثل في الحروف. فقد اقتصرت العربية على ثمانية وعشرين حرفا وستة أصوات حركات وحروف مدّ. وتتركب الحروف من وحدات أخرى حسب مقاييس وقوانين مضبوطة لتكوّن:

3-3- المستوى (2):

المتمثل في الدوال، أو العناصر الدالة وهي أربعة:

أولا: المادة الأصلية المكوّنة من حروف المعجم مثل: (ض.ر.ب).

ثانيا: الوزن أو الصيغة المتمثلة في القوالب التي تفرع فيها المادة الأصلية.

---

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح: منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، بحث مخطوط.

وثالثا: حروف المعاني وهي جملة الأدوات التي تدخل على الاسم والفعل فتعطيهما معنى إضافيا غير المعنى الأصلي لهما.

ويعرفها عبد الرحمن الحاج صالح بأنها:«كلمة محسوسة بنيت بناء لازما وظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال، وقد يقوم بعضها مقام الأسماء والأفعال من حيث المعنى والإفادة. فتعد في أحد هذين القبيلين إلا أنها تبنى بناء لازما كالأدوات الأخرى، وذلك مثل الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول».[1]

رابعا: العلامة العدمية أو ترك العلامة كما سمّاه العرب القدامى، ويتمثل في غياب اللفظ الدال فيما يُحقّق من الكلام، وتتجلى عند مقابلة القطع اللغوية بعضها ببعض وذلك مثل:"طويل" للذكر و"كتبت" للمتكلم و"طويلة" للتأنيث و"كتب" **(Ø)** للغائب.[2]

3-4- المستوى (3):

وأما المستوى الثالث من التحليل فيبنى على المستويين السابقين ويتمثل في:

الكَلِم وتندرج فيه الأسماء والأفعال. وقد عرّف **سيبويه** الوحدات اللغوية في هذا المستوى بقوله:«فالكَلِمُ اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل».[3]

إن "**الكَلِمَ**" نوعان:

---

[1]-ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص 34.

[2]-ينظر: خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص 96.

[3]- الكتاب، ص 12/1.

متمكن: يتمثل في الأسماء والأفعال المتصرفة التي لا تحتاج إلى غيرها في الدلالة على معناها.

وغير متمكن: ويتمثل في حروف المعاني والأفعال الناقصة وغير المتصرفة والأسماءالمبنية، فالكلم المتمكنة يبتدأ بها ويتوقف عليها؛ لأنها تنفرد بنفسها في مدرج الكلام وتتركب من أصل وصيغة.

وأما غير المتمكنة فتحتاج إلى غيرها من الكَلِم وينعدم فيها الأصل والصيغة.[1]

3-5- المستوى (4):

وأما المستوى الرابع فهو الذي يخص اللفظة وينتظم انتظاما معقدا. يقول عنه عبد الرحمن الحاج صالح:«إن الكَلِمَ... لا تنتظم في الكلام على مثال الانتظام البسيط الذي يتصوره بعض اللسانيين الغربيين وأكثر النحاة العرب المتأخرين. فإنّ الوحدات في هذا المستوى ليست هي الكلم مجردة من لوازمها؛ بل هي وحدات يندمج فيها الاسم بالفعل مع ما يقترن به لزومًا من أدواتٍ مخصصة به وغير ثابتة على صورة دخول وخروج، يسمى عند نحاتنا القدامى **بالتعاقب**، بل هي وحدات مماثلة من جنسها ومستواها تخصصها على مثل ما تفعله الأدوات، إذ تقوم مقامها وتؤدي ما تؤديه. وذلك مثل: المضاف إليه والتركيب المسمى بالصلة والموصول والصفات وحتى الأبنية المسماة –من حيث الإفادة فقط– جملا».[2]

---

[1]–ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص 34 وما بعدها.

[2]– المرجع السابق، ص 35.

وعلى هذا الأساس فإن عبارات: الكتاب – كتاب التلميذ – بالكتاب – الكتاب المفيد الذي اشتراه التلميذ أمس. تعد بمنزلة الكلمة الواحدة وهي التي سمّاها الرضي الاستراباذي "**لفظة**" لا كلمة. ومن هنا اقترح الاستاذ عبد الرحمن الحاج صالح على علماء اللسان الغربيين أن تسمى Lexie لعدم وجود هذا المفهوم عندهم.[1]

تكون اللفظة بهذا عبارة عن مجموعة من الكلمات، كالاسم الواحد أو بمنزلة الاسم الواحد كما قال **سيبويه**:«فأما النعت الذي جرى مع المنعوت فقولك: مررت برجل ظريف، فصار النعت مجرورا مثل المجرور لأنه كالرسم الواحد... أما لا النافية للجنس واسمها فجعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد...».[2]

ويتم التفريق بين هذه الوحدات اللغوية وتحديدها بالانطلاق فالتحليل من منطلق موضوعي وهو عند النحاة الأقدمين:[3]

الانفصال والابتداء: بأن تكون القطعة اللغوية قابلة للانفصال عن غيرها وقابلة لأن يبتدأ بها. فقد كان النحاة ينطلقون من مقياس الانفصال بالنظر إلى المعايير الخاصة بعملية الوقف.

فالحرف من الناحية الصوتية لايمكن التلفظ به وحده بل يكون ذلك موصولا بحروف أخرى، ويرجع هذا إلى سبب فيزيولوجي؛ أي يتعلق بالجهاز الصّوتي. أمّا حصول الانفصال نفسه فلسبب آخر يعود إلى نظام اللغة وحده.

---

[1]– المرجع نفسه، ص 35.

[2]– الكتاب، ص 421– 433.

[3]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، ص 75 وما بعدها.

أما الانقطاع الذي يأتي بعد الكلمة فهو الوقف وله أحوال تخصه في العربية.

إن ما ينفصل هو أقل ما يمكن أن يفيد من الكلام؛ أي بالبحث في مجموعة الحروف دال على معنى مفيد لفائدة ولا ينفصل ما بداخله مثل: "كتاب" إجابة لمن سأل: ماهذا؟. ويعد "كتاب" في هذا الكلام كلاما مفيدا. ويوجد بين صمتين أووقفيْن. وما يحتوي عليه غير قابل للانفصال.

وهذا يدل على أنه أصغر وحدة لغوية دالة. فكل ما ينفرد يمكن أن يكون كلاما وهو بالضرورة عنصر دال واحد.

كما يمكن طرح أسئلة أخرى من مثل:

من جاء أمس؟ وتكون الإجابة: صالح أو "هو" أو "أنا"...

وهذا التنوع من الأسئلة يمكن من الحصول على أنواع عديدة من الكلام المفيد المكوّن من قطعة لغوية واحدة.

ف "صالح" أو "كتاب" من قبيل الاسم المظهر. وأما "هو" و"أنا" فمن قبيل الاسم المضمر المنفصل. والكل يندرج ضمن الاسم المنفرد بوصفه أدنى عنصرا لغويا يتم إثباته وتحديده بهذه الطريقة بالانطلاق من اللفظ وحده من لدن النحاة العرب القدامى.

فتوجد وحدات لغوية:

- يبتدأ بها ولا يوقف عليها مثل: "إلى" في "إلى القسم".
- لا يُبدأ بها ويوقف عليها مثل: "تُ" في "كتبتُ".
- يبتدأ بها ويوقف عليها مثل "رجل" جواباً على "من دخل؟".

فيوجد إذن جانبان: جانب لفظي وجانب خطابي متعلق بالإفادة في الوقت نفسه.

يقول عبد الرحمن الحاج صالح:«فهذه نقطة اللقاء لميدانيين مختلفين تماما: الوضع والخطاب. وقد اكتشف ذلك النحاة العرب واعتمدوا عليه في تحليلهم. ويكون ذلك بالبحث عن الموضوعية الحاصلة في واقع الخطاب لفظا ومعنى وإفادة،وهي وجود الأدلة على أقل ما يكون عليه الكلام المفيد».[1]

ويختلف هذا النوع من التحليل عن تحليل البنويين الغربيين بصفة خاصة، فهم يعتمدون كليا أو في معظم الأحيان على تقطيع مدرج الكلام ولا يتجاوزونه، وأداهم ذلك إلى الاكتفاء بالمورفيم باعتباره وحدة دالة. وينطلقون من الجملة ولا يستنبطونها بالوسائل الموضوعية كما عند العرب. ولذلك كان منطلقهم مجرد افتراض أن الجملة هي الموضوع والمحول (Prédicat/sujet) كما قرر ذلك **أرسطو**.[2]

وقد ظلت الجملة كما هو معلوم هي أكبر وحدة لغوية قابلة للتحليل اللساني عند اللسانيين الوصفيين إلى أن جاء **زيليغ هاريس** تلميذ **تشومسكي**. فأدرك أن الجملة ليست كافية وحدها في التحليل، ولا بد من وجود وحدة لغوية أكبر منها في التحليل سمّاها "**الملفوظ**" أو "**الخطاب**", وهو الذي يوجد بين بياضين دلاليين، أو صمتين دلاليين أو سكوتين دلاليين.

وهي نظرة جديدة للتحليل اللساني الغربي سنة 1952. وهو أوّل من استعمل مصطلح "**خطاب** Discours" وعملية التحليل سمّاها: تحليل الخطاب "Analyse de discours".

---

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص 76.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 73.

التمكن: التمكن مقياس مكمل للانفصال، والاسم المتمكن أو المتصرف، هو الذي يقبل أن يتصرف في ذاته بوصفه كلمة فيكون جَمعاً وتصغيرا. ويحتمل الزيادة يميناً ويسارا، أو زيادة قبلية وزيادة بعدية. فيشكل بذلك وحدة لغوية تسمى لفظة اسمية أو لفظة فعلية.

والزيادة «هي التي تختص بالدخول على الاسم والفعل في موضع معين وهو أوله لا تتعداه غالبا. كما يمكن أن تخرج كعنصر زائد دون أن يقع أي خلل باللفظة... وكذلك هي الزوائد التي هي تمام "الاسم" أو "من الاسم". فكل الزوائد تأتي للدلالة على معنى زائد على معنى الاسم مثل: التعريف والوصف وغير ذلك فوظيفتها الدلالية العامة هي التخصيص».[1]

إن اللفظة نوعان: لفظة اسمية ولفظة فعلية.

أما اللفظة الاسمية فهذا حدّها كما بينه الحاج صالح في هذا الرسم[2]:

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، ص 83– 84.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 89.

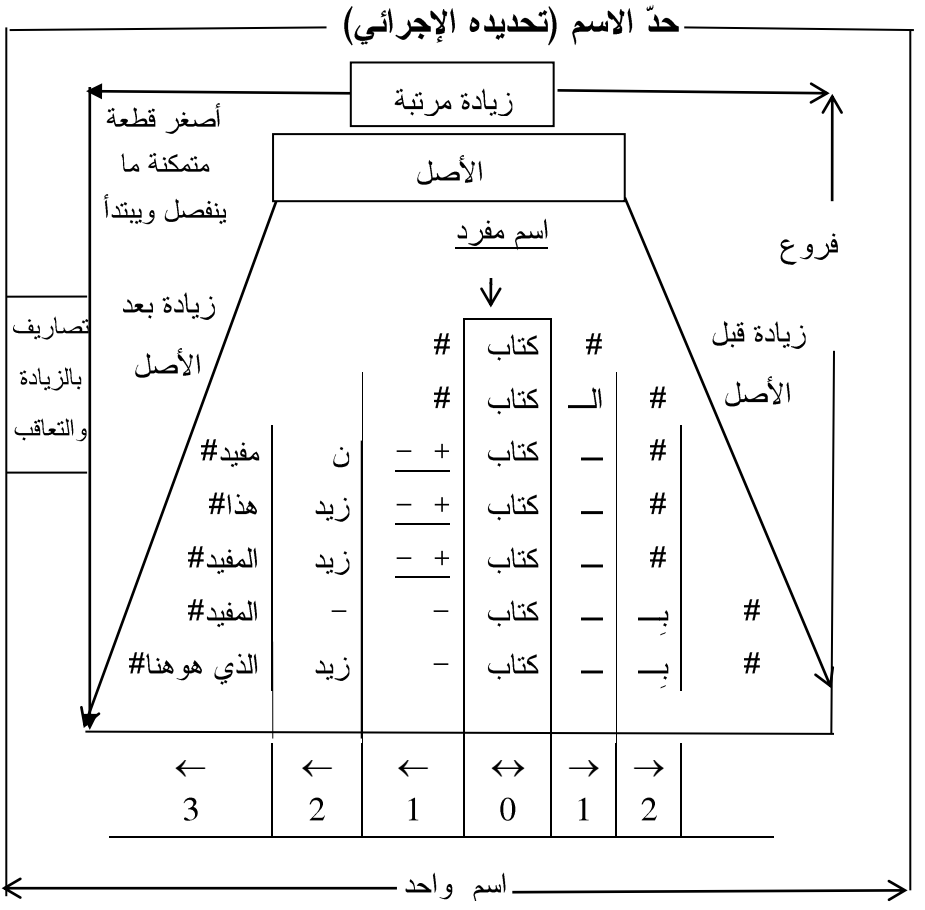

يمثل هذا الرسم كيانا صوريا مكوّنا من بنية لمجموعة تصاريف بالمعنى الرياضي، فالزيادة عموديا تؤدي أفقيا إلى توليد عبارة جديدة ويعد تفريعاً بهذا الاعتبار. وإجراء كمثل الإجراءات التي يتحول بها الأصل إلى الفرع الذي بعده ومنه إلى ما بعده. وهي عملية زيادة تمس الفروع قبل الأصل وبعده، أو على يمينه وعلى يساره.

تمثل العلامة (0↔) الأصل. وتمثل العلامة (2→، 1→) زيادة قبل الأصل على اليمين. وتمثل العلامة (1← 2← 3←) زيادة بعد الأصل على اليسار.[1]

وأما اللفظة الفعلية فلها هي أيضا قيمتها في نظام اللغة، ولا يستغني عنها الاسم؛ وإنما الفعل دليل وركن في نظام اللغة شأنه شأن الاسم. وتكون اللفظة الفعلية على ثلاث حدود هي:

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص 89. لمزيد من التفاصيل.

حدا الفعل الماضي وهو الذي يظهره الرسم الآتي:[1]

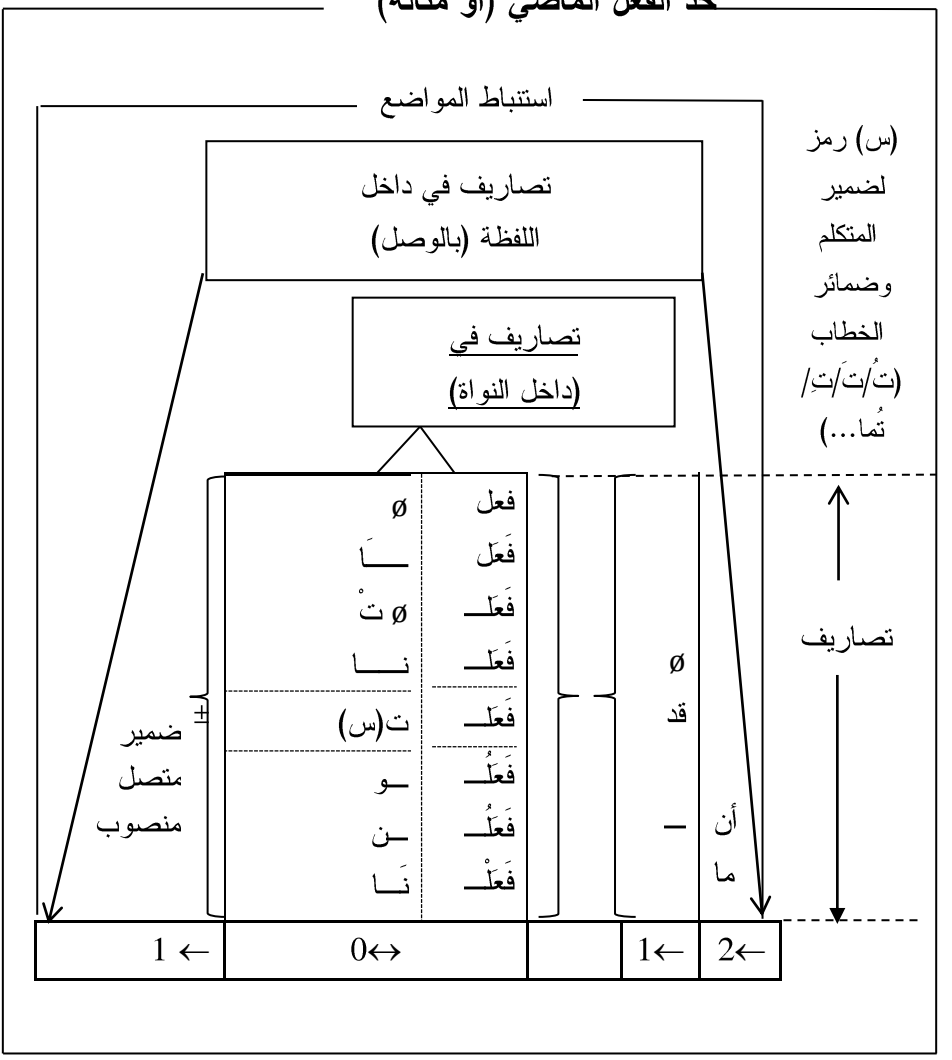

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص 100. مع الملاحظة أن هذه الرسوم لحد اللفظة الاسمية والفعلية تتكرر في معظم كتاباته المتعلقة بالنظرية الخليلية.

وحدّ الفعل المضارع ويمثله الرسم الآتي:

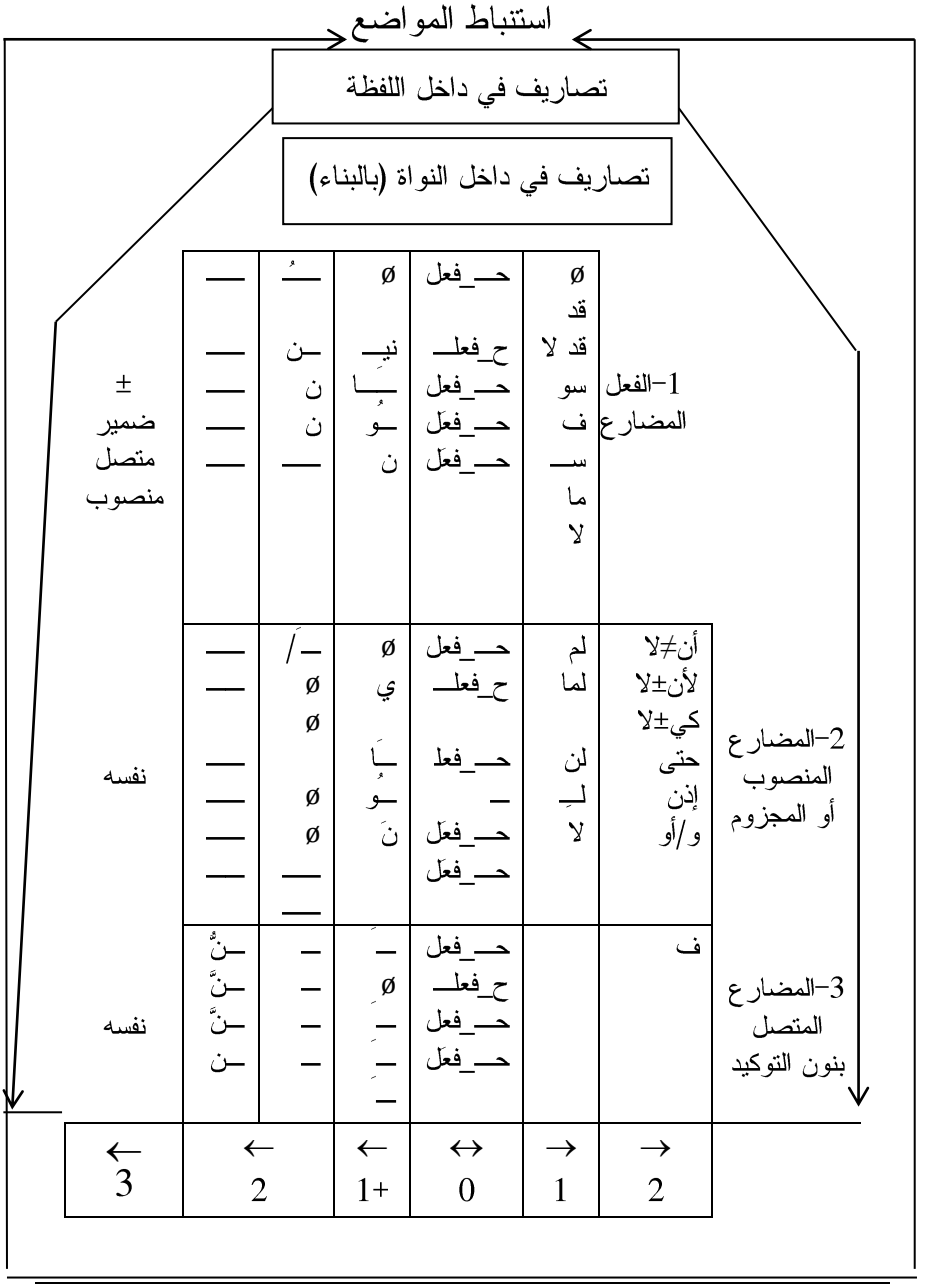

حدّ فعل الأمر

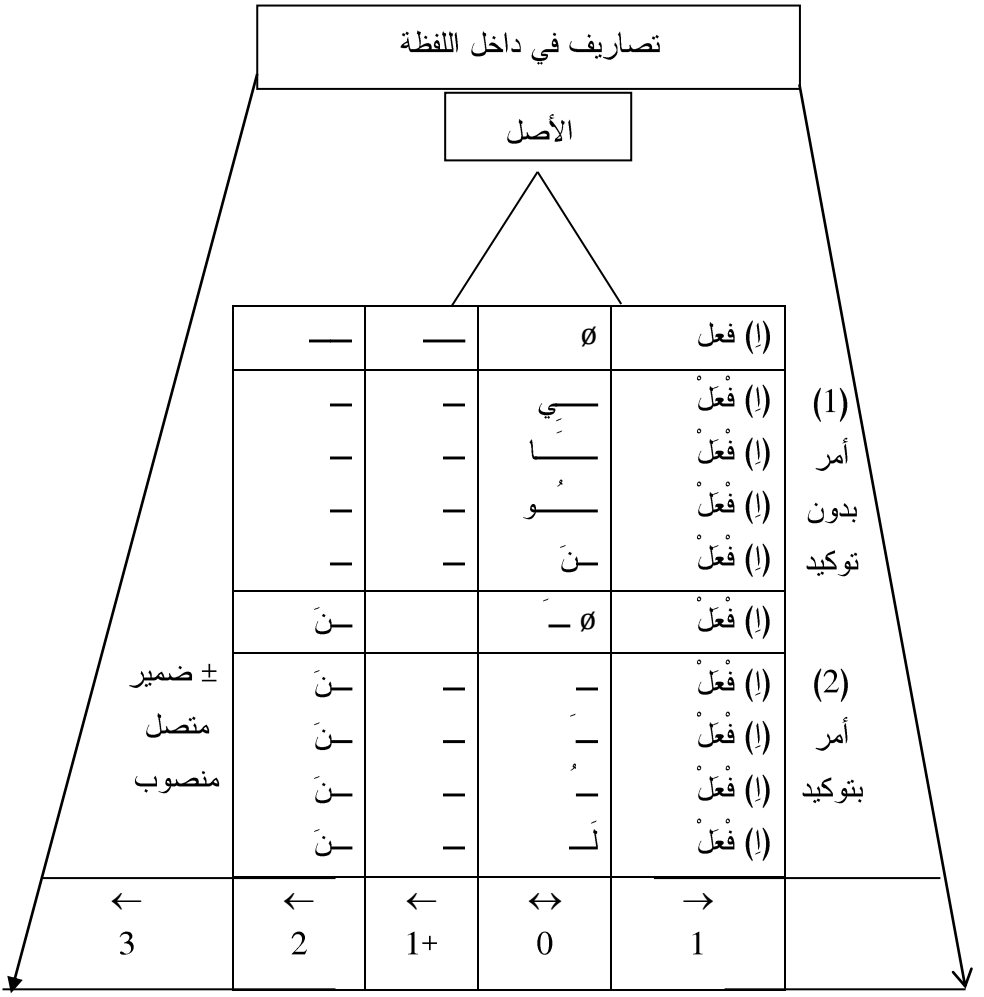

يلاحظ المتأمل لهذه الحدود الثلاثة أن حدّ الفعل المضارع أوسع وأكثر تصرفا من الحدّين الماضي والأمر وهي: التي تجمعها العبارة "أنيت"؛ أي الهمزة والنون والياء والتاء. كما يتميز عنهما بحد الإعراب؛ فهو مُعْرَبٌ وهما مبنيان. وكذلك نون التوكيد الثقيلة والساكنة.

كما تدخل على المضارع مجموعة أخرى واسعة تؤثر فيه لفظاً ومعنًى. فتنصبه أو تجزمه وهي: "لم" تجزمه وتنفيه وتقلب معناه إلى الزماني الماضي.

وكذلك "لمّا" مع زيادة تقريب النفي إلى الحاضر. و"لن" النفي المستقبل.

و"اللام" التي تجعل المضارع يدل على الأمر الموجّه لغير المخاطب. ثم الأمر بـــ "لا" الناهية.[1]

يتعلق كل هذا بمستوى اللفظة والمستوى الإفرادي كما قال الحاج صالح وهي فياللسانيات الغربية : الـــ "Syntax" في مقابل الـــ: "Morphologia" ولا علم **لهم بمستوى اللفظة العربي الأصيل.**

وقد اقترح أيضا أن نسمي الكلام من حيث هو بنية **بالوحدة التركيبية** مقابل **الوحدة الإفرادية أو اللفظة. والوحدة الخطابية** على الكلام من حيث هو تواصل وتبليغ؛ لأن الجملة لا تكون مفيدة إلا في الخطاب.[2]

3-6- المستوى (5):

المستوى المتعلق بأبنية الكلام، يأتي هذا المستوى بعد مستوى اللفظة ويخص التراكيب والجمل، ويبحث عن المثال المجرد الذي يبنى

---

[1]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، ص 105-106. وأشير إلى ضرورة قراءة هذا الكتاب لما احتواه من تفاصيل وأمثلة وشواهد مفيدة.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 122.

عليه أقل الكلام المركّب، وذلك بحمل الكلام على آخر من جنسه[1]. بمعنى أن الانطلاق في عملية التحليل اللغوي تتم من أقل ما يمكن أن يتكلم به في ما فوق اللفظة. لاكتشاف البناء أو الأصل؛ بل«يتجاوز ذلك إلى مستوى أكثر تجريدا وهو **مستوى العامل** اللغوي الذي يتحكم في التركيب يعمل فيه الرفع والنصب، فهو الذي يحدد العلامات الإعرابية في التركيب».[2]

ويؤكد عبد الرحمن الحاج صالح على أن **مفهوم المثال** على مستوى الكلمة؛ أي مثال الكلمة, ومستوى اللفظة (مثال اللفظة)، وكذلك المثال في مستوى التركيب الخاص ببنية الجملة من الناحية الصورية لا المعنوية هو مفهوم عربي أصيل تميز به النحاة العرب الأولون.

وأنّ الترتيبات المكوّنة للجملة: (فعل + فاعل + مفعول)، أو (مبتدأ + صفة + خبر + صفة) وغير ذلك. لم ينتبه إليها اللسانيونالبنويون فطغى عليهم التفكيك إلى مكوّنات متداخل بعضها ببعض وتصوروا كل شيء تقطيعا.

أما البنيويون الوظيفيون مثل "**مارتيني**" فجعل المستوى التركيبي مجرد تكريب للمونيمات (وهي المورفيمات عند غيرهم؛ أي الدوال) وقد صنف ذلك إلى عناصر تستقل وأخرى لا تستقل وعناصر وظيفية وكل جمل تتركب بهذه الكيفيات بالنسبة إليه. بخلاف النحاة العرب الذين

---

[1]– تختلف أبنية الكلام عن أبنية الكَلِم التي تخص الأوزان التي تتفرع فيها المفردات مثل: فَعَلَ بالنسبة لـــ "كتب"... بينما أبنية الكلام هي القوالب التي تفرغ فيها الكلمات لتكوّن وحدات التركيب تسمى جملا.

[2]– خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 100.

لم ينطلقوا من العنصر الدال (المورفيم) على أنه وحدة التحليل التي تتركب منها الجملة كما فعل "**مارتيني**".

ولم ينطلقوا من الكلمة (في مفهومهم) ولم ينطلقوا من اللفظة كما تصوروها. وإنما انطلقوا من وحدة لغوية مجردة وهي أقل ما يمكن أن ينطق به من الكلام المفيد، مما أكثر من اللفظة.

وذلك مثل: "**زيد منطلق**" فقد يأتي بوصفه كلاماً مفيداً، ويتألف من لفظتين ثم يختبرون هذا التركيب بزيادة ما يمكن زيادته مع بقاء "**النواة**" وذلك مثل:

Ø	زيد	منطلق
إن	زيدا	منطلق
كان	زيد	منطلقا
حسبتُ	زيدا	منطلقا
أعلمت خالدا	زيدا	منطلق [1]

يظهر من هذا المثال أن هناك زوائد مؤثرة على الوحدة التركيبية من حيث اللفظة والدلالة على ما تدخل عليه باختلاف الإعراب الخاص باللفظ والمعاني الزائدة غير الموجودة في النواة.

وتسمى هذا الزيادة المؤثرة عاملا وما تؤثر فيه معمولا. وأنّ المعمول لا يمكن أن يتقدم عن عامله.

يقول عبد الرحمن الحاج صالح موجزا أبنية الكلام في العربية:

«إن أصغر ما يبنى عليه الكلام يتكوّن دائما من عامل (ع) ومعمول (م1) ثم معمول ثان (م2) ويكونّ العامل مع معموله زوجاً مرتبا

[1]-ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، عدد4، 2007، ص 80.

بالتعبير الرياضي»[1]. وأما الأصل الذي لا زيادة فيه فهو الخلو من العامل؛ أي العلامة العدمية (Ø). ويسميه العلماء العرب القدامى **الابتداء**. ويعد عنصرا مهما جدا في بناء النظرية اللغوية العربية في منظومته المفاهيمية التي تخصه.

ويمكن الإشارة إلى أن العامل قد يكون كلمة واحدة (ولا يكون مورفيمها مركبا في كلمة أبدا) كما ذهب "**مارتيني**" مثل: "إنّ" و"كان" وقد يكون لفظة مثل: "حسبت". كما يكون تركيبا بأكمله مثل: "أعلمتُ خالدا". وقد تظهر معمولات أخرى في شكل زوائد تدخل وتخرج في مستوى اللفظة؛ تؤدي وظيفة التخصيص من حيث الدلالة، وهي جميع المفاعيل (إلا المفعول به فهو معمول ثان دائما) والحال والتمييز وغير ذلك مما لا يدخل في الوحدة التركيبية الصغرى.

ورمز الحاج صالح إلى هذا كمايلي:

←[(ع م1)# م2] # خ

وتشمل هذه الصيغة كل البنى التركيبية التي يحتملها القياس.

ع = العامل، م1 = المعمول الأول، م2 = المعمول الثاني،خ = المخصص، الترتيب الواجب، القوسان () يجمعان الزوج المرتّب، والمعقوفتان [] للوحدة التركيبية الصغرى.[2]

كما يتضح من كل هذا الوظيفة التي يؤديها العامل بوصفه محورا تنتظم فيه كل العناصر اللغوية الأخرى.

وقد تميز النحو السيبويهي كما قال أحمد العلوي:

---

[1]–ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، عدد1، 2002، ص 26.

[2]–ينظر: المرجع السابق، ص 81– 82.

«بقيامه على التمكن العاملي، فقد بلغت البنية العاملية حدا جعل البينات الأخرى المقولية والصرفية والمعجمية لا تمثل إلا معالم في المرور من الشكل المجرد إلى أصناف القول (...) فلا شيء ينفلت من قبضة التعريف العاملي حيث يصنف العناصر بواسطة مقولات أولية مستخلصة مباشرة من ملاحظة قوانين التغير اللغوي. فالبنية العاملية توفر عند مراعاتها إمكانيات العناصر اللغوية في قوائم تبعا لخصائصها العاملية التي تكتسبها داخل الخطاب...».[1]

وهكذا فإن النحو العربي؛ نحو **الخليل** و**سيبويه** ومن سبقهما ومن جاء بعدهما إلى القرن الرابع الهجري هو نحو تصنيفي قائم على الاستقراء والوصف وبناء المفاهيم من الناحية المعرفية، تمثل فيه نظرية العامل حركية فاعلة في الخطاب ولاشيء ينفلت من قبضتها.

3-7 المستوى (6):

المستوى المتعلق بالحديث أو الخطاب، يعد آخر مستوى من مستويات التحليل اللساني في النظرية الخليلية الحديثة، يتعلق بالحديث أوالخطاب. يتجاوز الوضع إلى الاستعمال؛ فقد كان **للخليل** و**سيبويه** والعلماء العرب الذين جاءوا بعدهما نظرية لغوية متميزة نظروا بواسطتها إلى اللغة كخطاب، وإليها كوضع أو بنية لسانية محددة.

ومن بين أهم المبادئ التي بنيت عليها هذه النظرية النظر إلى اللغة من الناحية الوظيفية، وهو الإعلام والمخاطبة، وتبليغ الأغراض والتواصل بين المتكلمين.

---

[1]-نقلا عن: حافظ إسماعيل علوي، ومحمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 220.

والنظر إليها من الناحية الشكلية الصورية؛ أي«ما يتعلق باللفظ في حد ذاته وصيغته بقطع النظر عمّا يؤديه في الخطاب غير الدلالة اللفظية».[1]

فتوجد بناء على هذا دلالة اللفظ La Dénotation؛ أي الدلالة الوضعية وما يميزها من تقرير ومباشرة.

ودلالة المعنى La Connotation؛ أي الدلالة المتعلقة بالاستعمال الخاص باللغة ومقتضياتها وما يميزها من إيحاء ومجاز.

ويلاحظ القارئ لكتاب سيبويه أنه كتاب في علوم اللسان وتحليل الخطاب لما تضمنه من قضايا لغوية مختلفة على مستوى البنية وعلى مستوى الخطاب. ونظر إلى اللغة بوصفها بنية لغوية صورية شكلية تظهر في مقام استعمال لغوي محدد في قلب الحياة الاجتماعية.

وبذلك فإن كتاب سيبويه يتجاوز كونه كتاباً في النحو إلى كتاب في علم العربية بالمعنى الشامل لعلم العربية. وهو –بذلك– أساس اللسانيات العربية.

ولقد خصّص الحاج صالح لهذه القضية كتابا كاملا هو: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية[2]. عالج فيه قضايا مهمّة في التحليل اللساني للخطاب عند العلماء العرب القدامى: **الخليل** و**سيبويه** و**الفارابي**، و**عبد القاهر** و**السكاكي** و**ابن جني** وغير ذلك.

ويناقش مفاهيم عديدة مثل: مفهوم الوضع اللغوي عند النحاة وعلماء الأصول والمتكلمين والفلاسفة. ومفهوم الاستعمال عالج فيه الكلام ومكوّناته الخطابية وظواهر التخاطب واعتداد النحاة بها وبمكوّناتها.

---

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، ص 102.

[2]– منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سلسلة علوم اللسان 3.

والتخاطب من حيث أوصافه وعوامل حصوله وعناصره من متكلم وخطاب ومخاطب سامع/متلق للخطاب،وتوجهات كل من المتكلم والمخاطب. وكذا دورة التخاطب وظواهره المؤثرة مثل: التشويش Bruit، مشيرا إلى القرائن المقالية المتعلقة بالسياق اللغوي والقرائن الحالية المتعلقة بالمقام الذي يحدث فيه الخطاب وملابساته عند العلماء العرب القدامى، ومحاولة مقارنته بماهو عليه في اللسانيات وتحليل الخطاب عند الدارسين المحدثين. موضحا التطورات التي عرفتها مفاهيم تحليل الخطاب عبر الزمان.

كما عالج في هذا الكتاب المهم: الخبر والإنشاء كمعان للكلام وكأفعال للمتكلم في كلامه وبكلامه. مبينا الإضافة العلمية التي قدمها الفلاسفة العرب إلى دراسة الخطاب. مركزا على نظرية الخطاب العربية، مقارنا إياها بالنظريات الغربية الحديثة من ذلك مثلا: بعض المفاهيم الأساسية التي تطرق إليها العرب، واعتبروها أساسا قامت عليه نظريتهم اللغوية مثل: مفهوم اللغة والوضع والاستعمال عندهم مقابل اللغة واللسان والكلام عند **دوسوسير**وصولا إلى النظريات التداولية في تحليل الخطاب وتنوعاتها، ومقارنتها بالنظرية البلاغية العربية المؤسسة على:«التمييز بين اللغة وبين كيفية استعمالها في التخاطب. وهو تمييز حاسم وعميق؛ لأنه يخص ماهية اللغة في حد ذاتها والدور الذي تقوم به كلغة من جهة وكيفية استعمال الناطقين لها وهو الكلام أو الخطاب من جهة أخرى».[1]

[1]– عبد الرحمن الحاج صالح: نظرية الخطاب والتخاطب، ص 8.

تتمثل الدعامة المعرفية للنظر التداولي في اللسانيات الخليلية في أن اللغة وضع واستعمال؛ أي بينهما علاقة وطيدة لابد من مراعاتها في التحليل وأخذها بعين الاعتبار ولكن دون الخلط بين المستويين، ولذلك قالت العرب: اللغة وضع واستعمال.

أما النظرية الغربية فتقوم على الفصل بين المفهومين، بل إنّ الغربيين لم يكونوا مهتمين بالمعاني وبتوظيف اللغة في مقامات استعمالها بكيفية صريحة إلا في زمن المتأخرين مع علماء اللسانيات الاجتماعية مثل **فيرث** Furth وتلاميذه وبخاصة **هاليداي وهايمس** ومن جاء بعدهم من الباحثين في علوم المعرفةLes sciences cognitives من تلاميذ تشومسكي مثل: جاكندوف، ولايكوف، وجونسن وفوكونييه... وغيرهم.

ولكنّ هذه المسألة المهمة كانت واضحة عند العرب القدامى بدءا بحديث **سيبويه** عن الكلام المستغني الذي يحسن السكوت عليه.

فذلك السكوت مرتبط بالإفادة؛ أي إفادة المخاطب بما يجهله، بماهو جديد عليه ولا يدخل في علمه.

تكمن قيمة هذا الكتاب للحاج صالح: نظرية الخطاب والتخاطب... في كونه شرّع بابا على التراث العلمي اللغوي العربي بتضافره مع سلسلة الكتب التي ينتمي إليها: السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة، ومنطق العرب في علوم اللسان، والبنى النحوية العربية، للبحث العلمي الموضوعي في النظرية اللغوية العربية في جانبها الشكلي الصوري، وفي جانبها الإعلامي الإفادي الخطابي.

ولذلك فهو كتاب جدير بالقراءة الكاشفة عن محتوياته المعرفية، وقيمته العلمية وبخاصة ما تعلق بظواهر التخاطب والتداول كما عالجها.

نسجل في هذا المقام الدراسة المهمة التي قدمها **نعمان بوقرة** المؤسسة على هذا الكتاب وعنوانها: **أضواء على تداوليات الخطاب عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في ضوء النظرية الخليلية الحديثة.**[1]

ونذكر أيضا الدراسة التي قدمها **عبد القادر هني** بعنوان: **التواصل اللغوي عند العرب القدامى قراءة في كتاب: الخطاب والتخاطب للأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح.**[2]

خلاصة:

نستخلص من دراستنا للبعد المنهجي في اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاد صالح، أنه أسسه على منظومة مفهومية لغوية تراثية يمكن أن نصنفها بـــ "**الأصالية**" الصميم. فللرجل قدرة على التأصيل عجيبة للمفاهيم والمصطلحات والنظريات، والرجوع بها إلى منابعها الفكرية الأصلية/الأصالية Authenticité، وكيف تمت أجرأتها؛ أي جعلها إجرائية. ولا ولن يتأتى هذا إلا لعالم ملم بعلوم العربية وعلوم اللسان الحديثة في الوقت نفسه. وهو الذي ميز الحاج صالح في كتاباته اللسانية، وفي تأسيسه حقيقة للسانيات العربية مفهوما وموضوعا ومنهجا وإجراء تطبيقيا وتوظيفا على اللغة العربية.

---

[1]– مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 25، سنة 2017.

[2]– المرجع السابق.

الفصل السابع:
البعد الوظيفي الاستثماري
في اللسانيات العربية
لدى عبد الرحمن الحاج صالح

نخصص هذا الفصل للبعد الوظيفي الاستثماري في النظرية الخليلية الحديثة، ويتكامل مع البعد الإبستمولوجي والبعد العلمي المعرفي والبعد المنهجي الإجرائي.

كان الهدف الأول لبعد الرحمن الحاج صالح هو تأسيس نظرية لسانية عربية لها هويتها وأصالتها ومبادئها ومفاهيمها وأهدافها وحدودها في خريطة المعرفة اللسانية.

وكان له هدف سام آخر هو خدمة اللغة العربية بتوظيف هذه النظرية في حقول معرفية أخرى مثل:

تعليمية اللغة العربية واللغة العربية والحاسوب وعلم المصطلح والصناعة المعجمية والذخيرة اللغوية العربية. تجلى ذلك في كثير من المقالات والأبحاث والمحاضرات والدروس التي قدمها في كثير من الجامعات الجزائرية والعربية وحتى بعض الجامعات الأجنبية. نذكر منها:

1- الميدان التطبيقي الأول:في مجال تعليمية اللغة العربية:

- أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، وقد نشره في مجلة اللسانيات، عدد 4 سنة 1974.
- اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1992.
- في البحث اللغوي وأصالة الفكر اللغوي، نشره في مجلة الثقافة، الصادرة عن وزارة الثقافة والإعلام بالجزائر، عدد 26، سنة 1975.

- الكتابة العربية ومشكلاتها، منشور في مجلة الثقافة، عدد 17، سنة 1973.
- الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، ألقي في ندوة اتحاد الجامعات العربية في الجزائر، سنة 1984.
- الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي[1]. ألقي في ندوة بناء المناهج التعليمية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، سنة 1985، ونشر بمجلة التربية **(الأليسكو)** سنة 1985.
- علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي. ألقى هذا البحث في ندوة قضايا تعليم العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالجزائر سنة 1990.
- التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية. نشر في مجلة "المبرّز"، عدد 6 الجزائر، سنة 1995.
- حركة التعريب في النظام التعليمي الجزائري. ألقي بطلب من وزير التعليم العالي سنة 1988.

هذه بعض الأبحاث التي كتبها عبد الرحمن الحاج صالح فيما يخص:تعليمية اللغة العربية.ومثلما كانت له نظرة علمية تميزه في اللسانيات كانت له نظرة أخرى مماثلة في تعليمية اللغة العربية.

---

[1]– فسّر أحد النبهاء!! مفهوم التعليم ما قبل الجامعي بأنه حط من قيمة التعليم العام. وأن استعمال هذا المصطلح يوحي بالتكبر والتعالي. وهو إذ يؤكد نباهته فإنه لم يدرك أنه مصطلح مستعمل في سياقه ومقامه ليدل دلالات جديدة، لم يدركها هنا النبيه جدا. حدث هذا في مناقشة أطروحة دكتوراه كان فيها هذا النبيه عضوا مناقشا.

باستثمار ما وفرته اللسانيات الخليلية الحديثة من معطيات علمية وبيداغوجية.

إذ تعد التعليمية La didactique الميدان الثري الخصب الأول الذي يوظف فيه مقولات النظرية الخليلية ومعطياتها العلمية.

وكما نلاحظ فإن كل الأبحاث التي كتبها في هذا المجال على درجة كبيرة من الأهمية في معالجتها لقضايا تعليم اللغة العربية مثل:

المشافهة والتحرير؛ أي التخاطب الشفوي والفرق بينه وبين مقتضيات التحرير الكتابي. وكلاهما له قيمته العلمية والبيداغوجية في تدريس اللغة العربية.

إن اللغة وضع واستعمال؛ أي نظام من الأدلة بغرض التبليغ والتعبير عن المقاصد والأغراض، واستثمار فعلي لهذا النظام في واقع الخطاب.

وهذا قد أدركه العلماء العرب القدامى وعالجوه بكفاية ودراية. وأعطوا للمشافهة حقها في الاستعمال حسب المقامات التي تقتضيها في قلب الحياة الاجتماعية وما يميزها من ممارسات مختلفة لأنشطة الحياة المتعددة.

وأعطوا للكتابة حقها في المقامات التيتقتضي التدوين ومن ثمة الحفظ والنقل عبر الزمان والمكان؛ فهي الحامل الناقل لأدلة الوعي في الإنسان والأمة.أي أن العلماء العرب القدامى قد فرقوا بين **مقامات الأنس** وما تحتاجه من خفة واختصار وحذف... وجريان عفوي على اللسان في التعبير عن المقصد، وقضاء الحاجات اليومية من خطاب جارٍ متداول.

ومقامات الإجلال والانقباض والتكلف والمراجعة التي تقتضيها الكتابة.

ولكن هذا الاهتمام تم تناسيه في وقتنا فجار الاهتمام بالتحرير المكتوب على الشفهي المنطوق. وأعطيت له الأولوية في العملية التعليمية.

وهذا أدى إلى حرمان العربية من أداء الوظائف الحيوية في المجتمع مثل: الصحة والسياحة والإدارة والمواصلات... وما يحتاجه النشاط الإنساني من خدمة لغوية. بل له تأثيراته حتى على السيادة.

وكذلك البحث اللغوي المتعلق بأصالة الفكر العربي. وهو موضوع جد خطير –كما عبّر عنه الحاج صالح–عالج فيه **اللغة من منظور اجتماعي–ثقافي**؛ إن الخصائص الدلالية التي توازيها خصائص فكرية وعقلية واجتماعية تتميز بها أمة من أمم أخرى. موضّحا تأثيرات المنشأ اللغوي في بناء التصورات وتشكيل المفاهيم وصياغة المصطلحات.[1]

ولهذا أهميته في بناء المقررات والمناهج التعليمية في المراحل التعليمية المختلفة. ومراعاته في لغة التدريس وكيفية إيصالها إلى المتعلمين من حيث المشافهة وطرائق الأداء. ومن حيث الكتابة كذلك وما تقتضيانه من صرامة علمية ومنهجية.

إن كل ذلك مرتبط بالوعي العميق بالأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة ما قبل الجامعي والجامعي،

[1]– ينظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية (1)، ص 122 وما بعدها.

وإدراك الواقع الذي هو عليه من جوانبه المتعددة: اللغوية والتربوية والمنهجية.

ومن حيث جانبه النظري والتطبيقي الإجرائي والدور الذي يمكن أن يؤديه علم تدريس اللغات (تعليمية اللغات) La didactique de langues في تطوير تدريس اللغة العربية وترقيته، والعمل على النهوض باللغة العربية لتؤدي وظائفها في القطاعات الحيوية: الاجتماعية والاقتصادية وتخريج الإطار المستقبلي المنشود لأداء تلك الوظائف باقتدار . وهو الهدف الذي تلتقي عنده كل الأبحاث التي كتبها عبد الرحمن الحاج صالح في هذا المقام.

ولكنّ أهم بحث في نظري، هو:

"**أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية**".

وهو بحث يعد مرجعا أساسيا جاريا في كثير من الأبحاث والمؤلفات التي نقرأها بين الحين والآخر لكتّابٍ ومؤلفين داخل الوطن وخارجه. فقد عالج فيه علم اللسان وصناعة تعليم اللغات: اختلاف أهدافهما ومسالكهما.

والقوانين العامة التي أثبتتها اللسانيات مما لا يجوز للمربي أو مدرس اللغة جهله.

واللسانيات التربوية كبحث تطبيقي لعلمي اللسان والتربية.

توجد مشاكل عديدة كثيرة ومتنوعة تعانيها بلداننا العربية في الترقية العلمية والثقافية بصفة خاصة. ومنها قضايا تعليم العربية.

ويرتبط ذلك بالظروف المزرية التي ورثناها عن الاستعمار الذي مارس فينا وعلينا الإفقار والتجهيل ومحاربة العربية أينما حلت وارتحلت في وطنها.

«ومن ثَمَّ صعب علينا أن نتدارك ما فاتنا. بل قد استحال علينا في أحيان كثيرة أن نلتحق بالركب الحضاري والنهضة العلمية والتكنولوجية الحديثة».[1]

بالنظر إلى ما حققته البلدان الغربية من تطور واضح في هذاالمجال، الأمر الذي يحتم علينا كثيرا من الاجتهاد وبذل كثير من الجهد لفهم تلك النظريات وإدراك مفاهيمها والبيئة المعرفية التي نشأت فيها والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي ساعدت على ذلك، والخلفيات المعرفية التي أطرتها.

إن البحث اللساني باعتباره ظاهرة طبيعية لها قوانينها الخاصة، وبنية محددة قد حظي بالدراسة لدى كثير من الأمم كما يبينه تاريخه من الهنود واليونان والعرب والأوربيين.

وهذا يؤكد قيمته المعرفية وأهميته العلمية، إذا وجد من يوظفه ويحسن التدبير فيه في ميدان **صناعة تعليم اللغات.**

إن المعلومات اللغوية نوعان – كما قال عبدالرحمن الحاج صالح.

يخص النوع الأول: (المتكلم كمتكلم، والمخاطب كمخاطب) مما يرجع إلى الملكة اللغوية La compétence linguistique التي يكتسبها الإنسان. ويتمكن بواسطتها من التواصل مع غيره بالخطاب على الوضع اللغوي الذي بنيت عليه لغته (Le code). فكل متكلم له من الاستعدادات الفطرية أو الجِبِلّة التي تمكنه من اكتساب الأوضاع التبليغية المختلفة.

وتتكون تلك الملكة من معلومات لاشعورية من قبيل الموجود بالقوة أو من قبيل الفعل المحكم كما قال العرب القدامى، إذ يعادل الموجود

[1]–ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 173.

بالقوة الملكة التي ولد الإنسان مزودا بها. ويعادل الفعل المحكم ما ينجزه في واقع الاستعمال.

إن معرفة المتخاطبين لأوضاع اللغة هي معرفة علمية نظرية، ارتسمت أنماطها ورسخت في الجهاز العصبي المركزي لكل منها، الذي يتعلق بالتصورات الذهنية والكفاءات العقلية العليا. وبكل ما يمكنه من إخراج كل ذلك من مستوى الإدراك إلى مستوى التمثل والتمثيل. وهي تلك العمليات التي تحول أغراضه إلى سياق منتظم من الألفاظ الدالة على هذه الأغراض بالنسبة للمتكلم أو التي تترجم الألفاظ وتحملها على المعاني المقصودة في مخاطبة محددة بالنسبة للمخاطب الذي يتلقى الخطاب.[1]

وأما النوع الثاني: فيخص اللساني وحده والعالم بأسرار اللسان، فمعرفته لظاهرة اللسان معرفة علمية خالصة، وتختلف عن الملكة اللغوية التي اكتسبها شأنه شأن الآخرين في اللغة التي يُحْكِمُها.

وقد أدى الخلط بين هذين النوعين من المعرفة اللغوية إلى التأثير السلبي في تعليم اللغة العربية. فاتخذ النحو والصرف في جانبهما المجرد إكساب المتعلمين المكلة اللغوية دون تكييف تربوي مناسب للمستوى التعليمي والحاجة من التعليم التي يحددها الهدف. وصار الاهتمام بذلك بشكل مبالغ فيه. أدى إلى النفور من العربية ووصفها بالصعبة.

وارتسمت صورة مدرس العربية في أذهان الكثيرين في نمط محدد؛ هو الذي يهتم بالإعراب ويحرس أواخر الكلمات. بينما اللغة تحتاج إلى مهارات وأنشطة أخرى شفوية ومكتوبة؛ من وصف وفهم

[1]– ينظر: المرجع السابق، ص 176– 177.

وتحليل وإدراك وقراءة جيدة معبرة ممثلة للمعاني، وكتابة صحيحة معبرة عن أغراضها ومقاصدها بمفاهيمها الدقيقة.

وكل هذا يتجاوز التركيز على النحو والصرف في جانبهما العلمي المجرد. وإنما لابد من التكييف والتحويل، للمعرفة العالمة إلى معرفة مُتَعلّمة مدرسية. ولقد تفوق الغربيون في تدريسهم للغتهم وترقيتها وتطويرها بإدراكهم لهذه الفروق بين ماهو نظري علمي مجرد. وبين ماهو تربوي يحتاج إلى التبسيط والتوضيح حسب مقامات التعلم ومستوياته واحتياجاته اللغوية والمعرفية المناسبة.

وعلى هذا كما قال الحاج صالح –ينحصر التبسيط في كيفية تعليم النحو لا في النحو نفسه لأنه علم محض ... وينبغي أن يكون معقدا مجردا عميقا وتلك هي طبيعته وينبغي أن يكون التطبيق له سهل المنال أو على الأقل مناسبا لطبيعة القطاع من النشاط الإنساني الذي يجري فيه التطبيق.[1]

ولابد من التأكيد هنا، على أن العلاقةبين العلم وتطبيقاته علاقة جدلية.

فإجادة التطبيق بالدقة اللازمة قائم على المعرفة النظرية المعمقة بمجال التخصص، والقدرة على تحويلها إلى إجراء تطبيقي واضح يؤيد نتائجه ميدان البحث.

فبين النظري والتطبيقي تكامل؛ بل تفاعل. وتكمن قيمتهما في ذلك التفاعل. فلا قيمة لتعلم النظري من دون إجراء تطبيقي، ولا وجود للإجراء التطبيقي دون الاستناد إلى خلفية نظرية علمية متخصصة.

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 178.

ونشير إلى أن البحث التطبيقي قد يتجاوز التخصص الواحد إلى تخصصات متعددة حسب الحاجة إليها ومنّها:

التعليمية التي تحتاج إلى المتخصص في التعليم، واللساني وعالم النفس وعالم الاجتماع، وعالم الأعصاب، وما تعلق بعلم أمراض الكلام، وعالم الحاسوب وغير ذلك كل في مجال تخصصه.

فلا يجوز للمربي معلم اللغة العربية أن يجهل:

القوانين العامة التي أثبتتها اللسانيات في ميدان تعليم اللغة وعليه:

ضرورة الإلمام بما جد على صعيد البحث اللساني: إذ توجد مناهج تحليل وأدوات دراسة اللسان بوصفه ظاهرة لغوية اجتماعية. يتم تحليلها من الناحية الصوتية مثلا: باستخدام الآلات الالكترونية التي تظهر ذبذبتها ورسوماتها البيانية فيزيائيا، والاستعانة بالآلات الراسمة الدقيقة للصوت من حيث: كميته ومدته وسعته وشدته، فيتم بذلك تشخيص أنواع الأداء الصوتي بطريقة علمية موضوعية.

كما يمكن إظهار التغيرات والحركات الفيزيولوجية المحدثة للحروف من مخارجها.

وأنه يمكن أن يُحْصَى في نص ما مفرداته وصيغه وتراكيبه وأبنيته وسياقاته بواسطة الحاسوب. وكل ذلك يؤدي إلى اكتشاف العلاقات الرابطة بين العناصر اللغوية، من حيث اللفظ والمعنى.

ويتجاوز هذا علوم اللسان، وينفتح على علوم أخرى مثل: ميادين علم الصوت؛ وهو فرع من الفيزياء وفيزيولوجية الأصوات والدمج والأعصاب والمعلوميات Informatique وعلم الضبط

الآلي Cybernétique والإلكترونيك من العلوم التي استفادت منها اللسانيات.[1]

أما النوع الثاني من المعرفة مما على المربي معرفته والتمكن منه: فهو معرفة التصورات والمفاهيم العلمية، ومناهج التحليل عند العلماء العرب القدامى والتي أسس عليها الحاج صالح النظرية الخليلية الحديثة من حيث المبادئ والمفاهيم والإجراءات المنهجية في التحليل كما سبقت الإشارة في الفصول السابقة.

- **ظواهر اللسان والتبليغ في منظور اللسانيات الحديثة:**

من بين الحقائق التي أثبتتها اللسانيات مما تنعكس فائدته على مدرسي اللغة العربية في أطوارها المختلفة بما في ذلك الجامعة، ظواهر اللسان والتبليغ من الناحية النظرية والتطبيقية.

فاللسان –كما قال– هو قبل كل شيء أداة تبليغ، وهي وظيفته الأصلية وباقي الوظائف فرع عليها. كما أنه ظاهرة اجتماعية لا فردية.

«لا يخضع لإرادة الفرد ولميوله الخاصة. بل هو متجاوز له، سابق عليه باقٍ بعده. لا يزول بزواله. ولا يمكن لأي فرد أن يتدخل فيه فيغيره أو يستبدل فيه شيئاً إلا أن يقيس على كلام الجماعة من المتكلمين السابقين... وهذا سر قول المحدثين: "اللسان ظاهرة اجتماعية"».[2]

ثم إن لكل لسان خصائص من حيث الصورة والمادة. وهو في حد ذاته نظام من الأدلة المتواضع عليها، وله بناء على ذلك بنى ومجارٍ تخصه ظاهرة وخفية. وله منطقة الخاص، ففي لسان كل أمة أوضاع

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 182.

[2]– المرجع السابق، ص 188.

تخصه. وهو وضع واستعمال ولفظ ومعنى في كل من الوضع والاستعمال. وللبنى اللغوية التي تكوّنه مستوى من التحليل مختلف عن مستوى الوضع والاستعمال.

إن حيوية اللغة إضافة إلى كل هذا تكمن في التخاطب اليومي، فاللغة المنطوقة هي الأصل، ولغة التحرير فرع عليها، ولكل منهما مقامات استعماله الخاصة.

فكل هذه الحقائق أو القضايا المهمة على مدرس اللغة العربية أن يدركها ويعييها جيدا ثم يعمل بها ويوظفها ويستثمر نتائجه في أداء العملية التعليمية. ولذلك يعقد الأستاذ الحاج صالح الصلة بين اللسانيات والتربية، مكوّنا مفهوم خاصا هو:

اللسانيات التربوية: بوصفها ميدانا تطبيقيا مفيدا لمدرسي اللغة العربية والنهوض بمستواهم ومن ذلك:

أن تكون له ملكة لغوية أساسية أتّم اكتسابها تكفيه لأداء مهامه التربوية، ويتمثل ذلك في معرفته –على الأقل– كمية المعلومات النظرية عن اللسان، بأن يكون له تصور سليم عن اللغة حتى يُحْكِمَ تعليمها بالاطلاع على معرفة لسانية كافية.

وهذا بالفعل الذي يعانيه تعليم اللغة العربية في مراحلها المختلفة. فالذي يعلمها لا يجيدها، ولا يملك المعلومات النظرية الكافية عنها تمكنه من أداء تعليمها بكفاية.

تسعى اللسانيات التربوية إلى التعرف الموضوعي على المشاكل التربوية، ومحاولة معالجتها وذلك بالانطلاق من السؤالين الآتيين:

ماذا يجب أن نعلم من اللغة؟ وكيف يجب أن نعلمه؟

ويقتضي ذلك:

- **النظر في محتوى اللغة التي تقدم للمتعلم:**

ويتأسس ذلك على مقاييس اختيار خاصة؛ من حيث المفردات والتراكيب والمفاهيم، ويشمل عدة مظاهر هي: المظهر اللفظي والمظهر الدلالي والمظهر النفساني والاجتماعي، وهو مظهر تداولي خاص بالاستعمال.

وتُرتّب هذه المقاييس بحسب أهميتها.

- **النظر في محتوى الطريقة المستعملة في التبليغ:**

ويكون ذلك بمراعاة المبادئ التالية:

- الانتقاء للعناصر المكوّنة للمادة اللغوية.
- التخطيط لتوزيعها وتنفيذها حسب ما تقتضيه الدروس.
- الترتيب للمادة اللغوية ووضعها في موضعها في كل درس على التدريج.
- اختيار كيفية ناجحة وتقديمها بكيفية حسنة.

اختيار كيفية لترسيخها وتثبيتها في ذهن المتعلم، وخلق الآليات التي يحتاجها إليها المتعلم ليحكم استعمالها بطريقة عفوية.[1]

- **النظر في تأدية المدرس لهذه الطريقة:**

ويتم ذلك بأن يستثمر المعلم معطيات عديدة لسانية وتربوية ومنهجية في النهوض بالمستوى الذي يخصه ويخص المتعلمين.

إن هذه القضايا العلمية اللسانية والتربوية التي أثارها عبد الرحمن الحاج صالح في بداية السبعينات؛ لهي القضايا نفسها المثارة الآن، ويحتاجها تعليمنا للغلة العربية، بتحصيل معرفة لسانية ومنهجية

[1]–ينظر: للمزيد من التفاصيل المفيدة، المرجع السابق، ص 224 وما بعدها.

وتربوية، كافية للنهوض بتدريس اللغة العربية وتطويره والنهوض بمستوى معلميها. **أعطني معلما أُعْطِكَ جيلا.**

2- الميدان التطبيقي الثاني: اللغة العربية والحاسوب:

ألح عبد الرحمن الحاج صالح كثيرا على ربط العلاقة بين اللسانيات العربية والحاسوب خدمة للغة العربية في مجالاتها المختلفة من أجل مسايرة العصر فيما يشهده من تطور مذهل في التكنولوجيا والمعلومات وعلوم الاتصال والإعلام مما أدى إلى الانتشار الواسع لاستعمال الحاسوب، في الدراسة اللغوية في العالم. فنتج عن ذلك تخصص علمي على درجة من الأهمية هو:

اللسانيات الحاسوبية:

وقد بدأ الباحثون باللغة العربية وبخاصة في علوم اللسان يهتمون هم أيضا باستعمال هذه الوسائل والوسائط التكنولوجية في دراسة اللغة العربية شيئا فشيئا، وإن كان ذلك مازال في بدايته ويعاني صعوباته الخاصة من الناحية التطبيقية الجامعة بين اللسانيات والحاسوب وحتى علوم أخرى.[1]

كتب عبد الرحمن الحاج صالح عن هذا الميدان التطبيقي المتعلق باللسانيات الحاسوبية عدة أبحاث نذكر منها:

- المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب. ألقي في مؤتمر اللغويات الحاسوبية في الكويت سنة 1989 ونشر في فعاليات تلك الندوة.

[1]- يعاني المتخصصون في علوم اللغة ضعفا ملحوظا في المعرفة التقنية المتعلقة بالحاسوب وما يحتاجه من إجراءات تطبيقية مؤسسة على مفاهيم خاصة. ويعاني المتخصصون في الحاسوب ضعفا لغويا واضحا الأمر الذي يصعّب العلاقة بينهم جميعا.

- تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العلمي الأصيل. ألقيت في مجمع اللغة الأردني سنة 1984.
- أول صياغة للتراكيب العربية: نظرية العمل العربية. بحث قدّم للندوة الأولى للغويات الحاسوبية بالقاهرة سنة 1992.
- منطق أرسطو والعلاج الحاسوبي للغات. ألقي هذا البحث في ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات؛ بالسعودية سنة 1992.
- دور النظرية الخليلية الحديثة في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية. قدم هذا البحث في الندوة الأولى لاتحاد المجامع اللغوية العربية، عمّان، سنة 2003.
- حوسبة التراث العربي، الإنتاج الفكري في ذخيرة محوسبة واحدة كمشروع قومي. ألقي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة 2004.

أكد عبد الرحمن الحاج صالح في هذه الأبحاث على العلاقة الوثيقة بين اللسانيات وعلوم الحاسوب. وهو ميدان علمي واسع جدا –كما جاء في كلامه– إذ يمثل التطبيقات الكثيرة؛ كالترجمة الآلية والإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية،وتعليم اللغات بالحاسوب، والعمل الوثائقي الآلي، وتنطيق الآلات بالتركيب الاصطناعي للأصوات اللغوية وغير ذلك.[1]

وتعد هذه التطبيقات كلها مفيدة جدا في خدمة اللغة العربية والنهوض بها تدريسا وبحثا.

[1]–ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، ص 50.

وهنا تمكن دعوته للعمل على الاستفادة منها. وقد عمل على ذلك بنفسه في معهد العلوم اللسانية والصوتية بابن عكنون بجامعة الجزائر. ثم في مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية. وكوّن عدة باحثين في هذا المجال الحيوي المتعلق بتكنولوجيا اللغة.

وقد وضّح في ذلك، أن اللسانيات الحاسوبية بوصفها تخصصا علميا تحتاج إلى باحثين متعددي الآفاق والتخصصات. وأن النظريات الحديثة التي انبثقت من التأملات المنصبة على اللغات الأوربية بصفة خاصةليست كافية وحدها.

وقد شدّد الحاج صالح على أن النحاة العرب القدامى، قد تركوا تصورات ومفاهيم لغوية جد مفيدة بالنسبة للسانيات الحاسوبية، قائمة على منطق رياضي مناسب جدا للحاسوب. [1]

إنّ **اللسانيات الحاسوبية** علم متضافر التخصصات Interdisciplinaire يجمع بين علوم الحاسوب وعلوم اللسان والرياضيات... ويحتاج الباحث فيها إلى الإلمام الكافي بماهو لساني وبماهو حاسوبي. وإلى إجادة العمل المشترك وما يتطلبه من تعاون وتآزر وتبادل لوجهات النظر المختلفة ومناقشتها النقاش العلمي المثمر.

يجد القارئ لهذه الأبحاث الحاج صالح ملّما بالأسس النظرية اللغوية للسانيات الحاسوبية عبر استعراض تاريخها والتطورات العلمية التي شهدتها من لدن علماء كثيرين أوربيين وأمريكيين، مبينا أن النظريات الجديرة بلفت انتباه الباحثين في اللسانيات الحاسوبية هي النظريات ذات الصياغة الرياضية مثل: النظرية الاستغراقية/التوزيعية

[1]–ينظر: المرجع السابق، ص 50.

Distruibution التي تستفرغ جميع القرائن والسياقات التي تظهر فيها الوحدة اللغوية.

وأفضل استعمال: التوزيعية؛ لأنه المصطلح الذي شاع في الاستعمال. وكذلك النظرية التوليدية التحويلية ذات الصياغة المنطقية الرياضية الدقيقة التي كان لها تأثيرها الواضح في التحليل اللساني الحاسوبي.

فقد فصّل الحاج صالح في كثير من القضايا المتعلقة بهذه النظرية وبغيرها فيما يخص اللسانيات الحاسوبية، مقدما كثيرا من الأمثلة الشارحة الموضّحة.

لكنّ الذي كان يشغله أكثر من غيره، هو كيفية توظيف النظرية الخليلية الحديثة في هذا الميدان الحيوي. فهو يرى أن النحو العربي يعد مصدرا لبناء نمط لغوي جديد. لّما احتواه من مفاهيم لسانية علمية مناسبة جدا لتوظيفها واستثمارها في الحاسوب.

فالنظرية الخليلية–كما سبقت الإشارة– أسسها عبد الرحمن الحاج صالح بعد دراسات معمقة لأعمال النحاة العرب القدامى وبخاصة **الخليل وسيبويه.**

وكان من بين ما حفزّ النحاة العرب القدامى على وضع القواعد النحوية الخاصة باللغة العربية الحرص على فهم معاني القرآن الكريم والمحافظة عليها. وتقريب فهمها للمعتنقين الجدد من الأعاجم للإسلام ليفهموها فهما صحيحا.

واللافت للانتباه في أعمالهم قدرتهم على وصف اللغة العربية وصفا علميا دقيقا كما تجلى ذلك مثلا في كتاب سيبويه.

وكذلك احتواء هذه الأعمال على مفاهيم لسانية كثيرة ذات صبغة رياضية دقيقة مناسبة للحاسوب أهمها: مفهوم المثال الذي يُعد محور النظرية الخليلية، فهو المولدّ الذي يدخل جميع المستويات اللغوية مثل: مستوى الكلم ومستوى اللفظة ومستوى الوحدة التركيبية.

وهو كما يصفه عبد الرحمن الحاج صالح، مفهوم عربي لا مقابل له في اللسانيات الغربية. وهو الحد الصوري الإجرائي الذي به تتحدد العمليات المحدثة للوحدات اللغوية والمحددة لها من وجهة نظر النحو. وتنتج عنه صور تفريعيةطردية عكسية، تنطلق من أصل إلى ما لا نهاية من فروع. ويسميها النحاة العرب القدامى "مثالا" وتجمَعُ على "مُثُلٍ" غالبا.

وقد سميناه باللغة الأجنبية Pattern Generator بالإنجليزية.

أو Schéma Générateur بالفرنسية. [1]

ويأتي المثال كما رأينا في منظومته (المفهومية العربية الأصالية مثل: الأصل والفرع والقياس والموضع والكَلِم، واللفظة والتراكيب...) وقد أجريت بعض الأبحاث الخاصة بالنظرية الخليلية وتوظيفها في اللسانيات الحاسوبية نذكر منها:

الدراسة التي قدمها: **عبد المجيد عشيت**[2]وعنوانها: **صياغة النظرية الخليلية الحديثة وفق القواعد التركيبية الموجهة بالرؤوس.**
Head Driven phrase sturcture grammar HPSG.

---

[1]–ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديث: مفاهيمها الأساسية، ص 77.

[2]–ضمن ندوة اللغة العربية في تكنولوجيا المعلومات، المجلس الأعلى للغة العربية، سنة 2002 وهو باحث بمركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية الذي كان يرأسه الحاج صالح إلى 2006.

وبعد أن عرض عينة من الأعمال المنجزة بمخبر العلاج الآلي للغة العربية بمركز البحوثالعلمية والتقنية لترقية اللغة العربية بالجزائر، فيما يتعلق بالتحليل النحوي للغة العربية. وبعد أن عرض النظرية الخليلية وعرض المثال الصوري "HPSG " كما هو وارد فيها بغية الوصول إلى الصياغة التي تضمن أكبر تغطية وأحسنها للمفاهيم والظواهر اللغوية. خلص إلى النتيجة الآتية:

«الملاحظ من خلال هذا البحث هو قوة الصياغة النحوية للنظرية الخليلية الحديثة كنموذج لغوي. وشموليتها لظواهر لغوية عدّة وكونها تتكيف بطريقة ناجعة مع الأمثلة اللغوية الحاسوبية كمثال "HPSG ". وهذا راجع إلى كونها ترتكز على أسس رياضية مما جعل الرجوع إليها في مثل هذه الأبحاث أمرا كبيرا. تصوغ وتختصر مئات القواعد اللغوية للغة العربية في شكل عشرات من الأمثلة المولّدة أو الحدود الإجرائية، فهي كواجهة بين المثال الصوري (HPSG) واللغة».[1]

ويمكن أن نذكر أيضا هذه الدراسة الموسومة بـــ:

استعمال جهاز الرسم البياني اللفظي AG100 في الدراسة الصوتية اللفظية للحركة والسكون في اللغة العربية المعيارية وإعداد قاعدة معطيات صوتية.[2]

أشير أولا إلى أن الشركة كليك لخدمات الحاسوب، قد قامت بترجمة هذه الدراسة التي تربط بين الصوتيات واللسانيات الحاسوبية

---

[1]–المرجع نفسه، ص 50.

[2]–عبد الرحمن الحاج صالح ومراد عباس وغنية دروا حمداني: المرجع نفسه، ص 220– 235.

وتركز –كما هو موضح في عنوانها– على مفهومين أساسيين في الصوتيات العربية هما: الحركة والسكون. وتستند من الناحية النظرية إلى الدراسة التحليلية التي أنجزها عبد الرحمن الحاج صالح وعنوانها: الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة.[1]

تمثل هذه الدراسة تجربة علمية تطبيقية؛ فبعد أن وضّح أصحابها المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها وتعتني بمعالجتها وهي: الحركة والسكون وجهاز الرسم البياني (Articulograhe AG100) وهو جهاز غير مضر بصحة المتكلم يسمح بجمع كمية هائلة من المعلومات المتعلقة بوضعية اللسان والفك أثناء النطق[2] راحوا يجرون دراستهم التجريبية للحركة والسكون بطريقة مفصلة واضعين في اعتبارهم تصورات العلماء العرب ونظرياتهم في الصوتيات والنحو الصرف، مبينين كثيرا من الرسومات البيانية والصور والأشكال التي توضّح منحنيات الحركة والسكون على مستوى اللسان والشفة السفلى... خَلُصُوا في نهاية الدراسة إلى أن هذا الجهاز مثّل وسيلة استعانوا بها في تحديد مفهومي الحركة والسكون بالاعتماد أيضا من الناحية اللفظية على مقولات العلماء العرب القدامى.

---

[1]–قدمها في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1999، ومنشورة بالجزء الثاني من كتابه: بحوث ودراسات فياللسانيات العربية من الصفحة 175، ونضيف إليها دراسة أخرى وضعوها في مراجع الحاج صالح ايضا بالفرنسية عنوانها: La notion de syllabe et la théorie cinético-impulsionnelle des phonéticiens arabes، منشورة في بحوث ودراسات في علوم اللسان بالفرنسية، وقد ترجمها: الشريف بوشحدان إلى العربية في العدد 25 من مجلة المجمع الجزائري للغة العربية سنة 2017، بعنوان: مفهوم المقطع والنظرية الحركية عند قدماء الصوتيين العرب.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص 219.

ومن ذلك أن الحرف يمثل دائما موضوعا ومحل نشاط في بداية المقطع، وهو متبوع بحركة، التي يمكن أن نجدها بعد الحرف الساكن الذي يتموضع في نهاية المقطع.

وأن السكون حركة لفظية تؤدي إلى تكملة الكلام عن طريق الصمت.[1]

إن هذا البعد التكنولوجي الذي يخص اللغة يجب أن يتعمق بالنسبة للغة العربية، ويحظى باهتمام الباحثين في مجال علوم اللسان والتحليل الآلي للغة من حيث خطاباتها ونصوصها. وإجراء التجارب الميدانية من أجل تطويعها للترجمة الآلية بما يحفظ للنص الأصلي المترجم منه هويته المفهومية وخصائصه التركيبية والدلالية الكامنة في سياقاته.

ويوجد لعلماء اللسانيات وفقه اللغة والنحاة وعلماء الأصوات والحاسوب والصناعة المعجمية وعلم المصطلح دور بالغ الأهمية في جعل اللغة العربية تقتحم المجالات الحيوية، وتحقق نجاعتها في أداء الخدمة اللغوية اللازمة في الترجمة والترميز والاختصار وابتكار المصطلحات وتسميتها باللغة العربية تسمية صحيحة ووضع البرمجيات بما يحافظ على روح اللغة وخصائصها في التراكيب والأساليب ... فلم تعد شؤون اللغة العربية بعيدة عن رهانات التنمية المتعددة التي تحقق مطامح الأمة.

3- الميدان التطبيقي الثالث: الصناعة المعجمية وعلم المصطلح:

هذا أيضا ميدان وظيفي ضروري في التنمية اللغوية في القطاعات الحيوية في البلاد مثل: الصحة والسياحة والإعلام والاستثمار والمالية

---

[1]-ينظر: المرجع السابق، ص 234.

والقانون... وغيرها. وهي تحتاج في ذلك إلى وضع المعجمات المتعددة في ألفاظ الحياة العامة،والمعاجم المتخصصة في الاقتصاد والتربية واللغة بفروعها والمعاجم التحليلية ذات الأهمية القصوى في البحث وما تقتضيه الكتابة العلمية المتخصصة من لغة وظيفية. وفيما تقتضيه العملية التربوية في التعليم بعامة والتعليم الجامعي بخاصة. والتعليم المتخصص في فرع علمي محدد. وفيما تحتاجه الحرف والمهن من صناعة معجمية تنهض بتسمياتها المتعددة.

يجد القارئ لأعمال عبد الرحمن الحاج صالح المتعددة فيما يخص المعجم وعلم المصطلح قد اهتم بهما اهتماما كبيرا، وبيّن أهميتهما العلمية والبيداغوجية فيما يتعلق بالبحث العلمي وما يتعلق بالبحث في التربية وعلومها وما يحتاجه كل ميدان من مصطلحات مناسبة من حيث الإحاطة بالمفهوم الذي له صلة بالعلم، ومن حيث المحافظة على شخصية المصطلح من الناحية اللغوية.

لقد كان تركيز الأستاذ الحاج صالح منصبا على تأصيل المصطلح العلمي العربي في لغته ليعبّر عن مفاهيمه بدقة. مبيناً أن العلماء المتخصصين هم الذين يضعون المصطلحات، فهم الذين لهم الأحقية بذلك.

يقول: « من الواضح أن هذا الميدان يهم العلماء وأهل الاختصاص، وهو وهم المعنيّون بالدرجة الأولى بوضع المصطلحات...».[1]

[1]-ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، المجمع العلمي للغة العربية، عدد 07، سنة 2008، ص 10.

وإعطاء الأهمية في صياغتها للمستعمل من اللغة؛ إذ المدونة النصية العربية مليئة بالمكافئات المصطلحية التي تخص كثيرا من المفاهيم العلمية وبخاصة اللسانية منها.

وما على الباحث في المصطلح وفي المعجم إلا أن يستغل خصائص اللغة العربية من اشتقاق وترادف ومشترك لفظي، ونحت وتضاد واقتراض في وضع المصطلح وتوليده أولا. ثم قبوله لبعض المعرّب الذي تألفه الأذن ويستأنس به اللسان ثانيا.

ورفض المصطلحات الهجينة التي لا تؤدي الدلالة والمعاني المقصودة بالدقة اللازمة ثالثا.

فلقد كان الأستاذ ينفر كثيرا من استعمال بعض المصطلحات مثل: الحمام اللغوي مقابلا للكلمة الأجنبيةBain linguistique وأن العرب القدامى كانوا يأخذون أبناءهم إلى البوادي ليتشربوا العربية في بيئتها الصافية، ولينغمسوا في بحر اصواتها. فاستعمل مصطلح الانغماس اللغوي بدلا من الحمام اللغوي.

وكذلك المصطلح الأجنبي Situation، إذ يقابله في العربية ترجمات عديدة منها: الموقف وسياق الموقف وسياق الحال والوضعية... وكان هو يستعمل الكلمة العربية الأصالية المشبعة فيمدونتها النصية والمعبّرة بدقة عن مفهومها. وهي "**المقام**". ولأنه صارت أشبه بالمثل السائر الجاري في الاستعمال: "**لكل مقام مقال**".

وكذلك الكلمة الأجنبية **Code** فقد ترجمت إلى : شِفْرة ونظام ورمز وترميز وتقنين وقانون وقيد واتفاق ومواضعة...

وترجمها هو بـــ "وضع"؛ لأن اللغة وضع واستعمال كما قالت العرب. يصلح كتاب كامل عن الصناعة المعجمية وعلم المصطلح عند

عبد الرحمن الحاج صالح. وسنكتفي بهذا؛ لأنه سبق أن اشرنا إلى مثل هذه القضايا وبخاصة في الفصل الثالث الموسوم بالبعد العلمي المعرفي في اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح عند الحديث عن الذخيرة العلمية العربية.

خلاصة:

يتبين من كل هذا البعد الاستشرافي الذي يتميز به عبد الرحمن الحاج صالح؛ فقد استبصر كثيرا من القضايا العلمية اللغوية والتربوية التي يحتاجها البحث والتدريس. ويفيد اللغة العربية، وينهض بها في مجالات عديدة اجتماعية واقتصادية وعلمية.

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه الرحلة الممتعة في قراءة أعمال الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية تبين لنا المستخلصات الآتية:

- يتميز واقع البحث اللساني العربي بإشكالاتٍ عديدة كان لها تأثيرها اللافت على مستوى المعرفة والرؤيا والمنهج والاستبصار. تنبع أساسا من منظور لغوي فكري معرفي خاص، في معالجة القضايا اللسانية المختلفة.
- وتظهر في اتجاهات فكرية متضادة ومتنافرة وبينها قطائع في كثير من الأحيان. ترتد كلها إلى العلاقة بين التراث والحداثة. إذ يوجد اتجاه منقطع عن التراث معدا إياه ماضيا يجب تجاوزه. واتجاه مضاد متقوقع على نفسه في الماضي معدا إياه كأنه مقدس لا يأتيه الباطل ولا يقبل النقد. واتجاه ثالث حاول التقوقع بين هذا الاتجاه وذلك لأغراض إيديولوجية محددة تخدمه.

وكان لهذا تأثيره على تحديد المواقف بين قائل بعدم وجود لسانيات عربية؛ لأن اللسانيات بدأت مع دوسوسير. وبين قائل بأن اللسانيات تكمن فيماهو تراث ولا شك في ذلك.

وقد شذّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح عن هذا؛ فهو برأيي يشكل اتجاها لسانيا وحده؛ يختلف به عن اللسانيين الآخرين. له خصوصياته في القراءة الناقدة الكاشفة الواعية بالتراث اللغوي العربي، المستوعبة لمبادئه ومنطلقاته الفكرية والعلمية المتمثلة لمفاهيمه ومصطلحاته. وقراءة اللسانيات الغربية –في الوقت نفسه– قراءة

موضوعية واستخلاص الأحكام العلمية الموضوعية التي تميز هذا الخطاب من ذاك بعيدا عن الذاتية.

وقد أسس الحاج صالح بناء على ذلك، لسانيات عربيةً حقيقة لا مجازًا ويعد هو المؤسس الحقيقي لها بلا منازع. لأنه آمن بها مشروعاً له منذ الستينات. دل على ذلك كتاباته الكثيرة؛ من كتب وأبحاث ومقالات ومحاورات وندوات فكرية في مدارج الجامعات الجزائرية والعربية وحتى الأجنبية. وقد تجلى ذلك أيضا في مشاريعه العلمية التي أسسها لخدمة هذا الهدف السامي تدريسا وبحثا وتكوينا وتوظيفا واستثمارا. بدءا بمعهد العلوم اللسانية والصوتية سنة 1966 الذي تحول إلى: مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية سنة 1996 ومشاريع الماجستير في اللسانيات والتبليغ اللغوي، ومشروع الذخيرة العربية الحضاري.

وقد كتب عبد الرحمن الحاج صالح كتابات عديدة في اللسانيات وفروعها ذات مستوى علمي راقٍ، يستنتج القارئ لها ويدرك فعلا أن عبد الرحمن الحاج صالح شخصية علمية مرموقة لها اعتبارها في الكتابة اللسانية العربية وغير العربية. كتبها خدمة للغة العربية من حيث البحث العلمي والتربوي، وبما يجعلها تمارس حضورها الاجتماعي الفاعل من حيث الاستعمال في المؤسسات الحيوية: الاجتماعية والاقتصادية، ويحقق رهانات التنمية المتعددة.

لقد أسس عبد الرحمن الحاج صالح النظرية الخليلية الحديثة، بعد أن قرأ وتأوّل آراء **الخليل بن أحمد** وتلميذه **سيبويه** ومن سبقهما من العلماء العرب الأجلاء، ومن جاء بعدهما إلى نهاية القرن الرابع الهجري، وهي نظرية لسانية عربية، لها مفهوم وموضوع ومنهج

وإجراءات تحليل، وجهاز اصطلاحي نظري ومنظومة مفهومية ميزت كتابات عبد الرحمن الحاج صالح، ورسمت حدودها المعرفية بالنظر إلى المدارس اللسانية الأخرى. وأسستها على خلفية إبستمولوجية متعلقة بـــ "**علم العربية**" كما سمّاها **سيبويه** وأستاذه **الخليل بن أحمد** وغيرهما من العلماء العرب القدامى.

إنّ اللسانيات العربية في نظر الحاج صالح، وكما تبدو من قراءة أعماله، هي: العلم الذي يدرس اللسان العربي دراسة علمية موضوعية من حيث الوضع والاستعمال والألفاظ ومعانيها في كل من الوضع والاستعمال دون الاقتصار على أحدهما وترك الآخر أو الخلط بينهما.

وإنما لكل مقتضياته وهي أشمل من لسانيات **دوسوسير** وأوسع؛ لأنه درس "**اللسان**" فقط، أي ما يقابل الوضع اللغوي عند العرب القدامى. ولم يدرس الاستعمال كما درسوه.

تميزت كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية بنظر إبستمولوجي عميق، انطلق فيه من النصوص التي انبنى عليها كتاب **سيبويه** واستاذه **الخليل بن أحمد**؛ إذ يشكل الكتاب المدونة العلمية الأساسية للنظرية اللغوية العربية في أبعادها الإبستمولوجية والمعرفية التي عليها تأسس منطق العرب في علوم اللسان وتأسست اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح.

وقد تجلى ذلك في أبحاثه ودراساته باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، بيّن فيها باقتدار أصالة النظرية اللغوية العربية عند روادها من العلماء العرب الأوّلين في القرون الأربعة الأولى من الهجرة.

ووضح خصوصيتها الفارقة من حيث الأسس المعرفية التي أطرتها وشكلت منطلقاتها. ومن حيث منهجها في الوصف والاستقراء والتصنيف والتحليل.

كما تجلى البعد العلمي المعرفي في نظرته للسانيات الحديثة، وفي نظرته للتراث اللغوي العلمي العربي الموسّعة. والمؤسسة على مبدئين أساسين في العلوم المعرفية هما:

تضافر التخصصات. والتفكير المفهومي.

يلاحظ القارئ لأعماله هذين المبدئين من أهم الصفات المميزة لخطابه اللساني، المنفتح على تخصصات علمية أخرى ذات أهمية في البحث اللساني.

كما أسس عبد الرحمن الحاج صالح البعد المنهجي في اللسانيات العربية على منظومة مفهومية تراثية يمكن أن نصنفها بـــ "**الأصالية**" الصميم. فله قدرة عجيبة على التأصيل للمفاهيم والمصطلحات والنظريات، والرجوع بها إلى منابعها الحقيقية. كما أنّ له القدرة على أجرأتها؛ أي جعلها إجرائية تطبيقية في عملية التحليل اللغوي.

يتبين من كل هذا، أن للرجل بُعْدًا اسستشرافيا استطاع بواسطته أن يستبصر كثيرا من القضايا والإشكالات المتعلقة بواقع البحث اللساني العربي. وأن يرسم الاستراتيجيات العلمية لمعالجته وتحليله، وتنفيذ تطبيقاته بما يعود بالنفع على اللغة العربية في مجالات البحث العلمي بصفة عامة والبحث اللساني وتطبيقاته في مجالات التعليمية والصناعة المعجمية وعلم المصطلح واللسانيات الحاسوبية بصفة خاصة.

إن كل ما يُرْجى هو أن يهتم القارئ الكريم والطلبة الجامعيون والأساتذة والباحثون المنصفون بقراءة هذه الأعمال العلمية في اللسانيات

التي تركها عبد الرحمن الحاج صالح. وأن يدركوا فعلا أن النظرية الخليلية الحديثة هي نظرية لسانية عربية، حقيقة لا جدال فيها. لها مبادئها العلمية وخلفيتها الإبستمولوجية ولغتها الكامنة في مصطلحاتها ومفاهيمها ومنهجها وآلياتها الإجرائية. وبذلك يكون الحاج صالح قد أسس فعلا اللسانيات العربية مفهوما وموضوعا ومنهجا وميادين تطبيق ونتائج. وفي ذلك يكمن تميّزه وتتحقق أصالته.

تمّ بحمد الله

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا/ القرآن الكريم:

ثانيا/ مدوّنة البحث:

1. عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2007.
2. عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، عدد4، 2007.
3. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1 وج2، المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، 2007.
4. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، 2007.
5. عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2010.
6. عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، 2012.
7. عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب (4)، ط1، 2016.
8. عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية في العالم العربي في تقدم اللسانيات في العالم العربي، الرباط، 1987.
9. عبد الرحمن الحاج صالح: الجملة في كتاب سيبويه، مجلة المبرز، العدد2، 1993.
10. عبد الرحمن الحاج صالح: الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، حوليات جامعة الجزائر، العدد 6، ج1، سنة 1992/ 1993.

11. عبد الرحمن الحاج صالح: النحو العربي والبنوية: اختلافهما النظري والمنهجي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، عدد1، 2002.

12. عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 10، 1996.

13. عبد الرحمن الحاج صالح: تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد4.

14. عبد الرحمن الحاج صالح: أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث، المجمع العلمي للغة العربية، عدد 07، 2008.

15. عبد الرحمن الحاج صالح: مشروع الذخيرة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد 2، ديسمبر 2005.

16. عبد الرحمن الحاج صالح: منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات، بحث مخطوط.

17. عبد الرحمن الحاج صالح ومراد عباس وغنية دروا حمداني: استعمال جهاز الرسم البياني اللفظي **AG100** في الدراسة الصوتية اللفظية للحركة والسكون في اللغة العربية المعيارية، وإعداد قاعدة معطيات لها، ضمن ندوة اللغة العربية في تكنولوجيا اللغة، المجلس الأعلى للغة العربية، 2002.

18. عبد الرحمن الحاج صالح: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، عدد4، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1974.

19. عبد الرحمن الحاج صالح: تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد1، السنة الثانية، 2006.

20. عبد الرحمن الحاج صالح: مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، العدد الأوّل، جامعة الجزائر، 1971.
21. عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث: تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، المجلد1، الجزء1، 1971.

ثالثا/ مصادر التراث:

22. ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، دار الكتاب العربي.
23. ابن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، مصر، د.ت.
24. الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد، 2005.
25. سيبويه: الكتاب، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1983.
26. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، سلسلة الأنيس، موفم للنشر، الجزائر، 1991.
27. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، دار المسيرة، بيروت، 1979.
28. ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.
29. ابن سينا: عيون الحكمة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، القاهرة.
30. الفارابي: إحصاء العلوم، طبعة القاهرة، 1931.

رابعا/ المراجع الحديثة والمعاصرة: كتب ومجلات

31. أبوبكر سعد الله: هل إتقان اللغة مرتبط بالإبداع العلمي؟، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد2، 2005.

32. إدريس مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2006.
33. بشير إبرير: الخليل وسيبويه سبقا عصرنا في دراسة الصوتيات، مجلة الفيصل، العدد 245، المملكة العربية السعودية، 1997.
34. بشير إبرير: بحوث ودراسات في علوم اللغة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2020.
35. بشير إبرير: دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي، إربد، 2010.
36. بشير إبرير: علم المصطلح وأثره في بناء الخطاب اللساني العربي الحديث: المنجز اللساني لعد الرحمن الحاج صالح مثالا، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد25 (عدد خاص بعبد الرحمن الحاج صالح)، 2017.
37. بشير إبرير: في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، عدد8، 2001.
38. بشير إبرير: مفهوم النص عند لويس هيلمسلاف، ضمن كتاب: أبحاث في الغلوسياطيقا، تحرير وترجمة: يوسف إسكندر، دار الرافدين، بيروت، جامعة الكوفة، سلسلة دراسات فكرية، ط1، 2019.
39. بول شاوول: ثمانية مسائل أساسية في القصيدة العربية الحديثة، مجلة دراسات عربية، عدد3، دار الطليعة، لبنان، 1982.
40. حافظ إسماعيلي عليويوامحمد الملاخ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، 2009.
41. خالد اليعبودي: تدريس المصطلحية بين الجامعات والمعاهد العلمية العربية والغربية، ضمن أبحاث المنتدى المصطلحي، سوسة، تونس، 2008.
42. خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، 2000.
43. سعاد شرفاوي: منهج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في البحث اللساني، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد25 عدد خاص بعبد الرحمن الحاج صالح)، 2017.
44. سليمان العسكري: التعليم والثقافة، أبعاد جديدة في علاقة غائبة، مجلة العربي، عدد497، 2000.

45. سليمان العسكري: الثقافة الثالثة ولكن، مجلة العربي، العدد544، مارس 2004.
46. سليمان العسكري: رأس المال الثقافي: مفهوم جديد وتناقضات عابرة، مجلة العربي، عدد596، مارس 2009.
47. عبد الإله بلقزيز: نقد التراث، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2014.
48. عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط1، 1981.
49. عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986.
50. عبد السلام المسدي: في العلم اللغوي، الدار التونسية للنشر، ط1، 1994.
51. عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة: نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، رقم 272، 2000.
52. عبد العزيز علي الحربي وآخرون: مجلة مجمع اللغة العربية على الشابكة العالمية، 2016.
53. مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للترجمة والنشر، سورية، ط1، 1988.
54. محمد أركون: ابن رشد رائد الفكر العقلاني والإيمان المستنير، عالم الفكر، عدد4، 1994.
55. محمد أركون، جمال الدين بن الشيخ، أندريه مايكل: ثلاث شهادات عن الاستشراق والمعاصرة. حوار أحمد المديني: محمد أركون: التأمل الإبستمولوجي غائب عن العرب، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، الأعداد 20، 21، 22.
56. محمد إقبال عروي: من بنود الاصطلاح في التراث الإسلامي، مجلة آفاق الثقافية والتراث، فصلية ثقافية تراثية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، العدد23/22، 1998.
57. محمد الصالح بن عمر: اللغويون العرب المعاصرون والوسائل التقنية الحديثة في دراسة الأصوات، مجلة دراسات عربية، العدد 1و2، 1985.

58. محمد يحياتن: اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، المجلد6، عدد1، 1988.
59. مصدق الجليدي: على مشارف المرحلة الثانية من القمة العلمية لمجتمع المعلومات، تونس، الديمقراطية المعرفية، العوائق والفرص المتاحة، الحياة الثقافية، عدد 167، 2005.
60. مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء، سلسلة أطروحات جامعية، رقم 56/4، 1991.
61. منذر عافي: الفجوة الرقمية ورهانات التنمية، قراءة سوسيولوجية في النموذج التونسي، مجلة الحياة الثقافية، عدد167، نوفمبر 2005.
62. منية الحمامي: التراث اللغوي وإشكالية المناهج الوصفية الحديثة، مجلة التواصل اللساني، المجلد2، العدد3، 1990.
63. نبيل علي ونادية حجازي: الفجوة الرقمية رؤية عربية لمجتمع المعرفة، عالم المعرفة، رقم4318، 2005.
64. نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، الكويت، رقم 865، 2000.
65. نبيل علي: العقل العربي ومجتمع المعرفة: مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، عالم المعرفة، الكويت، رقم369، نوفمبر 2009.
66. وائل غالي: تاريخ العلوم العربية وتحديث تاريخ العلوم، بحث في إسهام رشدي راشد، سلسلة مكتبة الأسرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2005.
67. يوسف منصر: قراءة التراث في الفكر اللغوي لدى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، عدد 25، 2017.

خامسا/ الرسائل الجامعية:

68. معالي هاشم أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح نموذجا، بغداد، العراق، (رسالة دكتوراه مخطوطة).

69. مبروك بركات: النقد اللساني العربي، دراسة تقويمية للبحوث النقدية الحديثة، إشراف: عبد المجيد عيساني، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2017، (رسالة دكتوراه مخطوطة).
70. هبة خياري: الخطاب اللساني العربي الحديث: المرجعيات الفكرية والممارسات التطبيقية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، عنابة، 2018، (رسالة دكتوراه مخطوطة).
71. يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي: أصوله ومفاهيمه وإجراءاته: عبد الرحمن الحاج صالح، عبد السلام المسدي، عبد القادر الفاسي الفهري نماذج، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار–عنابة، 2013، (رسالة دكتوراه مخطوطة).

سادسا/ المراجع باللغة الأجنبية:

72. A. Lalande : Vocabulaire technique et critique de la philosophie, 9ème édition, Voir : Epistémologie, 1991. www.mominon.com
73. AbderrahmeneElhedj Salah, Linguistique générale et linguistique arabe, Tome 1 et 2, Alger, 2008.
74. AbderrahmeneElhedj Salah, La notion de syllabe et la théorie cinetico-impulsionnelle des phonéticiens Arabes.
ضمن كتاب: بحوث ودراسات في علوم اللسان، بالفرنسية، المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، 2007.

سابعا/ المواقع الإلكترونية:

75. artides.www.moncnoun.com
76. djazairess.com/akhbar
77. wiki.ar.m.wikipedia.org
78. www.academia.edu
79. حلقة عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية: permalink.facebook.com
80. رسالة عبد القادر الفاسي الفهري، بحث في تويتر
pdf: https://twitter.com ،https://www.evernote.com

الفهرس

الفهرس:

مقدمة: 5
الفصل الأوّل: واقع البحث اللساني العربي وبعض إشكالاته .....
أولا/ قضاياعامة:..... 21
ثانيا/ العلاقة بين التراث والحداثة: هل توجد لسانيات عربية؟..... 44
خلاصة:..... 58
الفصل الثّاني: عبدالرحمن الحاج صالح: من هو؟ وماذا كتب؟ وماذاكُتِب عنه؟.....59
1- من هو عبد الرحمن الحاج صالح؟..... 61
2- ماذاكتب عبد الرحمن الحاج صالح؟ 67
2-1- الكتب والأبحاث التي ألّفها:..... 67
2-2- المقالات: 69
3- ماذاكُتِب عن عبد الرحمن الحاجصالح؟ 80
4- مشاريع عبد الرحمن الحاج صالح: 85
4-1- المشروع الأوّل: تأسيس معهد العلوم اللسانية والصوتية:.... 85
4-2- المشروع الثاني: الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي 87
4-3- المشروع الثالث: مجلة اللّسانيات 87
4-4- المشروع الرابع: الذخيرة اللغوية العلمية العربية:..... 89
خلاصة:..... 90
الفصل الثّالث: اللسانيات العربية: المفهو موالموضوع والمنهج .....
1- مدخل: 93
2-اللسانيات العربية عند الحاج صالح: 104

خلاصة:.....119
الفصل الرّابع: البعدالإبستمولوجي في اللسانيات العربية لدى عبدالرحمن الحاج صالح.....
1- مفهوم الإبستمولوجيا:.....123
2- منطق العرب فيعلوم اللسان:.....128
3- الأصالة: 136
4- تحديد هل مكانة علم اللسان العربي وعلم اللسان العام: 153
4-1- مفهوم علوم اللسان:.....156
4-2- مفهوم العامل: 158
خلاصة:.....160
الفصل الخامس: البعدالعلمي المعرفي في اللسانيات العربية لدى عبدالرحمن الحاج صالح.....164
1- تضافر التخصصات L'interdisciplinarité: 166
1-1- العلاج الآلي للنصوص العربية على الحاسوب:.....167
1-2- معهد العلوم اللسانية والصوتية: 168
1-3- مشروع الذخيرة اللغوية العلمية العربية:.....170
1-3-1- منظومة علمية واجتماعية وتربوية واقتصادية وسياسية: 170
1-3-2- الذخيرة اللغوية العربية وتكامل المعارف: الجمعبين المعرفة اللغوية والأدبية والمعرفة العلمية:.....172
1-3-3- الذخيرة اللغوية العربية والمعرفة اللسانية:.....175
1-3-4- الذخيرة العربية مصدر معلوماتي: 177
1-3-5- محاولة إعداد محتوى علمي معرفي محوسب متعلّق بالذخيرة: 180

2-الاشتغال بالمفاهيم: 181
2-1- التعرّف على المعنى أ والتعريف المفهومي: 184
2-2- القياس الفقهي والقياس النحوي: 188
2-3- تحديده لمفهوم الفصاحة: 189
2-4- كتابة الأسماء والمصطلحات العربية باللغة الأجنبية: 191
خلاصة:.....196
الفصل السادس: البعدالمنهجي في اللسانيات العربية لدى عبد الرحمن الحاج صالح.....198
1- النظرية الخليلية: 199
2- المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة: 204
2-1- مفهوم الاستقامة:.....204
2-2- مفهوم الباب:.....206
2-3- المثال:.....208
2-4- مفهوم االوضع والاستعمال: 212
2-5- مفهوم االأصل والفرع:.....213
3- مستويات التحليلفي النظرية الخليلية الحديثة: 219
خلاصة:.....240
الفصل السابع: البعدالوظيفي الاستثماري في اللسانيات العربية لدى عبدالرحمن الحاج صالح..... **Erreur ! Signet non défini.**
1- الميدان التطبيقي الأول: في مجال تعليمية اللغة العربية:.....243
2- الميدان التطبيقي الثاني: اللغة العربية والحاسوب:.....255
3- الميدان التطبيقي الثالث: الصناعة المعجمية وعلم المصطلح: ..262
خلاصة:.....266

خاتمة: 269
قائمة المصادر والمراجع: 275
الفهرس: 283

صدر لنفس المؤلف في 2020

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر –
2021
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa -Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11